الجمهورية العربية السورية
جامعة دمشق
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم التاريخ



مراكز الاستقرار الزراعيِّ المدنيِّ المبكرة في شماليِّ سوريّة

« نهاية الألف الرابع إلى ظهور السلالات الباكرة »

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التّاريخ القديم

إعداد الطالبة
ميساء يوسف الخطيب

إشراف الأستاذ الدكتور
فيصل عبد الله

1431هـ - 2010م

الإهـداء

إلى عبـــــــق الحنـــــــان الـــــــذي أشـــــــتاق

روح أمي

إلى إكليـــــــل الغـــــــار الـــــــذي أتفيّـــــــا

أبـي

إلى خيمـــــــة العـــــــزِّ الـــــــتي أحتمـــــــي

إخوتي

إلى ثـــــــرِّ المعرفـــــــة الـــــــذي أتطلـــــــع

أستاذي

إليهم أهدي عملي

محتويات البحث

	الصفحة
المقدمة	ط
الفصل الأول : الجغرافية والتّاريخ والآثار	**1**
- تعريف جغرافي وبيئي، لمنطقة الجزيرة السورية	2
- أهم المسوحات الأثرية، التي أجريت في منطقة الجزيرة السورية	11
- بعض المواقع الأثرية في منطقة الجزيرة	70
الفصل الثاني : نهاية الألف الرابع وبداية التأريخ	**80**
(سورية في نهاية الألف الرابع وبداية عصر السلالات الباكرة، وانتقالها من ما قبـل التاريخ إلى العصور التاريخية)	
- ثقافة أوروك	81
- حبوبة الكبيرة Habuba Kabira	83
- جبل عرودة Jebel Aruda	88
- تل الشيخ حسن Tell Sheikh Hassan	88
- تل الحاج -حاجي نبي /Hacinbi / Ha-jih-NEH-bee	89
- هاسيك هويوك Hassek Höyük	90
- أرسلان تبه Arslan tepe	91
- تل براك Tell Brak	92
- تل حموكار Hamoukar	93
- الانتشار الأوروكي Uruk expansion	93
- تفسيرات الانتشار الأوروكي في سورية	96
- الاقتصاد الرعوي في الألف الرابع في سورية	100
- الاستهلاك المحلي للحوم الحيوانات وإنتاجها	101
- الخلاصـة	103

الصفحة

الفصل الثالث : تقارير البعثات وأهم المواقع التي مثّلت مراكز استقرار وبدايات المدن في منطقة الجزيرة	**104**
- تل براك Tell Brak ناجار القديمة Nagar	106
- حموكار Hamoukar	108
- تل ليلان Tell Leilan شوبات إنليل Šhubat-Enlil	111
- تلّ موزان Tell Mozan أوركيش Ur-Kish/ Ur-Keš	112
- تلّ بيدر Tell Byder نابادا Nabada	116
- شَكَربزر Chagar Bazar	119
الفصل الرابع : نشأة المدن	**122**
- الإنتاج الزراعي ونوعيته مترافقاً بالإنتاج الرعوي وأثره على النهوض الاقتصادي	123
- نشأة المدن والركائز التي اعتمدت عليها	137
- التجارة والعلاقة بين الشمال والجنوب	141
- ظهور الكتابة.	151
الخاتمـــة	**160**
الجداول الزمنية	**161**
الخـــرائط	**164**
الأشكال والصور	**168**
الأماكن والأعلام	**175**
جدول المصطلحات الأجنبية الواردة في البحث	**195**
قائمة المراجع العربية والأجنبية	**198**
الملخص الأجنبي	**210**

قائمة جداول مواقع المسح الأثري

	الصفحة
- (الجدول رقم 1) مواقع المسح والتنقيب الأثري وفتراتها الزمنية في وادي الخابور وحوضه بين عامي (1934 – 1938 م)	12
- (الجدول رقم 2) مواقع المسح الأثري وفتراتها الزمنية في منطقة الخابور الأدنى بين عامي (1975 – 1977 م)	17 - 14
- (الجدول رقم 3) مواقع المسح الأثري وفتراتها الزمنية في شمال شرق مدينة الحسكة أعوام (1976 - 1977 - 1979 م)	32- 19
- (الجدول رقم 4) مساحة بعض مواقع المسح الأثري في شمال شرق مدينة الحسكة أعوام (1976 - 1977 - 1979 م)	33
- (الجدول رقم 5) مواقع المسح الأثري وفتراتها الزمنية في الجغجغ السفلي عام (1978 م)	38 -35
- (الجدول رقم 6) مواقع المسح الأثري وفتراتها الزمنية في منطقة الخابور الأوسط عامي (1984 - 1985 م)	41 – 40
- (الجدول رقم 7) مواقع المسح الأثري وفتراتها الزمنية حول تل براك عام (1988 م)	44 – 43
- (الجدول رقم 8) مواقع المسح الأثري وفتراتها الزمنية في منطقة جبل عبد العزيز بين عامي (1988 – 2001 م)	46 – 45
- (الجدول رقم 9) - الفترات الزمنية لمجموعة مواقع من محافظة الحسكة تم تأريخها بواسطة الكربون المشع (C14)	47
- (الجدول رقم 10) - مواقع المسح الأثري وفتراتها الزمنية في منطقة الخابور الأعلى بين عامي (1989 – 1997 م)	56 – 49
- (الجدول رقم 11) مواقع المسح الأثري وفتراتها الزمنية حول تل بيدر عام (1997 م)	60 – 59
- (الجدول رقم 12) مواقع المسح الأثري وفتراتها الزمنية في محيط تل براك بين عامي (2002 – 2006 م)	69 - 62

قائمة الجداول الزمنية

	الصفحة
- جدول زمني لفترة الألف الرابع قبل الميلاد	161
- جدول زمني لفترة الألف الثالث الباكر قبل الميلاد	162
- جدول زمني لشمالي العراق وسورية	163
- جدول زمني لتل ليلان	163

قائمة الخرائط والمصورات

	الصفحة
- المصور (1) مصور الجزيرة الجغرافي	2
- المصور (2) خارطة مواقع المسح الأثري في منطقة الخابور الأوسـط عـام (1983 م)	39
- المصور (3) خارطة مواقع المسح الأثري في وادي خنزير	57
- المصور (4) أهم المواقع الأثرية في منطقة الجزيرة	105
- المصور (5) أهم المواقع على الخابور الأوسط	128
- المصور (6) موقع إقليم الجزيرة والفرات في سورية	164
- المصور (7) بحيرة الأسد خلف سد الثورة على الفرات والمواقع التي شـملتها حملة الإنقاذ	165
- المصور (8) مناطق غمر السدود على الفرات والخابور	166
- المصور (9) طرق التجارة في فترة أوروك والعصر البرونزي الباكر	167

قائمة الأشكال والصور

	الصفحة
- الشكل (1) الآنية الناقوسية في حبوبة كبيرة	168
- الشكل (2) أواني فخارية من حبوبة كبيرة	169
- الشكل (3) مخاريط طينية من جبل عرودة	169
- الشكل (4) مكتشفات فخارية من تل قناص	169
- الشكل (5) تماثيل العيون من مكتشفات تل براك	170
- الشكل (6) مخاريط طينية تزينية من تل براك	170
- الشكل (7) كتل العد الطينية من حبوبة	171
- الشكل (8) كرات مجوفة ذات طبقات من حبوبة	171
- الشكل (9) ألواح حسابية من حبوبة وجبل عرودة	172
- الشكل (10) ألواح تصويرية من أوروك	172
- الشكل (11) ألواح تصويرية من تل براك	172
- الشكل (12) لوح من إبلا يمثل (العلاقة بين إبلا وناجار)	172
- الشكل (13) ألواح تل بيدر بين الركام	172
- الشكل (14) طبعات لأختام مسطحة من تل حموكار	173
- الشكل (15) مشهد لطبعة ختم من أوركيش (تل موزان)	174
- الشكل (16) الأرقام والكسور السومرية والأكادية	174

المقدمة

شهدت منطقة الشرق العربي القديم انبثاق فجر الحضارة الإنسانية التي اتضحت معالمها بنـشوء الزراعة وقيام مراكز الاستقرار. ولم تكن سورية بكل إمكاناتها البيئية - الجغرافية والبشرية، لتتطـور بمعزلٍ عن المناخ الحضاري الذي تعيشه المنطقة، فانطلقت في بناء مدنيتها المميزة، بعد أن اسـتمدت أساسيات البناء من الجنوب العراقي الذي تشاركت معه المادة الحضارية والبنية الثقافية، مع الاحتفـاظ بملامحها المحلية. وكانت منطقة الجزيرة السورية أهم البيئات التي ازدهرت فيهـا عمليـة الارتقـاء العمراني والنشاط الإنساني الذي أنتج مشهداً مثيراً من المدنيات، التي تبلورت في مراكز استقرار هي في الأصل ذات نشأة زراعية تميزت عن الجنوب بسماتٍ تتعلق بطبيعة المناخ والأرض، كانـت لهـا انعكاسات على نوعية الزراعة المتبعة.

إن ارتقاء مراكز المدن شمالي سورية، تحديداً منطقة الجزيرة، اعتمد على الإنتاج الزراعـي، البعلي بالدرجة الأولى، حيث أكدت معظم تقارير البعثات «بأن المراكز المدنية في شمالي سورية قـد خلقت نتيجة تراكم إنتاج الحبوب البعلي وتسويقه من خلال تنظيمٍ إداري ومـالي»، متمثّلـة المراحـل الحضارية التي مرت فيها المنطقة، منذ تفعيل دور الإنسان العاقل ومـسيرته، حتـى تفجـر الثـورة الزراعية، وتفاعله فيما بعد مع حضارة جنوبي العراق، وصيرورته مكوناً حاضراً فيها بكل مظاهرها.

تركزت إشكالية هذا البحث على دور البيئة الجغرافية والمناخية، في تشكّل مراكـز الاسـتقرار الزراعي وتطورها إلى مراكز مدنٍ، ارتبطت بشبكة من العلاقات الثقافية والاقتصادية والبـشرية مـع جنوبي العراق أولاً، ومع المناطق المجاورة كغربي الفرات والأناضول وإيران ثانياً.

إن سبق الجنوب العراقي، لمنطقة الجزيرة وشمالي العراق، في عمليـة نـشوء المـستقرات المدنية المبكرة، يثير لدينا نوعاً من التساؤل المحير بعض الشيء ، وهو أن التطور المنطقي لنشوء المستقرات الزراعية يعتمد على الزراعة البعلية كونها لا تحتاج إلى الكثير مـن التقنيـات مقارنـة بالزراعة المروية المنظمة، التي يعتمد عليها الجنوب، بالتالي مامبررات تقدم الجنوب في مجال نشأة المدن على الشمال.

إن توسع الحفريات الأثرية في سورية، قدم رؤية جديدة حول دور سورية الحـضاري القـديم، منطلقاً بالدرجة الأولى من قاعدة اقتصادية متنوعة الموارد، من الزراعة والرعي، كذلك التجارة ومـا ارتبط معها من علاقات مع البلاد المجاورة، ونشوء التنظيمات الإدارية والسياسية التي أبرزت مفهوم المراكز المدنية، وطبيعة ارتقائها.

إن الهدف من إجراء هذا البحث التوصل قدر الإمكان لتحقيق دراسة باللغة العربية تبين طبيعة التطور المدني، الذي شهدته منطقة الجزيرة ودور الزراعة المتبعة والشروط البيئية في ذلك، وإظهار المحتوى الحضاري لهذه المنطقة اعتماداً على ما تراكم من تقارير ووثائق البعثات الأجنبية خلال مواسم التنقيب على مرور السنوات السابقة في ظل غياب أو قلة الدراسات التي تناولت هذا الموضوع بشكل متكامل باللغة العربية، أو بالأجنبية.

أما النتيجة المرجوة فهي التوصل إلى مادة تعرض كيفية نشوء المدن ومراكز الاستقرار المبكرة في هذه المنطقة وتوضيح فكرة أن ذلك قد يكون سابقاً لما هو حاصل في الجنوب العراقي، ومحاولة توضيح حقيقة سبق الجنوب العراقي في عملية الزراعة وارتقاء المستقرات المدنية المبكرة، الذي قد يعزى إلى أن العمل التنقيبي الذي حظي به الجنوب في فترات سابقة قد أظهر هذا التقدم. غير أن النتائج المهمة للحفائر الحديثة في شمالي سورية، التي ما زالت مستمرة حتى اليوم قد تعيد ترتيب بعض الحقائق الحضارية لهذه المنطقة، اعتماداً على الامتداد الجغرافي والبيئي، الذي كان للزراعة الدور الأهم في ارتقاء هذه المستقرات، التي تطور بعضها ليؤسس مدناً كبيرة قامت بدور رائد في بناء الحضارة الإنسانية، والأسس التي ارتكزت عليها.

أود أن ألفت النظر إلى اعتماد مصطلح شمالي العراق وسورية للدلالة على منطقة بلاد الرافدين أو مابين النهرين Mesopotamia العليا، التي أطلقها المؤرخون اليونان ودرج على استخدامه الباحثون فيما بعد. والهدف من ذلك تأكيد شخصية المناطق القديمة بأسمائها الحالية. ولكن هذا لا يمنع من ورودها في بعض الفقرات كما جاءت في بعض المراجع.

منهج البحث

اتّبعتُ المنهج العلمي في دراسة المصادر والمراجع المفيدة للبحث، وجمعت مادة البحث من الدراسات والمقالات العربية والأجنبية المنشورة في الدوريات والكتب الرائدة والمختصة في تاريخ الشرق القديم. وقمتُ بترجمة المادة الأجنبية، وهي كثيرة بشكل شخصي توخياً لدقة المعلومة.

واجهتني بعض الصعوبات في الحصول على التقارير الأولية لنتائج التنقيبات الأثرية، لاستكمال المعلومات الأثرية، وتمت الاستعانة بمراجع وثقت معلومات هذه التقارير.

يعتمد بناء البحث على:

- دراسة مواقع ظهور المدن في شمالي سورية وذلك بتحديد عدد من المواقع الأثرية المنقبة، التي يجري تنقيبها على امتداد هذه البقعة وذلك باختيار أكبر هذه المواقع وأهمها (تل حبوبة كبيرة - تل براك – حموكار – شكربزر – تل بيدر – تل ليلان – تل موزان)، بالإضافة إلى مجموعة مواقع صغيرة على الخابور الأوسط، أدت دوراً واضحاً في تخزين الحبوب وتسويقها.
- مراجعة تقارير البعثات والاطلاع على آخر ما توصلت إليه أحدث التنقيبات وتوظيف هذه المعلومات في خدمة البحث، لفهم طبيعة العمران والاستقرار في هذه المواقع.
- استند جمع المادة العلمية على أهم الدوريات الوطنية والأجنبية الأثرية، للوقوف على ما نشر عن أعمال التنقيبات للبعثات الأثرية ونتائجها خلال أعمالها الموسمية.
- كما قدمت كتب كبار المهتمين والدارسين لتاريخ المنطقة وحضارتها قاعدة جيدة لبناء البحث.
- تم الاعتماد في كل ما سبق على تقارير مديريات الآثار في القطر، والمكتبات التي تتوفر فيها هذه المواد (مكتبة المتحف الوطني بدمشق، مكتبة الأسد الوطنية، مكتبة المعهد الألماني للآثار، مكتبة المعهد الفرنسي لدراسات الشرق الأدنى IFAPO، المواقع الإلكترونية المختصة والعلمية على الشابكة "شبكة الأنترنت").

أخيراً أتقدم بالشكر والامتنان مع فائق الاحترام إلى أستاذي القدير المشرف الأستاذ الدكتور فيصل عبد الله، لاهتمامه ببناء شخصية الباحث المتمكن من أدوات البحث العلمي، الذي لم يبخل يوماً بتقديم الإرشاد والنصح اللازمين، كالإشارة إلى أهمية تعلّم اللغات الأجنبية، التي نُشرت بها أهم البحوث والدراسات عن منطقتنا و تاريخنا، إلى جانب تعلّم اللغات القديمة، كي نتمكن من تحصيل المعلومات التي نريدها بدقةٍ أكبر، حيث قدم لي المساعدة لإتمام مستوياتٍ في تعلّم اللغة الفرنسية إلى جانب اللغة الإنكليزية التي أجيدها، عن طريق تقديم منحة من المعهد الفرنسي لدراسات الشرق الأدنى القديم في

دمشق. إلى جانب إتاحة الفرصة لي ولزملائي المشاركة في ندواتٍ علمية عدة، بالاشتراك مع باحثين من خارج سورية (الفريق الفرنسي) من خلال تقديم بحوث تخص تاريخ الشرق القديم. مما كان لـه أكبر الأثر في تعزيز الثقة عندي وعند زملائي المشاركين وإعطاءنا الدافع الأكبر للمضي قُـدماً فـي مجال البحث العلمي، كما كان لتقديمه الدعم الدائم، وترحيبه باستمرار بمناقشة كل مايعترض البحـث من صعوبات، في محاولة تذليلها، إسهاماً حقيقياً في إتمام هذا العمل. كل الشكر والتقدير.

وأتوجه بالشكر أيضاً إلى أستاذي القديرين أعضاء لجنة الحكم اللذين تفضلا بقبول المشاركة في تقويم الدراسة وهما: الأستاذ الدكتور محمود عبد الحميد والأستاذ الدكتور عماد سمير من جامعة دمشق.

ويسعدني أن أشكر كل من قدم المساعدة في مراكز البحث والمكتبات :

العاملين في مكتبة المتحف الوطني في دمشق، وفي مكتبة الأسد الوطنية و مكتبة المعهد الألماني للآثار، وأخص بالشكر المعهد الفرنسي لدراسات الشرق الأدنى القديم في دمشق، لتقديم منحة تعلّم اللغة الفرنسية، وتقديم العون الكامل أثناء قيامي بالعمل البحثي في المعهد.

وأقدم امتناني وعرفاني بالجميل لكل من قدم المساعدة والدعم حتى إنجاز هذا البحث.

أضفتُ في نهاية المقدمة عرضاً لفصول البحث الأربعة والخاتمة والملاحق وقائمة المراجع.

يتضمن الفصل الأول "التاريخ والجغرافية"

تعريف جغرافي وبيئي لمنطقة الجزيرة السورية والمسوحات الأثرية التي أجريت عليها وعرض للمصورات والجداول الخرائط البحثية.

ويتناول الفصل الثاني" سورية نهاية الألف الرابع وبداية التأريخ"

حيث يدرس سورية في نهاية الألف الرابع وبداية عصر السلالات الباكرة. وانتقالها من ما قبل التأريخ إلى العصور التاريخية مع ظهور الكتابة.

أما الفصل الثالث " تقارير البعثات"

يقدم أبرز وأهم المواقع الأثرية في منطقة الجزيرة، التي ظهرت فيها بدايات المدن، اعتماداً على دراسة تقارير البعثات عن هذه المواقع.

وفي الفصل الرابع "النتائج الحضارية" تمت دراسة:

- الإنتاج الزراعي ونوعيته مترافقاً بالإنتاج الرعوي، وأثره على النهوض الاقتصادي.

- نشأة المدن والركائز التي اعتمدت عليها.
- التجارة والعلاقات بين الشمال والجنوب.
- وظهور الكتابة.
- وهناك ملخص باللغة الإنكليزية. يتضمن أبرز أفكار ونتائج البحث.

وفي الخاتمة عرض لأهم النتائج التي توصل إليها البحث بصورة مختصرة واستعراضية.

الجداول الزمنية، الخرائط، والمصورات والأشكال والصور وقائمة بالأعلام والأماكن وقائمة بالمصطلحات وثبت المراجع.

الأماكــن

(أ)

- **إبلا** 106- 114- 140-141-142- 145- 146- 149-156 - 158
- **أبو صلابيخ** 156- 158
- **أبو شهرين** 82
- **آبوم** 112
- **إربيل** 143
- **إرجاني مادين** 143- 144- 145
- **الأرسانياس** 143
- **إرمينية** 5
- **أرسلان تبه** 91
- **أريدو** 82
- **آسيا الصغرى** 4- 85
- **آسيا** 102- 150
- **أشناكوم** 121
- **آشور** 98- 145
- **أفغانستان** 141- 150
- **أقور- جزيرة أقور** 3
- **ألتينوفا** 116 – 143- 144-
- **آمد** 3
- **أمستردام** 18
- **الأمانوس** 142- 145
- **أنشان** 150

- **الأناضـول** 34- 86 -89 -90-91 -94- 96- 97- 98-99- 106- 107- 116- 141-
143- 144-147- 148- 150- 152
- **أوروك، الأوروكـي** 13- 58-77- 79 - 81-82 - 83 – 84 – 85- 86- 87- 88- 89-
90- 91- 92- 93 -94 -100- 103- 107- 108 -109 -110- 111- 112- 138-
140- 142- 143- 144- 148- 149- 151- - 153- 152- 156
- **أوركيش** 104- 112- 114- 115
- **أورفا** 6
- **أور** 146
- **الأهواز** 87
- **إيران** 81- 94- 96- 97- 141- 143- 145-148- 150- 152
- **إيسين (إيشان البحريات)** 146

(ب)

- **بالس** 5
- **بحيرة الهول** 8- 73
- **بحر الهند** 6
- **البصرة** 6
- **البصيرة** 7-11
- **بغداد** 3
- **بلاد الشام** 10- 81- 123-145-
- **البليخ** 5 - 6- 8- 88- 140- 143
- **البوكمال** 6

(ت)

- **تاكه** 157

- تبه **جورا** 143- 147
- تبه **جيلين** 143
- تبه **غبرستان** 148- 149
- تبه **سيالك** 143- 147
- تبه **هزار** 143
- تبه **يحيى** 152
- **تركيا** 4-6- 7- 9- 81-89- 103- 110- 116- 120- 121- 147- 149
- **تلميسي** 148
- تل **أبيض** 6
- تل **أبو جداري** 73
- تل **أبو حجيرة** 42- 76- 131 -
- تل **أبو حفور** 42- 76-131 -
- تل **أبو هريرة** 151
- تل **أحمر** 145
- تل **أسود** 7 - 152
- تل **أم قصر** 42
- تل **أم قصير** 44- 78
- تل **أنفارا** 145
- تل **أيلون** 71
- تل **بـراك** 7- 18- 34- 42-43- 44- 61-62- 63- 64- 65- 66 - 67- 68- 92 -96- 100- - 104- 106- 108- 110- 126- 127 -131- 132- 143- 145-155- 156 -157
- تل **بري** 42- 72
- تل **بيدر** 58- 59- 60- 72- 104- 116- 117- 132-146-157
- تل **بديري** 42- 129
- تل **بنات** 134
- تل **بويض** 42- 76

- تل **تمر** 73
- تل **تنينير** 42- 78- 129- 144
- تل **جديدة** 42- 76 -130- 131
- تل **جسعة الغربي** 42- 13176 -
- تل **الحاج** – 88- 89- 95
- تل **الحديدي** 88
- تل **الحريري** 132
- تل **حرمل** 74
- تل **حلف** 11- 58- 77- 78- 79- 93- 108- 120
- تل **الحميدية** 34- 72
- تل **حويش** 75
- تل **حموكار** 73
- **تل خزنة** 12- 57- 72 -131 -
- تل **خويرة** 114- 132- 140
- تل **خنيديج** 42- 77
- تل **دغيرات جنوبي** 77
- تل **ذهب** 42
- تل **زاغان** 75
- تل **زيادة** 42- 44- 77- 100- 131
- تل **رد شقرا** 78
- تل **رميلان** 144
- تل **رفاي** 42- 78- 129-130 -131-132
- تل **سكر الأحيمر** 73
- تل **سويحات** 126- 149
- تل **شاريس** 18
- تل **شعير** 74

- تل **شكر بزر** 13- 57- 71- 104- 105- 119- 120- 121
- تل **الشيخ حسن** 88- 95
- تل **طاوي** 144
- تل **طابان** 42- 79
- تل **عتيج** 42- 78- 129 -130- 131- 132- 157- 158
- تل **عربيد** 71
- تل **عجاجة** 11– 70-
- تل **غويران** 74
- تل **فخيرية** 71
- تل **الفراعين** 94
- تل **فرفرة** 18- 34
- تل **فرس** 74
- تل **قرما** 42- 78- 129-130- 131-
- تل **قناص** 83- 84- 88- 144
- تل **قبة منصور** 75
- تل **قنيطرة** 75
- تل **كرمير** 71
- تل **كشكشوك** 42- 75
- تل **ليلان** 34- 58- 72- 97- 104-109- 111- 112- 129- 132-140- 144- 157
- تل **مبطوح شرقي** 74
- تل **محمد دياب** 72
- تلّ **مريبط** 2 – 88- 123- 144- 151
- تل **مشنقة** 42- 70- 130
- تل **المقير** : 146
- تل **ملا مطر** 76
- تل **موزان** 34- 71- 104- 112- 114- 145- 157- 158

- تل **الميليبية** – 42- 77- 129
- تل **نص تل** 42-75
- تل **هايل** 143
- تل **الهوى** 144

(ج)

- جبل **عبد العزيز** 4- 8- -12- 44-45-46- 74- 116
- جبل **حاج أوغلي** 4
- جبال **القوقاز** 116
- جبل **الغرة**4 - 8
- جبل **جريبة** 8
- جبل **تشمبه** 8
- جبل **سنجار** 3- 4- 8-108 - 143
- جبل **قره شوك** 9
- جبل **عرودة** 88- 91- 92- 95- 103- 144- 155
- جبل **كوكب** 4- 9
- جبال **لبنان** 134
- جبل **منخر الغربي** 9
- جبل **منخر الشرقي** 9
- **جودين تبه** 87- 97- 143
- **جيرميك** 144
- **جيرمن تبه** 149
- **الجرجب** 7
- **الجغجغ** 7- 8- 13- 18- 34- 35- 36- 37- 38- 42- 57- 70- 71-72- 73- 92- 106- 119
- **جيانه** 6
- **جولاب** 6
- **جرابلس** 6

- **الجزيرة السورية** 2 - 3 – 4- 9- 10- 11- -13- 70- 79- 112-121 – 123-140 – 157- 159- 160
- **الجزيرة** 3- 4- 7- 9- -10- 70- 79- 105- 117- 120- 140-141- 145- 157- 160
- **الجزيرة العليا** 4- 8- 9- 10-49- 113- 123- 144
- **الجزيرة الدنيا** 4 - 5- 9

(ح)

- **حبوبة الكبيرة** 82- 83 – 84- 85- 86- 87- 88- 90- 91- 92- 95-96 -103- 144- 147- 148- 149- 152- 153- 155- 160
- **حصوية فوقاني** 18
- **حران** 3
- **حسونة** 42
- **الحسكة** 7- 8- 9- 13- 18- 19- 20- 21- 22- 23- 24- 25- 26- 27- 28- 29- 30- 31- 32- 33- 34- 39- 42-44-47- 69- 70- 71- 72- 73- 74- 75- 76- 77- 78- 92- 106- 108-112- 116- 119- 146
- **حلب** 83- 140
- **حلف** 13- 18- 40- 42- 58- 61- 70-79
- **الحمة** 4
- **حمرين** 143
- **حموكار** 93- 104- 105- 108- 109– 110- 144
- **حوزستان** 87

(خ)

- **الخـ ـابور**3- 5- 7- 8 -10- 11- 12- 13- 14-15-16-17-18- 34- 39-40-41- 42- 44-48-49- 50-51-52-53-54-55- 56- 58- 70- 73- 74- 76- 77- 78- 79- 91- - 93- 92- 95- 100- 106- 108- 110- 111- 116- 124-127- 128- 129- 130 --131- 132- 133- 140- 145- 146-157

- **خاربوت** 143
- **الخاتونية** 8- 44
- **خراسان** 143
- **خزر**3
- **خلاط** 5
- **الخليج العربي** 6- 146

(د)

- **دجلة** 5 - 6- 8- 9- 106- 108- 124- 144- 145-146 – 147
- **الدرباسية** 7-71
- **الدلنا** 94
- **دوسر**5
- **دير الزور**7
- **ديصان** 5
- **ديار بكر** 116

(ر)

- رأس **شمرا** 152
- **رأس العين** 3- 5- 70-7-
- **الرافدين**4 -48- 121- 140
- **رحبة مالك بن طوق** 5
- **الرقة** 3- 5- 7- 9- 88
- **الرها**3

(ز)

- **زاغروس** 3 - 87- 134- 143
- **زرقان** 145 الزركان7

(س)

- سد **أتاتورك** 6
- سد **تشرين** 88
- سد **الخابور الشرقي** 127
- سد **الخابور الغربي** 127
- سد **الطبقة** (الثورة)93
- **الساجور**6
- **السليمانية** 143
- **السماوة** 81
- **سميساط** 5- 90
- **سنْجة** 5
- **السواد** 5
- **سوبارتو** 145
- **سورا** 5
- **سـورية** 4 - 6 – 7- 9- 11-34- 70- 81 -82- 83- 84- 87- 88- 89- 90- 91- -92 93-94 - 95- 96- 97- 99- 100- 103—106-109108 -- 111- 112- 116- 119-121- 123- 124-127 -132- 134- 140- 141- 142-143- 144- 145- 147- 148- 149- 151- 153- 154- 155- 156- 158- 159-160
- **سوسا** 87- 147 – 148- 150- 152
- **سوفين** 143
- **سيفريك** 144

(ش)

- **الشام** 81- 141
- **الشامية** 3- 8

- **شاه داد** 152
- **شبه الجزيرة العربية** 4
- **شخنا** 112-157
- **الشرق العربي** 123
- **شط العرب** 6
- **شوبات انليل** 104- 111- 112
- **شوروباك** 155
- **شوغا ميش87**
- **شيقميم** 149
- **شيكاغو** 58- 109
- **شمس الدين** 144

(ص)

- **صرصر**5
- **الصراة** 5
- **صفيا** 8

(ط)

- **طهران** 148
- **طور عابدين** 143- 144
- **طوال العبا** 4- 8
- **طوروس**3- 4- 6- 90- 91- 96- 108- 120- 134- 141- 143- 144

(ع)

- **العـراق** 4- 7- 9- 10-48- 70- 81 -82- 84- 87- 88- 89- 90- 91- 92- 93 -9594- 96- 98- 99- 103- 106- 107- 108- 112- 120- 123- 124 -127- 134- 137- 140- 141- 142- 143- 144- 145- 147- 148- 149- 150- 151- 153- 154- 155-156
- **عمان** 148

- **عربان** 7
- **عين عروس** 6
- **عاميدا** 7- 34- 71
- **العبيد**- 58- 76- 93- 95- 106- 108- 147
- **العمق** 85- 147
- **عمورية** 108- 135
- **عانة** 5

(غ)

- **غراي ريش** 143

(ف)

- **الفـرات** 3- 4- 5- 6- 7- 9- 10- 11- 13- 83 – 84- 85- 88- - 91 -89 - 93- 94- 95- 96- 103- 106- 116- 123- 124- 127-131 -133- 140- 142- 143- 144- 145- 147- 160
- **فلورنسا** 34
- **فلسطين** 86- 147- 148- 152
- **فارا** 155-156
- **فاضل الهرماس** 7

(ق)

- **قاليقلا** 5
- **قلعة نجم**5
- **قره كوز** 6
- **قره موخ** 6
- **قرقيسياء**7
- **القطراني** 72
- **القرايا** 96
- **القحطانية** 72

- **القامشلي** 7- 18- 71- 74- 75- 111- 112- 131 -
- **قرطاجة** 99
- **قره صو** 6
- **قاثانية** 144

(ك)

- **كارابابا** 101
- **كاكابان** 146
- **كانيش** 97- 98- 149
- **كراتشوك** 4
- **كردستان** 3
- **كركميش** 96- 97- 144
- **كمخ** 5
- **كوثا** 5
- **كوزلو** 148
- **الكوفة** 5
- **كوكبة** 146
- **كول تبه** 98- 149
- **الكوم** 97
- **كوران** 100
- **كوربان** هيوك 97
- **كيبان** 6- 149
- **كيسوم** 5
- **كيش** 145

(ل)

- **لاجاش** 146

(م)

- **ماردين** 3- 144
- **مابين النهرين** 9
- **ماجان** 148
- **ماليان** 150
- **ماري** 85- 106- 121- 131 -133- 140- 141- 142- 145- 150
- **ماكسين**7
- **المالكية** 18
- **المتوسط** 6- 85- 99- 106- 146
- **مد** 7
- **المجدل** 7
- **مغلوجة** 12
- **مراد صو** 6
- **مسكنة** 83
- **مصر** 81- 85- 85- 86 -94- 147- 148
- **منبج** 5
- **المنحرق** 8
- **ماطية** 5
- **الموصل** 3
- **مورات نهري** 143
- **موقع الفرحية** 74
- **موقع خشام** 74
- **ميافارقين** 3

(ن)

- **ناجار** 61- 104- 106- 117-146- 155
- **نابادا** 104 - 116
- **النجف** 149
- **نصيبين** 3-7- 48-49

- **نهر الملك** 5
- **نهر عيسى بن علي** 5
- **نهر حلة بني مزيد** 5
- **نهر سوق أسد** 5
- **نهر عويج** 7- 73- 75- 76
- **نورشن تبه** 147- 149
- **نوزي** 13- 113- 152
- **نينوى** 13- 48- 58-96 -107-109 - 112- 129-130 -143

(هـ)

- **هاسيك هيوك** 90- 91- 96- 103- 144
- **هيت** 5

(و)

- **وادي أبيض** 71
- **وادي الجراح** 7 - 72- 111
- **وادي الحمار** 7
- **وادي خنزير**7 -57 – 58- 73- 119
- **وادي ديالى** 143
- **وادي الرد** 7 34- 42-106
- **وادي الرجلة** 7
- **وادي السلاخ** 7
- **وادي عباس** 7
- **وادي عقربة** 74
- **وارسو** 42
- **واسط** 6
- **الوركاء** 81
- **الوشربة** 6

الأعــلام

(أ)

- **الاسكندر**: 142
- **أفنيتوم**: 114
- **ألغازي غيلمور :** 96-97- 98
- **إندان**: 114
- **أوبنهايم ماكس فون**: 11
- **إوري :** 157
- **أوتس ديفيد:** 13-106
- **إيدم ، ج:** 42
- **إيبي سين**: 146

(ب)

- **بتناتو:** 156
- **بغدو عبد المسيح**: 120
- **باونت**: 11
- **البني عدنان**: 42
- **بواد بارد**: 11
- **بوتشلاتي جورجيو:** 113
- **بوتشلاتي ، مارلين كيلي:** 113
- **بيسيرا شماندت**: 86 - 152 - 154
- **بيكوريلا باولو ايميليو**: 34

(ت)

- تش- أتل: 114
- تويكيش: 114- 115

(ج)

- جلجامش: 141
- جونسون جريجوري : 99

(ح)

- حمادة حميدو: 117

(د)

- ديززفسكي فيكتور: 42

(ر)

- رايـت هنـري : 61
- روليج ولفجانج: 13

(ز)

- زاخو: 11
- زامينا: 115
- زيدر ميلندا : 100- 101
- زيست فان: 130

(س)

- سليمان أنطوان: 116
- ستيبنوفسكي فرانسسكي: 42
- سالفيني ماريو: 34

(ش)

- **شاغان:** 107
- **شتاين جيل:** 98
- **شروكين:** 107- 119- 145
- **شمشي حدد:** 112- 121- 146
- **شوارتز :** 131
- **شيرات أندرو** : 136

(ف)

- **فورتين :** 131
- **فيلدن، ك:** 34

(ك)

- **كونه هارتمورت :** 13
- **كورفيز :** 131
- **كولدواي ، ر**: 11
- **كنيشت هاوس:** 11

(ل)

- **لايارد:** 11
- **لوبو مارك** : 116
- **ليونيه بيرتي:** 48- 131

(م)

- **ماتييه باولو:** 156

- **مالوان ماكس:** 92- 106- 107- 108- 120- 121.
- **ماير ديريك :** 18
- **مكاربستون جوي**: 99
- **مورتز، ب:** 11
- **مونشامبير :** 39
- **مونشايف، ف:** 57

(ن)

- **نيسن هانس:** 155
- **نيشياكي يوشي هيرو**: 56
- **نارام سن**: 107

(هـ)

- **هالو:** 142
- **هول فرانك :** 44

(و)

- **واربورتن**: 42
- **وانتميكر:** 97
- **وايت ريتا:** 99
- **ولكنسون:** 124
- **ويبر:** 100
- **ويس هارفي:** 58- 111

(ي)

- **ياقوت الحموي** 3- 7

جدول زمني لشمالي العراق وسورية

Technologie	Culture	Date
Neolithic	Pre-pottery (PPN A)	8.500-7500 BC
	PPNB	7.500-6300 BC
	Hassuna/ Samarra	6.300- 5.250 BC
	Halaf	5.250- 4.700 BC
Chalcolithic	Ubaid	4.700- 3700 B C
	Late- Chalcolithic	
	Uruk	3.700-3100 BC
Bronze Ancient I	Jemdet Nasr	3100-2950 BC
Bronze Ancient II	Early Dynastic I	2950- 2.700 BC
Bronze Ancient III	Early Dynastic II	2,700- 2.550 BC
	Early Dynastic III	2.550- 2.350 BC
Bronze Ancient Iva	Akkad	2.350- 2.200 BC
Bronze Ancient IVb	Ur III	2100- 2000 BC

جدول زمني لتل ليلان

- ليلان VI- VII	فترة حلف والعبيد
- ليلان V	فترة أوروك القديم
- ليلان IV	أوروك الحديث=3000 – 2900 ق.م
- ليلان IIIA	فترة نينوى V القديم 2900- 2800 ق.م
- ليلان IIIB	فترة نينوى V متوسط 2800- 2600 ق.م
- ليلان IIID	فترة نينوى V الحديث 2600- 2400 ق.م
- ليلان IIA	فترة ليـلان 2400- 2300 ق.م
- ليلان IIB	الفترة الأكادية 2300- 2200 ق.م
- ليلان I	فترة الخابـور 1900- 1700 ق.م

BC	Late chalcolatic periodization	Upper Khapur		Balikh	Middle Euphrates	Western Syria	Northern Mesopotamia	Southern Mesopotamia
3000-		Brak TW 11-1				Amuq G		Jemdet Nasr
	5	Brak TW 12			Habuba Kabira South			Late Uruk
					Jebel Aruda			
3500-	4	Brak TW 13	Leilan IV		Sheikh Hassan Middle Uruk			Middle Uruk
						Amuq F		
	3	Brak TW 17-14	Leilan V				Gawra VIII	
								Early Uruk
4000-	2	Brak TW 19-18		Hammam et-Turkman V			Gawra LX-XIA	
	1	Brak CH	Leilan VIb	Hammam			Gawra -XII	
		Levling fill	Late	et-Turkman IV D				
4500-								

جدول زمني لفترة الألف الرابع قبل الميلاد

BC	Early Jazireh Periodization	Upper Khapur	Middle Euphrates	Balikh and adjacent regions	Western Syria	Southern Mesopotamia
2500-	IIIa	Leilan IIa	Raqái 2 Bderi IIIa	Chuera IC		Early Dynastic IIIa
2600-	II	Leilan IIId	Raqa´i 3 Bderi II	Chuera IB		Early Dynastic II
2700-		Leilan IIIc			Hama K5-1	
			Raqa´i 4 Bderi I		Amuq H	
2800-	I	Leilan IIIb				Early Dynastic I
			Raqa´i 5-7			
2900-		Leilan IIIa		Hammam et-Turkman VI East	Amuq G	
3000-						Jemdet Nasr

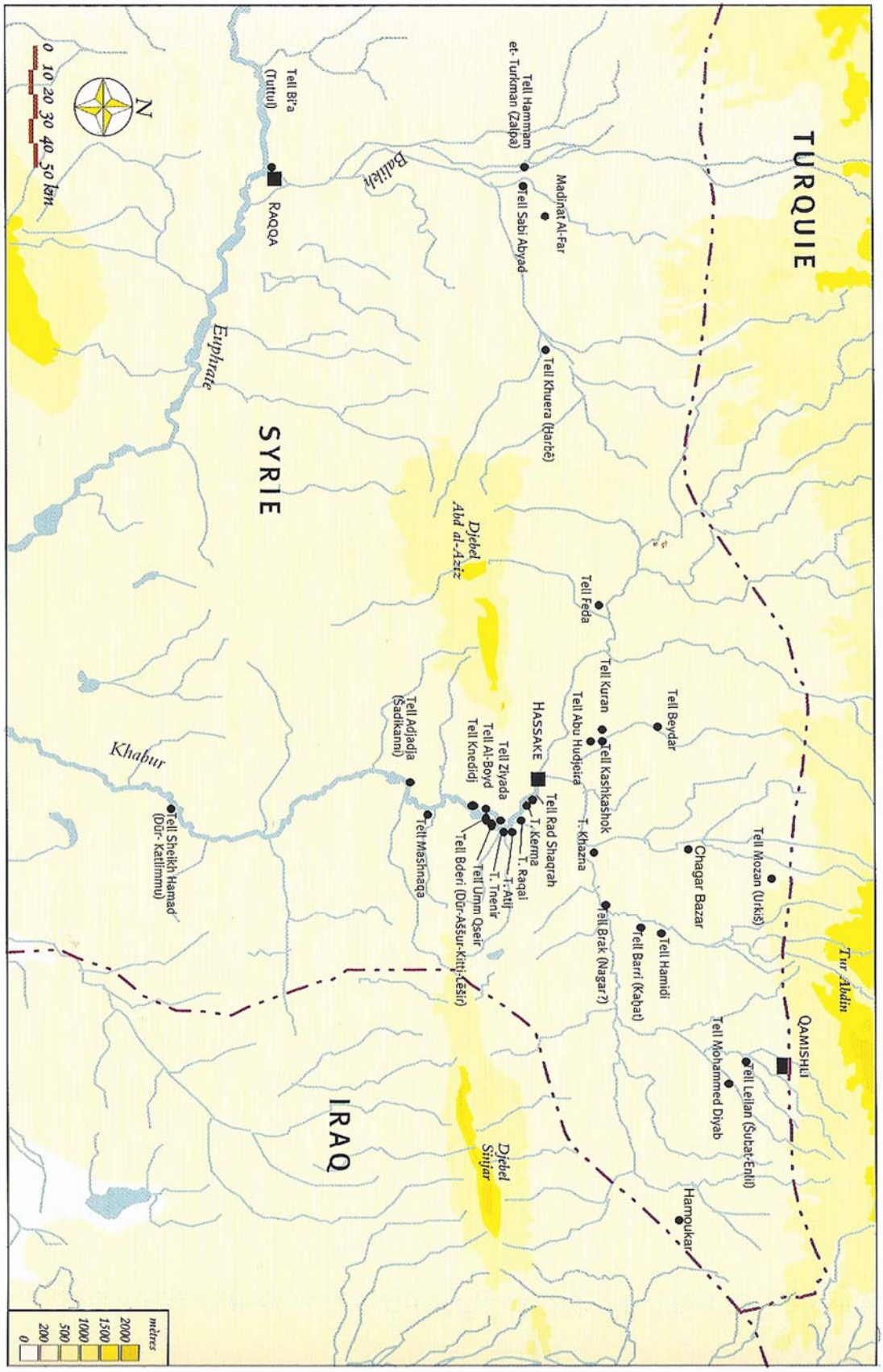
جدول زمني لفترة الألف الثالث الباكر قبل الميلاد

الفصل الثالث

تقارير البعثات

أهم المواقع التي مثّلت مراكز استقرار
وبدايات المدن في منطقة الجزيرة

- تل براك Tell Brak - ناجار القديمة Nagar
- حموكار Hamoukar
- تل ليلان Tell Leilan - شوبات إنليل Šhubat-Enlil
- تلّ موزان Tell Mozan – أوركيش Ur-Kish/ Ur-Keš
- تلّ بيدر Tell Byder - نابادا Nabada
- شَگربزر Chagar Bazar



(المصور 4) أهم المواقع الأثرية في منطقة الجزيرة[1]

1 - نقلاً عن كتاب Aux Origines de L´ Écriture En Syrie, p. 118، تم تعديل المصور بإضافة موقعي حموكار وشكر بزر.

يبين لنا انتشار المواقع الأثرية بكثافةٍ، على امتداد منطقة الجزيرة شمالي سورية والعراق، مدى التمدن الذي تمتّعت به هذه المنطقة في العصور التاريخية القديمة، وتدل على الانسجام الطبيعي الـذي نشأ بين الإنسان وبيئته، التي يعيش فيها، حيث تمكّن من استثمار الشروط البيئية الملائمة من زراعـة وموقع استراتيجي، كما تفاوتت أهمية هذه المواقع حسب حجمها وموقعها ودورها التاريخي، أو الفترة الزمنية، التي شغلتها وقدمت معطياتٍ أثريةً كان لها دورها في تاريخ المنطقة.

تل براك Tell Brak ناجار القديمة Nagar

يقع تل براك في الجزء الجنوبي من مثلّث الخابور، على بعد 40 كم شـمال شـرقي مدينـة الحسكة على الضفّة اليمنى لنهر الجغجغ Jaghjagh، أحد روافد الخابور عند التقائه بوادي الرد Radd، ويعد أحد أكبر التلال الأثرية في سورية، حيث يبلغ ارتفاع التلّ أكثر من 40 م فوق مـستوى الـسهل الحالي، ومساحته حوالي 800× 600م ، نقّبت بعثة بريطانية بإدارة ماكس مـالوان Max Mallowan في تل براك قبيل الحرب العالمية الثانية، ومنذ عام 1976م يدير تلك البعثة ديفيد أوتس David Oates. تحيط به بلدة ومجموعة من المستقرات الصغيرة التي تأخذ شكل هالة حول التلّ الرئيسي[1].

تحكّمت مدينة براك "المدينة البوابة " في أهم الطرق الرئيسية، التي تتجه من وادي دجلـة إلـى الأناضول شمالاً الغنية بمصادر الخامات المعدنية، وإلى الفرات والبحر المتوسط غرباً. كما شكّل تـلّ براك ما يعرف بناجار القديمة مركز استقرار كبيرٍ ومهم خلال الألف الثالث ق.م[2]، حيث كانت إحدى القوى الرئيسة في سورية مع إبلا وماري[3].

حصل استقرار في التلّ منذ أكثر من 6000 سنة قبل الميلاد، حتى حوالي نهاية عصر البرونز المتوسط (آشوري متوسط)، الفترة التاريخية من 5500 - 1500 قبل الميلاد. كذلك شـهد اسـتقراراً مستمراً منذ عصر العبيد حتى التاريخ الإسلامي الباكر في البلدة المحيطة، وتعود المناطق المنَقبة فـي الموقع حتى الآن إلى منتصف الألف الخامس وحتى نهاية الألف الثاني قبل الميلاد[4].

براك في الألف الخامس والألف الرابع قبل الميلاد:

تعود أبكر الطبقات التي اكتشفت في التلّ حتى الآن إلى منتصف الألف الخامس ق.م، العبيد المتأخّر LC1 في المنطقة CH حيث تبين الدلائل على أنه كان هناك مبانٍ كبيرة مهمة في نهاية فترة العبيد على

1 - Oates,David and Joan,McDonald,Excavations at Tell Brak,vol.2- 2001-p. xxvii
2 - Ibid. p.xxv-xxvii
3 - أوتس، ديفيد وجون، تل براك،1998- التعاون السوري- البريطاني في مجال الآثار، ص4
4 - Reckitt Albert, Tell Brak - Ancient Nagar
http://www.mcdonald.cam.ac.uk/projects/brak/history.htm

أقلّ تقدير، وتقدم المنطقة TW طبقات سكن مستمرة من الألف الخامس المتأخّر LC2 إلى الألف الثالث الباكر، حيث عثر على مكتشفات مهمة، تضمنت أدلّة من جنوبي العراق في المستقرة، التي تعود لفترة أوروك متأخّرة، وتعد منطقة الورشات الحرفية المجاورة لمباني الألف الخامس ق.م إحدى الأمور التي يركّز عليها برنامج البحث الحالي، فقد تم تعرف المادة التي تعود لهذا التاريخ عند حافّة المنطقة HS وتعد معظم منطقة أطراف التل (البلدة الخارجية)، التي كانت مسكونة في ذلك الوقت، ودون شك أهم معلمٍ معروف يعود لهذا التاريخ هو معبد العيون★ Eye Temple الذي اكتشفه مالوان. أما التنقيبات الحديثة فقد مكّنتنا من تحديد الفترة التاريخية بشكل أدقّ لهذا المبنى، الذي يعود إلى النصف الأول من الألف الرابع ق.م[1].

الألف الثالث قبل الميلاد:

تم التنقيب في عدد من مناطق مدينة الألف الثالث في الجزء الجنوبي من التل، فقد بدأ مالوان 1930م العمل في المنطقة، واكتشف قصر نارام سن Naram-Sin أو مايعرف بحصن نارام سن حفيد شروكين ، وهو في الحقيقة عبارةٌ عن مخزن مسور، ويعد أول دليل على وجود سيطرةٍ لجنوب العراق في المنطقة[2]. وقد تم في التنقيبات الأخيرة معاينةُ عددٍ من المباني المهمة، تضمنت قاعةً عامةً فريدةً ومعبداً، وكلاهما عثر عليه في المنطقة الإدارية والصناعية SS، كما كشفت التنقيبات عن معبد ومحطّة محتملة قرب البوابة الشمالية للمدينة، يعودان للفترة الأكادية في المنطقة FS، حيثُ يعتقد أن المعبد خصص لشاغان Šakkan الإله الراعي لحيوانات السهوب، وأن البناء كان محطة لتجارة النحاس من الأناضول، حيث استخدم الحمار في عمليات التحميل(فقد عثر على هياكل عظمية لحمير و كلاب سلوقي في البناء الشمالي الغربي)، وتشير بعض المعلومات التي تحملها الألواح المسمارية، التي عثر عليها في المنطقة إلى الإدارة الأكادية التي أتت فيما بعد. ونلاحظ أيضاً حضور الفترة البالكرة من الألف الثالث ق.م، فترة نينوى v في الموقع، مما يدل على استمرار السكن في الموقع عبر الألف الثالث، بما في ذلك المبنى الحوري ومبنى نارام سن المعاد بناؤه[3].

★ معبد العيون: دعي بذلك بسبب آلاف اللويحات الجصية المسطحة والرقيقة، التي تمثل رسوم بدائية لأشكال العيون، بأعناق طويلة تعلوها عيون واضحة، يمتلك بعضها تسريحة عالية. يعتقد أنها كانت تمثل تقدمات نذرية إلى الآلهة المقيمة في المعبد.
أنظر (الشكل 5 ص170) **AKKERMAN PETER M.M.G THE ARCHAEOLOGY OF SYRIA p. 199**

1- Reckitt Albert, Tell Brak - Ancient Nagar Op. Cit
2 - Oates,David and Joan,McDonald,The Excavations at Tell Brak, vol.2- 2001 Op. Cit -p19.
3 - Oates,David and Joan,Tell Brak: AStratigraphic Summary 1976-1993- Iraq-LVI,1994 -p.171-172.

الألف الثاني قبل الميلاد:

شهد الموقع تغييراً في نموذج الاستقرار فيه من جهة، و في منطقة أعالي سهل الخابور بـشكل عام من جهةٍ أخرى. تزامنت المنطقة HH التي تؤرخ حوالي 1950 ق.م، مع قبيلة عمورية، كانـت على مايبدو قد وصلت حديثاً إلى المنطقة، يدل على ذلك العثور على أواني الخابورKhabur wares . تراجع السكن في تلّ براك في ذلك الوقت باتجاه الجزء الشمالي منه، الذي نتج عنه تغير في شكل التلّ فأصبح الجزء الشمالي هو الجزء الأعلى[1]، كما اكتشف مالوان في المنطقة HH بيوتاً ميتانيـة، وفـي أواخر الثمانينيات حفر أوتس القصر الميتاني والمعبد ومنطقة المشاغل القريبة منه . من جهة أخـرى تعطي هذه المباني مثالاً جيداً لمجمع القصر، الذي يستخدم أعداداً كبيرة من الحرفيين المختصين[2].

الألف الأول ق.م والمستقرات المتأخرة :

تضمنت الفترة الآشورية المتوسطة والمتأخّرة، الفترة الرومانية، التي وجدت آثارها بشكل كبير في محيط البلدة، ويعتقد أيضاً بوجود معبد آشوري متأخّر في الجزء الشمالي، اعتماداً علـى اكتـشاف لوحين طينيين يعودان للفترة الآشورية المتأخّرة، أما آخر طبقة سكنية باقية على التلّ الرئيـسي تعـود للفترة الآشورية الوسيطة[3].

حموكار Hamoukar

يقع تلّ حموكار في محافظة الحسكة في الزاوية الشمالية الشرقية من حـوض الخـابور، فـي السهول الخصبة بين سلسلتي جبال طوروس في الشمال وجبل سنجار في الشرق، وعلى مسافةٍ تقـدر بـ 70 كم وعلى بعد 50 كم من نهر دجلة باتجاه الجنوب والغرب[4].

أكّدت المكتشفات أن التل كان مأهولاً منذ دور حلف والعبيد، وأصبح مدينةً لها شأن منذ الألـف الرابع ق.م، وتشير المكتشفات المميزة، إلى ثقافة محلية لشمالي العراق وسـورية، تمثّلـت بـالأواني الفخّارية المحلية والأختام المسطّحة من العظم المقابلة لفترة أوروك المتوسطة بالشمال.

فقد دلّت المعطيات الحالية التي حصلنا عليها نتيجة دراسة مجموع اللقـى الـسطحية، أن التـل الرئيسي بلغت مساحته 15 هكتاراً على الأقلّ في العصر النحاسي المتأخّر (أوروك متوسط شـمالي). وتشير السوية A التي تعود لفترة أوروك متأخّر، التي عثر فيها على فخّار الجنوب، أنها كانت بـنفس

1 -Eidem. J and Warburton.D, In The Land of Nagar : A Survey Around Tell Brak Iraq-LVIII,1996,p.55
2 - Oates,David and Joan,Tell Brak: AStratigraphic Summary 1976-1993- Iraq-LVI,1994 –p.172
3 - Reckitt Albert, Tell Brak - Ancient Nagar Op. cit
4 - أور جيسن ، المسح الأثري ودراسات المشهد الطبيعي في منطقة تل حموكار 1999- 2001 – الحوليات الأثريـة العربيـة السورية، المجلد 47- 48/ 2004- 2005، ص 9- 10

الحجم تقريباً، وبعد فترة انقطاع، عاد السكن إليها وبلغ التل في فترة نينوى V حوالي 105 هكتار، التي تقابل فترة ليلان IIId، وتدل كسر الفخار على استمرار أكبر للسكن من حجم الـسكن خـلال الفتـرة الأكادية واستمرت حتى نهاية الألف الثالث ق.م. وتحول إلى قرية صغيرة 3 هكتار شـغلت الزاويـة الشمالية الشرقية خلال بدايات الألف الأول ق.م، بعد فترة انقطاع في الألف الثاني، ثم مستقرة 4هكتار تعود للفترة السلوقية في الجانب الشرقي من التلّ، وترجع آخر فترة للسكن في الموقع إلى حوالي 700 بعد الميلاد أي في المرحلة الإسلامية الباكرة[1].

التنقيب:

بدأت بعثة سورية - أمريكية مشتركة (المديرية العامة للآثار والمتـاحف – جامعـة شـيكاغو) التنقيب في هذا الموقع منذ عام 1999م. طبقت على التلّ عملية الجمع النظامي للقى السطح في موسم 1999م لتحديد حجم الاستقرار في الموقع. واتبع التنقيب طريقة السبر الأفقي بدلاً من العمودي نظـراً لخصوصية موقع حموكار، الذي يرتفع حوالي /20متراً / حيث تصعب عمليـة التنقيـب كلّمـا ازداد العمق. فحفر السبر الأفقي بشكل متدرج بين كل درجة وأخرى ارتفاع أربعة أو خمسة أمتار، وكـان الهدف من السبر تكوين فكرة عامة عن كل المراحل التي مر فيها التلّ وإعطاء لمحة عـن تاريخـه. تعود أقدم فترات الاستقرار في التلّ إلى النصف الأول من الألف الرابع ق. م، حيث يظهر توزع كسر الفخّار على سطح التلّ أن الاستقرار في العصر النحاسي المتأخّر كان مقتصراً على 15 خمسة عـشر هكتاراً المكونة لتلّة الموقع[2].

المنطقة A: تعرض طبقة من الألف الرابع ق.م الباكر، حيث عثر في المستويات الـدنيا علـى جدران منازل بنيت من الطوب الفج MUDBRICK وبئر وفرنين للخبز، أما الفخّار المكتـشف، فهـو فخّار محلي تماماً يعود إلى العصر النحاسي المتأخّر، ولكنه ليس باكراً كما هو الفخّار الذي يعود لفترة الانتشار الأوروكي. كما عثر فوق طبقة أوروك على فخّار نينوى V ، وفوق طبقة نينـوى V هنـاك ثلاثة مبانٍ تؤرخ بالألف الثالث المتأخّر، أُسست هذه المباني على حجارةٍ من البازلت الطبيعي، بينمـا القسم العلوي في اثنين منها كانت من الطين المشوي[3] .

المنطقة B: ذات سطح غني ببقايا الكسر، التي تعود لفترة أوروك، وقد عثر فيها على جـدران أبنية وأفران كبيرة و بيضوية، أيضاً عثر على تنور مخروطي للخبز. يشير حجم الأفران، التي يصل قطر بعضها إلى ثلاثة أمتار إلا أنها لم تكن للاستخدامات المنزلية، وعلى الأرجـح كانـت لتحـضير

1 - GIBSON McGuire, First Season of Syrian-American Investigations at Hamoukar,Hasekeh Province, Iraq LXIV,2002, P.49-50
2 - Ibid.P (45-51)
3- Ibid .p.50

الطعام لمجموعة أكبر لصالح عمل مؤسساتي. وتم الكشف عن بئرين كالتي عثر عليها في المنطقة A، مما يشير إلى اعتماد الأهالي على مياه الآبار، ويعزز هذه النظرة أن القرية الحديثة تتبع الأسلوب نفسه في الحصول على المياه الصالحة للشرب[1]، حيث إن تلّ حموكار على عكس بقية المواقع في المنطقة، لا يقع على أحد روافد الخابور.

المنطقة C **:** ظهر من خلال الكسر الفخّارية السطحية في الزاوية الشمالية الشرقية في أسفل جزء من التلّ، أن الموقع شُغل في الفترة الآشورية الحديثة، وفي الألف الثالث ق.م، كما تظهر زاوية داخلية لمبنى من اللبن مغطّى بطبقة من الطلاء الأبيض، بالإضافة إلى دعامةٍ مزودةٍ بكوتين من جهة المدخل. وتحتوي زاوية البناء على باب يدل نمطه أنه ذو طابع عام وربما كان يمثّل معبداً[2].

تكونت مجموعة النماذج الفخّارية، التي تعود إلى العصر الحجري النحاسي المتأخّر، والمصنّعة محلياً إلى حد كبير من عجينة مضاف إليها القش بكثرة، مثل جرار التخزين الرقيقة الجدران، والقدور الدائرية والطاسات ذات الشفّة المائلة المسماة (المطرقة)، وكذلك سلسلة من الفخّار الرقيق الناعم[3]، كذلك تشير كسر مأخوذة من السطح من ضمنها الطاسات ذات الشفّة المائلة، إلى ما يعرف بالانتشار الأوروكّي. وقد قدمت المنطقة A مجموعة كاملة لأنواع من فخّار الجنوب العراقي[4].

من بين أهم المكتشفات التي وجدت في المنطقة B مجموعة من الأختام المتنوعة الأحجام والأشكال، حيث عثر على 89 ختماً مسطحاً على الأقلّ، وخمسة آلاف خرزة من العظم وبعضها من الصدف، الحجر والخزف، بعضها معروف في تلّ براك (أوروك متوسط شمالي)، وكسرات من العظم عبارة عن تماثيل صغيرة، التي عرفت بتماثيل العيون "eye idols" ، أما الأختام فقد تنوعت بين أختام صغيرة الحجم ومتوسطة وكبيرة.

الأختام الصغيرة والمتوسطة : كانت على أشكال حيوانات مختلفة مثل الأسود والماعز والدببة والوعول والكلاب والأرانب والأسماك والطيور. وقد اكتشفت تعاويذ شبيهة بتلك التي في تلّ براك، لكن تعاويذ تل حموكار اعتبرت أختاماً لوجود صورة الختم عليها.

الأختام الكبيرة: كانت جيدة الصنع عليها مشاهد من حيوانات ذوات قرون، وكانت قاعدة الختم محفورة بخطوط أو بصور تشكيلية، وأحد الأختام الكبرى المميزة كان على شكل نمر منقّط، نقطه مصنوعة من أسافين صغيرة محفورة ومنزلة على جسده.. أما الوجه الأسفل فكان يضم صفّاً من

1 - GIBSON McGuire,2002, Ibid P.53

2 - GIBSON McGuire and AL-AZM Amr Tell Hamoukar, LES ANNALES ARCHELOGIQUES ARABES SYRIENNES 2002-2003-P 90- 91

3 - أور جيسن ، المسح الأثري ودراسات المشهد الطبيعي في منطقة تل حموكار 1999- 2001 – الحوليات الأثرية العربية السورية، المجلد 47- 48/ 2004- 2005، ص 10

4 - المرجع السابق ص 11

الحيوانات ذوات القرون. وعثر أيضاً على ختم آخر كبير على شكل حيوان ذي قرون، وأسفله أيـضاً صور من الحيوانات ذوات القرون.

هذا الاختلاف بحجوم الأختام يدل على اختلاف الوظيفة، التي كانت تؤدى بها بالإضـافة إلـى طبيعة المستخدمين لها ومستوياتهم الطبقية[1]. كما تشير إلى أعمال مكتبية، وإلى علاقاتٍ تجاريـة مـا يدلّ على وجود هيئةٍ إدارية متعددة المسؤوليات.

تل ليلان Tell Leilan شوبات إنليل Šhubat-Enlil

يقع تلّ ليلان في وسط سهل حوض الخابور شمال شرقي سورية، حوالي 25 كم جنوب شرقي القامشلي، وهو مركز استقرار مسور يبلغ حوالي 90 هكتار[2]. وترتفع الأسوار في ليلان حوالي /20م/ فوق مستوى السهل، يمتد مركز الاستقرار حوالي كيلو متر واحد إلى الجنوب (شمال- جنـوب) و0.9 كم (شرق- غرب)على ضفاف وادي الجراح Jarrah، ويظهر على الجهـة الغربيـة مـن المـستقرة الأكروبول (المدينة العليا) وتبلغ مساحته حوالي 15 هكتاراً، من الواضح أنه كان مكرساً لمبانٍ عامةٍ، كما الزقورات في الجنوب.

لقد أوضحت بعثات التنقيب التي عملت في الموقع أن أقدم سوية فيه تعود للألف الخـامس ق.م، واكتسب الموقع أهمية خاصة في الألفين الثالث والثاني ق.م ولعلّه كان أضخم مركزٍ مدني في منطقـة الخابور اعتباراً من 2500- 2400ق.م، حيث يعد تل ليلان ضمن فئة أكبر المواقع حجماً وتعاقب السكن بالنسبة للمنطقة[3].

التنقيب:

نقبت فـي الموقع منذ عام 1978م بعثة أثرية من جامعة يل Yale الأمريكية بإدارة هارفي ويس Harvey Weiss.

تبين من خلال العملية الأولى 1، في أسفل الجهة الشمالية الغربية من الأكروبول (المدينة العليا) في ليلان، أن طبقات السكن في ليلان تمتد من فترة العبيد المتأخّر الشمالي (ليلان VI) السادسة حتـى فترة بواكير الألف الثاني[4]. فقد اكتشف في المدينة العليا من التلّ معبد واسع من اللـبن يعـود للألـف الثاني قبل الميلاد مزين بمحاريب، تتوسطها أنصاف أعمدة محلزنة على شكل جذوع النخيل، وتحتـه معبد يعود لفترة أقدم. كذلك تم العثور على قصر في المدينة المنخفضة وقد عثر بداخله على مجموعة

1- GIBSON McGuire, 1999-2000 Annual Report, - http://oi.uchicago.edu/research/pubs/ar/99-00/hamoukar.html

2 - Weiss Harvey - THE ORIGINS OF TELL LEILAN , Paléorient vol 912/1983 p. 42
3 - Weiss Harvey - THE ORIGINS OF TELL LEILAN, Paléorient ,Dec 9/1984 p. 1-2
4 - Weiss Harvey - 1983 Op. Cit, p. 42

من الرقم المسمارية. ويرجح أن تلّ ليلان هو موقع مدينة شوبات إنليل *Šubat-Enlil* ، عاصمة الملـك شمشي حدد، الذي أسس إمبراطورية حوالي نهاية القرن التاسع عشر قبل الميلاد، فقد عثر على رقـيم في منطقة المعبد دون عليه اسم هذا الملك واسم ابنه[1]. وكان اسمها القديم شخناShekhna عاصمة بلاد آبوم Apum ، وعاد ليظهر من جديد بعد وفاة شمشي حدد، حيث تم التعرف عليها من خلال النصوص المكتشفة في ليلان التي تذكر شخنا[2].

تشير نتائج السبر الصغير في البلدة السفلى العملية (57FO2) إلى أن مركز الاستقرار في ليلان قد امتد بشكلٍ له شأن في بداية فترة ليلانII واستكمل في الفترة I .

كما يشير السبر الآخر الذي أجري في سور المدينة (العملية 2) أن سور المدينة قد بني للمـرة الأولى في الفترة II، وربما استمرت العملية خلال فترة ليلان I . كما أكّدت العملية 1 للسبر الخطـوط الخارجية لتغيرات الفخّار المعروف سابقاً في تنقيبات مواقع أخرى في شمالي العراق وسورية.

تستمر مجموعات الفخّار في الفترة الخامسة، بتقليد أشكال أوانٍ وأوعية الفترة السادسة، و لكـن يرى تراجع مفاجئ في إنتاج الفخّار الملون(المطلي). تتميز الفترة الرابعة عن الفترة الخامسة بوجـود الطاسات المشطوفة الحواف[3].

يفترض التأريخ بالكربون المشع الذي تضمن فترة الطبقة IV الرابعة في ليلان أن هذه الطبقـة معاصرة لتلك من أوروك إنانا IVa ومجموعات أخرى من فترة أوروك المتأخّرة. وتقدم الفترة الثالثـة في ليلان ما يعرف بفخّار نينوى V، حيث أنتج هذا الفخّار بنوعيه الملون والمحزز بعيد آخـر طبقـة (طور) الطاسات المشطوفة الحواف في ليلان ويميز حوالي 25 طبقة سكن متتالية[4]، ربما يعـد هـذا أطول تعاقب لمثل هذا الفخّار اكتشف حتى الآن.

تلّ موزان Tell Mozan – أوركيش Ur-Kish / Ur-Keš يقع تلّ موزان الأثري في الجزيرة السورية العليا، غرب مدينة القامشلي، شمالي محافظة الحسكة بنحو 100 كيلومتر[5]، وتبلغ مساحة التلّ المركزي نحو 18 هكتاراً. تمتد حدود المدينة الخارجية حوالي 400 متر بمساحة كلية 135 هكتـار، يرتفع عن السهل المجاور حوالي 25 متراً[6].

---

1 - PARAYRE Dominique et WEISS Harvey, TELL LEILAN Les Dossiers D´Archeologie, 155/Decembre 90/40 France,p.39 -40

2 - حمادة حميدو، تل ليلان (شخنا- آبوم- شوبات إنليل)- دراسات تاريخية- 3/1990- 4 ، 37- 38 – ص87

3 - Weiss Harvey- 1983 Op. Cit, p.44

4 - Ibid. P. 46

5 - سليمان أنطوان، بوتشلاتي جورجيو ومارلين- أوركيش (تل موزان) - الموسوعة العربية -المجلـد 4 ط1، دمـشق 2001، ص224

6 - Tell Mozan, Ur-Kish,THE OXFORD ENCYCLOPEDIA of ARCHEOLOGY IN THE NEAR EAST- 1997,NEW YORK- OXFORD – VOL 4 - p.60

يعد تلّ موزان من أهم مواقع الألف الثالث قبل الميلاد في الجزيرة العليا، إذ أنه يضم أطلال أول عاصمة للحوريين★، وهي مذكورة في النصوص والأساطير الدينية، وكان لها أثـر سياسـي وديـنـي رئيسي وكانت مركز الإله كوماربي، الذي يعد كبير الآلهة. وقد ارتبطت أوركيش بتاريخ الحوريين في الألف الثالث قبل الميلاد، وكان لها شأن متميز بصفتها مركزاً سياسياً وحضارياً يعطي معلومات وافرة عن تاريخ سورية القديم وحضارتها[1].

التنقيب:

بدأت البعثة الأثرية السورية - الأمريكية العاملة في تلّ موزان أعمالها عـام 1984م برئاسـة جورجيو بوتشلاتي ومارلين كيلي (Buccellati Giorgio و Marilyn Kelly-Buccellati)، وفـي العـام 1988 شاركت الجمعية الشرقية الألمانية في أعمال التنقيب في الموقع.

بلغ تلّ موزان في منتصف الألف الثالث أقصى امتداد له، نحو 140 هكتار من خلال مادة الألف الثالث التي وجدت منتشرة تحت السطح.

كشفت التنقيبات عن مبنى AK، يعود إلى منتصف الألف الثالث ق.م، قرب الموقع المفتـرض لبوابة المدينة، عرف في البداية كمخزن ضخم، وكانت الحفريات قد بدأت في خندقٍ استنادي AS ، قدم لنا توثيقاً طبقياً جيداً، يمتد من فترة نوزي في الأعلى حتى الفترة الأكادية في الأسـفل، وبعـد التوسع بالعمل عثر على ما يدل أنه بقايا مبنى عام حسن التخطيط، حددت هويته الأولية أنه مستودع ملكي أطلق عليه AK . وكان الاكتشاف المميز في القطاع B من المبنى في الجانب الغربـي، هـو العثور على أكثر من ثمانين طبعة ختم في حجرة صغيرة، أكثرها طبعات حاويات وأبواب، وهنـاك حوالي عشرين ذات نقوش كتابية، في حجرة صغيرة، تماثل ما كان يعرف في الفتـرة الـسومرية E2.KIšIB، أي<<غرفة التختيم>>[2]

عززت التنقيبات في (1996- 1997) التي كشفت عن مدخل رئيسي بارز في الـشمال الغربـي، فكرة أن المبنى هو عبارة عن قصر ملكي، حيث يشكّل المخزن السابق الذكر جزءاً من مجمع القصر الملكي، حيث دلّت محتوياته على أنه كان يستخدم في حفظ وإعادة توزيع المنتجات، التي كانت تُخزن

★ **الحوريـون:** هم من شعوب الشرق القديم، كان موطنهم الأم في المناطق المحيطة ببحيرة فان(وان) شرقي تركيا، تعود أصولهم لمجموعة الشعوب الهندو- آرية، اندفعوا نحو الجنوب في مطالع الألف الثالث قبل الميلاد وانتشروا في المناطق الواقعة بـين سفوح زغروس وجنوبي أرمينيا (كركوك) والجزيرة السورية، وهي المنطقة المعروفة في المصادر الأكادية "سـوبرتو" وقـد توسعت دلالة الاسم الجغرافية لتشمل الشعب واللغة، شهد القرن السادس عشر ق.م ظهور مملكة ميتاني الحورية وعاصـمتها واشوكاني (عند منابع الخابور). **اسماعيل فاروق -الموسوعة العربية -المجلد الثامن ط1 ، 2003، ص(659- 660)**

1 - بوتشلاتي جورجيو ، موزان / أوركيش، وثائق الآثار السورية 1، دمشق 2002، ص 213

2 - Buccellati.G & M.Kelly- The Seventh Season of Excavation at Tell Mozan,1992, Chronique Archéologique en Syrie vol 1,1992,P.80-81

فيه لصالح الملكة وحاشيتها بشكلٍ خاص[1]. ويتوضع على قمة التلّ مبنى كبير هو المعبـد BA الـذي سمي معبد الأسد، بسبب تمثال صغير يمثل أسداً عثر عليه في طريق مؤدية إلى المبنى. تعود الفتـرة الأولى للمعبد إلى الألف الثالث ق.م (عصر السلالات الباكرة III)، وهو يمثّل واحداً من أكبر المبـاني الدينية في تلك الفترة في سورية، إن حجم البناء له تقريباً أبعاد المبنى الخارجية للمعبـد D فـي إبـلا والبناء الخارجي Aussenbau والبناء الحجري Steinbau I في تلّ خويرة، لكنّه قد يفضلهما من حيـث الاتساع الداخلي للمبنى، وقد عثر على أكثرمن مئة أداةٍ برونزية في منطقة المعبد، وتؤرخ الفترة الثالثة حديثاً إلى فترة الخابورحوالي 1800ق.م.[2]

الأختام والأختام المنقوشة:

نظراً لكم الأختام والطبعات التي عثر عليها في الموقع سنفرد قليلاً من الدراسة التـي أجريـت على هذه الأختام للتعرف على حجم التعاملات التي مثّلتها ونوعها، ومـستوى فـن الـنقش والكتابـة المستخدمة.

سمحت لنا الأختام بتحديد هوية مدينة أوركيش القديمة. فقد تم التعرف على خمسة أختام للملـك، وتميز صانعو الأختام بأوركيش بخبرة خاصة، فقد نقش ختم نقشاً موجباً، مما يجعلنـا إذا أردنـا أن نقرأ النقش المسماري قراءةً صحيحةً أن ننظر إلى صورة الختم في المرآة، مما يمكنُنا من قراءة اللقب الحوري **إندان** endan ، واسم العلم الحوري **توبكيش** s+Tupki، واسم المدينة **أوركيش**. وتقع على نقش الختم هذا كتابة خاصة للرمزs+Ki واضحة أشد الوضوح، لكنّها لاتوجد على ختم آخر وحفظ في ثلاث وثائق فقط: هنا تقع الكتابة القياسية للرمز المركب s+Ki مع نفس سلسلة العناصر الموجودة في النقوش الكتابية على أسود تش- أتل Tich- atal الموجودة في متحف اللوفر والمتروبوليتان★، التـي يمكـن إرجاع أصلها الآن إلى تلّ موزان[3].

للملكـة ثمانية أختام، قُدم على كل منها اسمها الأكادي، **أفينيتوم** مكتوباً إما: كور_زا _ني_ تم. Kur - Za –Ni –Tum ، أو: زا _كور_تور_ني_تم. Za -Kur - Ni –Tum . وتنقسم النقوش على هـذه الأختام، تبعاً للقب الذي يأتي بعد اسم العلم، إلى ثلاثة أقسام. فأحدها يقدم اللقب ملكـة NIN ، والثـاني

---

1 - بوتشلاتي جورجيو ، موزان / أوركيش، وثائق الآثار السورية 1، دمشق 2002، ص 214

2 -Buccellati.G & Kelly. M, TELL MOZAN, Les Dossiers D´Archeologie, 155/Decembre 90/40 France,p. (20-22)

★ توجد نسخة مصبوبة عن الأصل في متحف دير الزور ويحوي الرقيم أقدم النقوش الملكية المعروفة باللغة الحورية. يقول: "بني تيش- أتل، إندان من أوركيش، معبد (الإلهة) ريغال. ليحمي لوباداغا هذا المعبد. وليقض لوباداغا على من يخربه، ولايـسمع إله الأعاصير (؟) صلواته(؟). وليكن كل من سيدة ناغار، إله الشمس وإله القمر هم من يدمره..." **دليل متحف دير الـزور _ دمشق 1999، ص 78**

3 - بوتشلاتي جورجيو ، موزان / أوركيش، وثائق الآثار السورية 1، دمشق 2002، ص 214

لقب زوجة توبكيش DAM s+Tupki ، بينما على الثالث لقب النعت البـسيط زوجـة DAM دون اسـم الزوج كلقب مميز بمعنى "الزوجة الرئيسة".[1]

كما برز فن النحت للألف الثالث من خلال النقوش الملكية الأوركيشية، وتجلّى ذلك فـي نحـت صور أختام الملك والملكة والمربية زامينا. يظهر الملك في أحد أختامه(k2) في ثوب طويل متـدرج، ممسكاً بصولجان رسمت عليه صور لأسد مضطجع عند قاعدة العرش. تنتـصب فـوق رأس الأسـد صورة صغيرة لولي العهد ملامساً حجر الملك، إشارة إلى التبعية وتقديم فـروض الطاعـة. وهنـاك انعكاس للبرنامج الملكي مشابه، على ختم الملكة (q2) على هذا الختم تمسك الملكة الطفل في حضنها، بينما يظهر ولي العرش مرة أخرى ملامساً حجر الصورة من جهة اليمين.

كما ظهر عدد كبير من الأختام التي تتعلّق بالملكة استعملت ثمانيةٌ منها على حاويـات مغلقـة، دليلاً على دور الملكة في الإدارة والأعمال المكتبية، وهي تظهر على أختامها الخاصة جالسة، مرتدية ثوباً طويلاً متدرجاً، ويصور شعرها على شكل جديلة تتدلّى على ظهرها وقد شبكت قرب نهايتها بحلية مزخرفة من حلي الضفائر. وتعرض سبعة من أختامها مشهداً فريداً، يمثّل فتاة شابة في مقابل الملكـة تمد يدها وتلمس حجر الملكة، ترتدي الفتاة ثوباً متدرجاً كثوب الملكة عندما تظهر على الأختام العائدة للمربية زامينا. وعلى الأختام العائدة للملكة ، تظهر وصيفات القصر يرتدين الثوب المهـدب بـصورة نموذجية والفتاة كما الملكة قد ضفرت شعرها بجديلة وشبكتها بحلية مشابهة ، في حين الملكة تمد يدها على حجرها نحو الفتاة تمسك باليد الأخرى قدحاً مخروطي الشكل.

إن تحليل المشهد يبين الدلالات المرتبطة بالأسرة الحاكمة، فالأميرة تؤدي فروض الطاعة للملكة بشكل مماثل لموقف ولي العرش على ختم الملك، وختم آخر للسلالة الحاكمة، كما أن الأميرات كـان لهن دور في الحياة السياسية للممالك القديمة من خلال المصاهرات التي كانت تقوم بين الملوك لتعزيز العلاقات والتحالفات فيما بينهم. لقد صورت المشاهد بواقعية عكست براعة الفنان الذي عني بالتفاصيل الوصفية كجديلة الفتاة والحلي والأسود....، بالإضافة إلى الإيماءات التي حرص على إبرازهـا مـن خلال المشاهد، التي تؤثّر في النفس كاختلاف الأحجام والوضعيات واللباس، كلها تسهم في نقل رسائل معينة، وكانت الحيوانات لها نصيب وافر من كلّ هذا وعلى رأسها الأسد، التي برزت أهميته بارتبـاط صورته مع الملكية الأوركيشية[2].

1 - بوتشلاتي جورجيو،2002 المرجع السابق ص214

2 - المرجع السابق، ص 215

تلّ بيدر Tell Byder نابادا Nabada

يقع تلّ بيدر على بعد 35 كم إلى الجنوب- الجنوب الغربي من الحسكة، ويتوضع بشكل مثـالي عند تقاطع طريقين رئيسين هما الطريق الشرقي الغربي، الذي يؤدي من دجلة إلى الفرات والطريـق الشمالي الجنوبي الذي يؤدي إلى ديار بكر وإلى منطقة ألتينوفا. تعود المدينة إلى الألف الثالـث قبـل الميلاد. ويعد تلّ بيدر مدينة من الفئة الثانية، تبلغ مساحتها حوالي 25 هكتاراً، وتتبـع نظـام المـدن الإكليلية المعروفة في ذلك العصر[1]. تنتشر المدن الإكليلية* crown city على جزء من شمالي العـراق وسورية وفق محاور، يمكن مطابقتها مع الطرق الرئيسة، التي كانت قائمة في ذلك العصر، ويتركّـز معظمها شمالي جبل عبد العزيز في الجزء الغربي من مثلّث الخابور، وتأتي هذه التسمية فـي ضـوء المظاهر الطبوغرافية للهضاب التي قامت فيها هذه المستقرات المتميزة[2]. وقد تمتّعـت هـذه المـدن باقتصاد اعتمد على الزراعة والرعي، كما اشتركت في شبكة المبادلات التجارية التـي نـشطت فـي منطقة الخابور لأهميتها الجغرافية على طريق القوافل بين الأناضول وجبال القوقـاز شـمالاً ومـدن الجنوب[3].

تعكس طبوغرافية الموقع لتلّ بيدر، مدينة دائرية كبيرة القطر، تحيط بها تحصينات دفاعية فيهـا سبعة أبواب ويرجع هذا الموقع بوضوح إلى الألف الثالث وكان قد أعيد إعماره جزئياً خلال العـصر الهلنستي. تحيط بالموقع الدائري مدينة منخفضة مساحتها أكثر من 50 هكتاراً، وكانت قد أنشأت فـي العصر الميتاني، حوالي القرن الرابع عشر ق.م، وقد هجرت ثم أعيد بناؤها خلال العصر الآشـوري الحديث (بيدر II). إضافة إلى ذلك تم التعرف على بعد نحو كيلومتر جنوبي التلّ، الذي يرجـع إلـى الألف الثالث على موقع ثالث هو بيدر III، وقد تم فتح سبر وصل إلى الأرض العـذراء فـي عـام 1996م، وكشف عن سويات إعمار تنتمي إلى العصر الحجري النحاسي الحديث1,2 أي حوالي الفترة مابين عامي 4300- 3700 ق.م[4].

التنقيب:

نظّم البعثة الآثارية السورية- الأوروبية المشتركة في تلّ بيدر المركز الأوروبي للأبحاث حول بلاد الرافدين العليا، وذلك بالتعاون مع المديرية العامة للآثار والمتاحف في سـورية. يـرأس القـسم

---

1 - سليمان أنطوان، لوبو مارك، تل بيدر/ نابادا، سلسلة وثائق الآثار السورية VI،دمشق – 2005- ص 7

★ تتميز المدينة الإكليلية crown city ذات الشكل التاجي بمدينة وسطى دائرية الشكل ومدينة منخفضة تحيط بهـا مـع سـور المدينة وكأنها إكليل(تاج) حولها. **دليل متحف دير الزور، دمشق 1999- ص 53**

2 - دليل متحف دير الزور، دمشق 1999- ص 53

3 - معرض الآثار السوري الأوروبي ، دمشق- 1996- ص 80

4 - سليمان أنطوان، لوبو مارك، 2005 ، المرجع السابق ص 7

الأوروبي من الفريق مارك لوبو Marc Lebeau، في حين ترأس أنطوان سليمان الفريق السوري منـذ 1995 (كان برئاسة حميدو حمادة في عام 1994) وقد تحققت بين عامي 1992 - 2000 إحدى عـشرة حملة تنقيب في تل بيدر[1].

بينت أعمال التنقيب التي قامت بها البعثة على مدى المواسم السابقة أن تاريخ الاستقرار يعـود إلى بداية الألف الثالث ق.م.

المراحل القديمة:

مراحل الجزيرة القديمة IIIa على الأكربول The Early Jazirah IIIa

أجريت ثلاثة أسبار في منطقة الأكربول (المدينة العليا):

- الأسبار تحت القسم الغربي من القصرIIIb المرحلة 1

كشفت الأسبار التي أجريت عن شبكة من اللبن الكثيف جداً، ظهرت مباشرة تحـت أرضـيات الحجرات الثلاث، التي تنتمي إلى المرحلة 1 من القصر الذي يرجع إلى عصر الجزيرة القـديم IIIb ، عن وجود بناء رسمي سابق، يقوم على ركيزتين أو ثلاث من اللبن[2].

- السبر في الخندق الأكادي

تم الكشف عن جدارين من عصر الجزيرة القديم IIIa في عمـق الخنـدق الأكـادي. وهـذان الجداران مؤلّفان من اللبن المستطيل الشكل، وهما يرجعان إلى مرحلة الجزيرة القديمة IIIa القديم

- السبر تحت أرضية المساحة المركزية للمعبد A

تم بلوغ سوية الجزيرة القديمة IIIa تحت المساحة المركزية للمعبدA العائد لعصر الجزيرة القديم IIIb تحت طبقة كثيفة من الردميات (1.50 م). وكما في الأسبار الأخرى تم التعرف هنا على مرحلتين من عصر الجزيرة القديم IIIa . وتشتمل المرحلة الحديثة على حجرة صغيرة مجهزة بحـوض وثلاثـة مساحق للحبوب (جاروشة) في مواضعها. أما المرحلة القديمة المتوضعة مباشرةً تحتها فمثبتـة مـن خلال وجود جدران ضخمة من اللّبن المستطيل الشكل والمغطاة بطلاء سميك، وقد كشف عن ختمـين لباب متكسرين في هذه المنطقة[3].

القصـر

يشرف الأكربول المركزي الصغير على المدينة العليا في تلّ بيدر من على ارتفاع يزيـد قلـيلاً على سبعة أمتار وعلى السهل المحيط بها بـ 27,5م. وهنا كشفت التنقيبات تحت الـسوية الـسلوقية وعدد من السويات الأكادية، عن مبنى رسمي كبير من عصر الجزيرة القديم IIIb وهو بناء ذو طبيعة

1 - سليمان أنطون ، لوبومارك، 2005 ، المرجع السابق ، ص 7

2 - المرجع السابق، ص9

3 - المرجع السابق، ص10

ملكية. يمكن التعرف على المرحلة الرئيسية للقصر نحو 2475- 2400 قبل الميلاد من خلال الجدران البنية من اللّبن الفاتح. يأخذ البناء شكل شبه منحرف، ويقع مدخله الرئيسي في الواجهة الجنوبية. يضم المبنى ثلاث عشرة حجرة و باحة في حالتها الأولية. والأرضيات مغطاة بطبقة سميكة من الجص. بالإضافة إلى طابق علوي يمتد على أكثر من نصف مساحته[1]. يتبع البناء الأصلي المخطط التقليدي للعمارة الرسمية في العراق خلال الألف الثالث ق.م، وهي وجود باحة مركزية تحيط بها أجنحة مؤلّفة من حجرات أصغر. وقد تم تجديد المبنى في المرحلة الثانية من الإعمار نحو 2475- 2450 قبل الميلاد، فأضيفت وحدات معمارية جديدة مؤلّفة من سلاسل من حجرتين أو أربع حجرات إلى الشرق والى الشمال من الواجهات البدئية. وقد تضاعف عدد الحجرات في المرحلة الثانية 26 أو 27حجرة[2].

أما في المرحلة الثالثة من البناء والتجهيز نحو 2450- 2415 قبل الميلاد كانت المدينة تحت سلطة ناجار، كما تفيد المعطيات الكتابية المتوفرة لدينا. فكانت التجديدات بحدها الأدنى في أجزاء القصر المتضررة لعدم توفّر الإمكانيات اللازمة، فأخذت الأعمال طابع الترميم والإصلاح، حيث تم إعادة إشغال الجزء السليم من البناء (النصف الشرقي من القصر الأصلي) مع الحفاظ على سوية الأرضية الأصلية، وتقليص مساحة الباحة ببناء ثلاثة ملاحق صغيرة.

بالمقابل فقد سويت بالقسم الغربي من القصر الجدران العائدة للمرحلة الأولى، وردمت المساحات على ارتفاع مترين بدكّات من اللّبن، التي توضعت بشكل منتظم وبنيت فوق هذه الردميات جدران من اللّبن الأحمر. كانت مادة البناء من النوعية السيئة وبنيت بشكل سريع. لكن مايميز هذه المرحلة على الرغم من التراجع وقلة الإمكانيات، هو نظام الصرف الصحي والحمامات، كالمرحاض المبني فوق مصرف من أنصاف جرار متلاصقة على عمق 18م وقناة منزلية لتصريف مياه الأمطار المجمعة في الباحة المركزية. كما عثر على عشرين رقيماً في القصر، وقد تم الكشف بشكل خاص عن 16 لوحاً إدارياً في عام 1996م داخل حجرة صغيرة في القطاع الشمالي من المبنى[3].

المعابد:

يتألف التلّ من مصاطب ترتفع نحو الأكربول، بشكل تدريجي جداً في النصف الشمالي من هضبة المدينة العليا، وبشكل أكثر انحداراً ووعورة في قسمها الجنوبي. حيث بنيت على المصطبة العليا، في قلب المدينة العليا، أبنية عديدة كان من بينها البناء الرئيسي، وهو عملياً القصر. وعلى هذه المصطبة نفسها ثمة بناء ضخم، هو المعبد A وملحقاته وهي عبارة عن مجموعة من المخازن، يحاذي القصر باتجاه الجنوب، ويتوضع إلى الجنوب على مصطبة متوسطة تنخفض حوالي مترين عن

1 - سليمان أنطون ، لوبومارك، 2005 ، المرجع السابق ص 22

2 - المرجع السابق ص 23

3 - المرجع السابق ص 24

المصطبة العليا،المعبدB والمعبد C . أما المعبد D فقد بني إلى الشرق، وترتبط مع هذه المعابد مجموعة من الأبنية عبارة عن مخابز ومخازن و مشاغل[1].

تتقاسم هذه المعابد سمات مشتركة تندرج فيما يأتي : يكون المدخل مزخرفاً بتراجعات جدارية مع درج من الحجر أو اللّبن المشوي. مع باحة مواجه المدخل وتشتمل على غرفة استقبال مبلّطة ببلاطات مشوية وتوجد قاعات مياه ، مزودة بمراحيض عالية التجهيز.

أما الساحة المركزية فقد زودت بالتجهيزات التالية: كتلة عالية مبنية وملتصقة بالواجهة الداخلية لأحد الجدران، وهي مزودة بتناوبات ناعمة من المحاريب المجوفة والبارزة، ومقعد منخفض مجصص، على امتداد قاعدة الكتلة المزينة ودكة كبيرة منخفضة ترتكز على الأرضية اليسرى للكتلة المبنية .

بالمقابل فإن الكتلة تقع دائماً إلى اليمين عند الدخول إلى الساحة المركزية ابتداء من غرفة المدخل، وهي لاتكون مرئية إلا بعد اجتياز الباب ويتطلّب الدخول تغييراً في الاتجاه. ويتم الدخول من خلال الساحة المركزية إلى غرفتين، الأولى هي غرفة المياه، أما الثانية فهي غرفة قدس الأقداس (السيلا *cella*)[2] وتشترك جدران هذه المعابد بمادة البناء وهي اللّبن البيج البرتقالي، وهي ذات أبعاد وثخانة متطابقة[3].

ألواح بيدر المسمارية:

يعد اكتشاف مئة وأربع وأربعين لوحاً طينياً، في نهاية الحفريات عام1994، أهم اكتشاف لألواح تعود إلى الألف الثالث في منطقة شمالي العراق وسورية، وهو أول دليل على الثقافة المكتوبة في عصر السلالات الباكرة في منطقة الخابور، وقد عثر عليها في ثلاث حجرات في الورشة ب، تعود للعصر ماقبل الشاروكيني ، تتضمن هذه الرقم نصوصاً إدارية تعود للألف الثالث (محاسبة، الأنشطة الزراعية والرعوية بالمدينة، جداول شخصية حسابات الحصص والكرايات) وتشير إلى العلاقات، التي كانت قائمة مع الجوار مثل تلّ براك[4].

شَكَربزر Chagar Bazar

يقع تلّ شَكَر بزر على الضفّة اليمنى لوادي خنزير أحد روافد نهر الجغجغ ، حيث يبعد مسافة 46 كم شمالي محافظة الحسكة، شمال شرقي سورية، تبلغ مساحته 12 هكتاراً، ويرتفع عن السهول المحيطة به 21 م[5].

---

1 - سليمان أنطون ، لوبومارك، 2005 ، المرجع السابق ص 25

2 - المرجع السابق ص 26

3 - المرجع السابق ص 27

4 - سليمان أنطوان ، لوبومارك، تل بيدر، معرض الآثار السوري الأوروبي ، دمشق- 1996- ص 84

5 - بغدو، عبد المسيح حنا - مائة وخمسون عاماً من البحث الأثري في الجزيرة السورية، دمشق2009 ص 66

يمتد تلّ شكر بزر ضمن نطاق الزراعة البعلية، والإنتاج الرعوي، ويتميز بقربه مـن الطـرق المؤدية إلى جبال طوروس ومصادر المواد الأولية المتوافرة في تركيا، وقد دلت التنقيبات على مرحلة طويلة من الاستقرار في الموقع امتدت من الألف السادس وحتى الألف الثاني ق.م، وحتى الآن تمـت دراسة الاستقرار في فترات الألف الرابع والثالث وبـواكير الألـف الثـاني، والعلاقـات الـسياسية والاقتصادية بين شكربزر ومحيطه المجاور، وخلال هذه المدة تعرضت المنطقة إلى تدفق مجموعـات قادمة من جنوبي العراق على مرحلتين، وقد شهد نموذج المستقرة ارتقاء مدنياً، وقد رافقـت عمليـة التمدن هذه، حالة التمدن التي شهدتها المدن الإقليمية التي كانت شكربزر على علاقة مباشرة معها[1].

التنقيب:

بدأت أعمال التنقيب الأثري في الموقع مابين (1935-1937 م) بإدارة مـاكس مـالوان وقـد ساعدت الحفريات التي أجريت التعرف على عدة سويات أثرية تعود إلى الألف الخامس وحتى الألـف الثاني ق.م. استأنفت العمل في الموقع مجدداً في عام 1999 بعثة أثرية سورية – بريطانية - بلجيكية مشتركة، وقد ترأس الجانب السوري "عبد المسيح بغدو" ، وبعد أن أنهت البعثة البريطانية أعمالها عام 2002م تابعت البعثة الأثرية السورية – البلجيكية المشتركة أعمالها في الموقع[2].

تبين من خلال التنقيبات ودراسة المواد الأثرية أن التلّ مر بالمراحل التاريخية الآتية:

الفترة ما قبل التاريخية:

أكدت الكسر الفخارية التي عثر عليها في الحقلين E وF المرحلة ما قبل التاريخية في التلّ، حيث قام مالوان بفتح سبرين في الجهة الشمالية الغربية من التلّ الرئيسي، المنطقـة E (الحفـرة مـا قبـل التاريخية)، التي تشير إلى فترة حلف[3].

فترة البرونز الباكر:

تم تمييزها في منطقتين في شكربزر، في المنطقة H التي تؤرخ للبرونز القديم IV وIII (الجزيرة الباكر II – IIIa)، وأخرى في المنطقة D تؤرخ إلى نهاية البرونز الباكر، تشير اصطلاحياً الى فتـرة ما بعد الأكادية (الجزيرة الباكر V- IV).

المنطقة H : تقع في الجناح الغربي من التلّ نقبت (في تنقيبات 2000- 2002- 2006)، ولم يعثر على آثار تدل على فترة البرونز الوسيط في المنطقة.

---

1 - Augusta McMahon, Excavation at Chagar Bazar, north - east Syria
http://www.arch.cam.ac.uk/chagar-bazar

2 - بغدو، عبد المسيح حنا - المرجع السابق ، 2009، ص 159

3 - تونجا أونهان و بغدو عبد المسيح ، شاغار بازار (سورية) 1 الأسبار ماقبل التاريخية (1999- 2001)، 2006، ص(8-9)

تم تمييز خمس مراحل سكن في هذه المنطقة، الفترة V لم تنقب بعد ولكن تظهـر قمـم بعـض الجدران تعود لهذه الفترة، نقبت مباني الفترة IV جزئياً، أما الفترة III تم تمييزها مـن أدوات المقـابر خلال فترة هجران الموقع.

المنطقة D: نقبت بين عامي 1999- 2000 م، عثر على بقايا فتـرة مـا بعـد الأكاديـة تحـت الأنقاض، حيث مازال تاريخها غير واضح، من المحتمل أن هذه المنطقة كانت مـأهولة خلال الفتـرة الإسلامية.

فترة البرونز الوسيط:

يوافق البرونز الوسيط الفترة البابلية القديمة (حوالي النصف الأول من الألف الثـاني ق.م) فـي بابل، شكلت الجزيرة في بداية هذه الفترة حيث يقع شكربزر، جزءاً من مملكة شمالي بلاد الرافـدين، التي أسسها شمشي حدد.

إن اكتشاف الألواح المسمارية، التي خرجت إلى الضوء على يد مالوان في عام 1936، قـدمت العديد من النظريات حول الأسم القديم لشكربزر. كما اكتشفت مجموعة رقم مسمارية أخـرى خـلال التنقيبات في مواسم 2000- 2001- 2002- ومع ذلك لم يتم تعيين هويتها بشكل نهائي. من الواضح أن شكربزر قد عرفت بأشناكوم Ašnakkum، التي كانت من أهم الممالك في المنطقة قبل احتلال شمـشي حدد، حيث ترينا الشواهد من نصوص ماري أنه بعد موت شمشي حدد، قد تطورت مرة أخرى إلـى مملكة مستقلة وقوية[1].

تبين من الأنقاض المتراكمة حوالي6 م في المنطقة I تمييز عشر مراحل من السكن رئيسية أقدمها يوافق المبنى المتعلق بالقصر الذي يعود إلى فترة حكم شمشي حدد، وأعطـت المرحلـة الحاليـة VIII شواهد عن أبنية متعلقة بالقصر بعد اختفاء مملكة شمالي بلاد الرافدين. كما تم اكتشاف اثنا عشر موقعـاً في هذه المنطقة، يبدو أكبرها أنه بني خلال فترة سكن البناء المتعلق بالقصر الذي يعود للفترة VIII .[2]

إن حجم المعلومات الواردة من دراسة المواقع السابقة، التي تعد من أكبر وأهـم المواقـع فـي منطقة الجزيرة السورية وشمالي العراق، يؤكد عمـق التجـذّر التّـاريخي والمـساهمة الحـضارية الواضحة، التي امتدت من عصور ما قبل التاريخ حتى ازدهار المدنية، بكل ملامحها الحضارية. لقـد كانت بكل تأكيد ذات ملامح سورية محلية مع تأثيرات من الجنوب العراقي، الذي شكّل مـع محيطـه وحدة حضارية تشاركت السمات الحضارية نفسها.

1-The land of Sumer and Akkad Greater Mesopotamia Reconstruction of Enviroment and History . http://www.sumer_akkad.ugent.be/index.php?id=23&type=content

2 - المرجع السابق

الفصل الثاني

نهاية الألف الرابع وبداية التأريخ

سوريّة في نهاية الألف الرابع وبداية عصر السلالات الباكرة، وانتقالها من ما قبل التاريخ إلى العصور التاريخيّة

- ثقافة أوروك
- حبوبة الكبيرة Habuba Kabira
- جبل عرودة Jebel Aruda
- تل الشيخ حسن Tell Sheikh Hassan
- تل الحاج -حاجي نبي Ha-jih-NEH-bee/ Hacinbi /
- هاسيك هويوك Hassek Höyük
- أرسلان تبه Arslan tepe
- تل براك Tell Brak
- تل حموكار Hamoukar
- الانتشار الأوروكي Uruk expansion
- تفسيرات الانتشار الأوروكي في سورية
- الاقتصاد الرعوي في الألف الرابع في سورية
- الاستهلاك المحلي للحوم الحيوانات وإنتاجها
- الخلاصـة

عرفت هذه المنطقة بزوغ فجر الحضارة والعمران، أو ما يسمى "الثورة المدنية"★ في بـدايات الألف الرابع ما بين 3700 -3100 ق.م، التّي تمثّلت مظاهرها في مجالاتٍ عديدة، تركز أهمهـا فـي العمارة الضخمة، والإبداع الفني والابتكارات التقنية، ولعل الكتابة كانت الابتكار الأهم الذي جاء تلبيةً لحاجات تنظيم المجتمع، ونتيجة لتراكم فائض الإنتاج وازدهار المبادلات الاقتـصادية، التـي تطلّبـت هيكلاً إدارياً يشرف على هذه العمليات.

لقد ظهرت المراكز المدنية المبكرة في جميع أنحاء المشرق في العراق وسورية ومصر وتركيا وإيران، حيث تميز كل منها بملامحه الخاصة. وكانت سورية بإمكاناتها الطبيعية والحضارية مؤهلـةً لتقديم مثل هذه المدنية في وقت مبكر. فكانت ثقافة أوروك uruk/الوركاء warka جنوبي العراق حالياً، المناخ الذي تطورت فيه مراكز شمالي سورية، نتيجةً للعلاقات والمبادلات التجارية. لذلك لا بد تعرف ثقافة هذه المدينة السومرية، التي ستغدو الأنموذج الأقدم على التطور نحو المدينة في العراق والـشام/ سورية على حدٍ سواء[1].

ثقافة أوروك

تقع أوروك على بعد 35 كم شرق المجرى الرئيسي لنهر الفرات، الذي يخترق محافظة السماوة في العراق، في منطقةٍ طينيةٍ غنيةٍ بشبكةٍ من الروافد المائية، حيث شكّل القصب والطين معظم مـواد البناء الأساسية في هذه المنطقة لآلافٍ من السنين.

يرجع اسم أوروك إلى الاسم الأكادي للموقع ما قبل السومري "UNUG". أما الاسـم الحـديث لأوروك هو الوركاء[2]، وتشير الدراسات إلى أن عدد سكانها قد بلغ ما يقارب 50.000 نسمة حـوالي 3100 ق.م[3].

انطلقت حضارة أوروك في الألف الرابع ق.م، جنوب العراق وشمال بلاد الـشام، وكـان لهـا انتشار واسع في المناطق المجاورة، حيث تطورت العمارة وظهرت المـدن المـسورة الأولـى ذات الشوارع المنظمة والأبنية الضخمة، التي اتّضحت معالمها في بناء المعابد الكبيرة. كما تطورت فنـون

★ أول من أطلـق هـذا المصطلـح "الثـورة المدنيـة" علـى فجـر التاريـخ ، هـو العالـم الآثاري جوردان تـشايلد Childe V. Gordon 1950 **في مؤلفـه** ***"The Urban Revolution." Town Planning Review***

أنظر أيضاً1 - George Modelski - CITIES OF ANCIENT WORLD: AN INVENTORY (-3500 TO - 1200) p. 1

1 - عبد الله فيصل- تاريخ الوطن العربي القديم- بلاد الشام سوريا ولبنان وفلسطين والأردن- جامعة دمشق- 2003- 2004م ص27- 28

2 - URUK- WARKA THE OXFORD ENCYCLOPEDIA of ARCHEOLOGY IN THE NEAR EAST - VOL 2 - 1997- P. 294.

3 - George- Modelski, CITIES OF ANCIENT WORLD: AN INVENTORY (-3500 TO - 1200) P.5.

النحت والرسم الجداري وصناعة الأختام الأسطوانية، وظهرت لأول مرة الكتابة، التي وضعت حداً فاصلاً بين عصور ما قبل التاريخ والعصور التاريخية[1].

مرت حضارة أوروك بمرحلتين:

عصر أوروك الباكر 3600 - 3300 ق.م :

تمثّل هذه المرحلة الطبقات 14 - 7 في أوروك، ولقد تميزت بإنتاج أوانـي فخاريـة عرفـت بالأوعية الناقوسية Bevel-rimmed bowls وهي عبارة عن طاسات مخروطية صـنعت مـن الطـين الخشن، ذات قعرٍ ضيق وفوهةٍ واسعةٍ مقطوعةٍ بشكلٍ مائلٍ، ولم يقتصر وجود مثل هذه الأواني علـى جنوب العراق، بل انتشرت على مساحاتٍ كبيرةٍ، وعثر على هذا النوع من الأوعية في شمالي سورية، في موقع حبوبة كبيرة[2]. لقد أثارت هذه الأواني ذات الحجم الموحد ووجودها بأعداد كبيرة، تـساؤلات عن ماهية استعمالها، إذ اعتبرها بعض الآثاريين كأدواتٍ منزلية، أو نـوع مـن مكاييـل الحبـوب[3]. وظهرت الأبنية الدينية الكبيرة، التي ستبلغ ذروتها في المرحلة الثانية، وليست لدينا دلائـل معماريـة مهمة في مدينة أوروك نفسها تعود لهذا العصر، ولكن تقدم لنا السويات المعاصرة في موقع أريـدو★ Eridu/ تل أبو شهرين حالياً، نموذجاً عن هذه العمارة، فقد تم الكشفُ في الطبقات الخامسة والرابعـة عن آثار معابد بنيت على الطراز العبيدي "ثلاثي العناصر" Tripartite[4].

عصر أوروك المتأخّر3300 - 3100 ق.م:

بلغت التطورات الحضارية أوجها في هذه المرحلة، التي تمثّلت فـي الطبقـات 6 - 4 فـي أوروك، برز ذلك في بناء المعابد الضخمة، التي شُيدت وفق المخطط الثلاثي المسمى ثلاثي العناصر، الذي يعود في جذوره إلى فترة العبيد UBAID★★، كما تطور فن النحت والرسم الجداري، والأهم مـن ذلك كله، كان اختراع الكتابة.

---

1 - محيسن سلطان - عصور ماقبل التاريخ-جامعة دمشق- 2006- 2007 ص 259

2 - شترومنغر إيفا ، حبوبة الكبيرة مدينة عمرها خمسة آلاف عام ، دمشق 1984م- ص41

3- AKKERMAN PETER M.M.G- SCHWARTZ GLENN M. THE ARCHAEOLOGY OF SYRIA (FROM COMPLEX HUNTER-GATHERES TO EARRLY URBAN SOCIETIES) (C.16,000_ 300 BC) 2003 P.194

★ أريدو (أبو شهرين حالياً) هي مدينة سومرية ومركز ديني، تقع على الحدود الجنوبية الغربية للعراق /بلاد الرافـدين، تميـزت إريدو بسلسلة من المعابد، التي بنيت وفق المخطط الثلاثي - **Oxford - VOL 2 p. 258-259**

4 - Cambridge Ancient History 1971 - VOL. I- Part 2 - P. (75-79) .

★★ **حضارة العبيد**: ظهرت هذه الحضارة بعد الحضارة الحلفية 4500 - 3500 ق.م جنوبي العراق، ونسبت هذه التسمية إلـى تل العبيد الصغير. مرت بأربع مراحل تطور تركزت الأولى والثانية في جنوبي العراق، وتظهر آثارها في مدينـة إريـدو Eridu القديمة، وفي موقع حجي محمد Hajji Muhammed الواقع شمال تل العبيد، أما المرحلة الثالثة في أواخر الألـف الخامس، تمثلها مدينة تبه جورا .Tepe Gawra شمالي العراق، و تنبع أهمية هذا الموقع من كونه يقدم تعاقـب لطبقـات سكن، تمتد من فترة حلف حتى نهاية العصر الحجري- النحاسي المتأخر Late Chalcolithic/ فترة أوروك. ، وتحققت في المرحلة الرابعة خلال النصف الأول من الألف الرابع إنجازات حضارية مهمة، كاختراع الدولاب السريع. **عبد الله فيصل ، مرعـي عيد، أحمد محمود عبد الحميد – آثار الوطن العربي القديم- العراق – سورية - مصر-جامعة دمـشق 1999- ص (45- 47).**

إن كثافة التنقيبات خلال السنوات الماضية في شمالي العراق و سورية، وجنوبي تركيا، جعلـت من الواضح، أن هذه المنطقة اشتركت في نسيجٍ حضاري واحدٍ ، في فترة ما يعرف بالعصر الحجري النحاسي المتأخر في الألف الرابع ق.م، سواء بقيام مستقرات تابعة للجنوب فـي فتـرات محـددة، أم بحضور المادة الحضارية التي تتسم بالمزيج الثقافي "المحلي – الجنوبي".

حبوبة الكبيرة Habuba Kabira

تمثّل مدينة حبوبة الكبيرة جنوبية، الواقعة على حوض الفرات الأوسط في سورية، أفضل نموذجٍ لمدن هذا العصر، حيث تقع حبوبة الكبيرة الجنوبية، على الضفة الغربية للفرات، وتبعد حوالي 100 كم شرقي حلب، و15 كم شمالي مسكنة. تقدم لنا هذه المدينة وللمرة الأولى دليلاً واضحاً علـى مخطـط مدينة من فتـرة أوروك، يتضـح أنها بنيت على تربة عـذراء لم تُسكن من قبل، وعاش فيها ما بين 6000 – 8000 نسمة على الأقلّ، وبلغت مساحتها 18هكتاراً، وهي من أكبر وأكثر المواقـع المعروفـة عن المستقرات ذات الثقافة الأوروكية[1]. تشير التنقيبات أن السكن امتد في حبوبة لفترة قـصيرة فقـط ربما قرن أو قرنين خلال فترة أوروك المتأخرة. هجرت بعدها حبوبة الكبيرة على نحوٍ مفاجيء، ولـم يعثر على آثار تدمير، ويبدو أن سكانها قد غادروا المكان حاملين معهم مقتنياتهم الثمينة. هذا وقد بنيت حبوبة وفق مخططٍ مسبق ودقيق، حيث أحاط بها سور مزدوج من اللبن طوله 600 م وعرضه ثلاثـة أمتار، مزود بأبراجٍ دفاعيةٍ منتظمة التوزيع وتخترقه بوابتان رئيسيتان[2]. هنا يسترعينا سؤال، إذا كانت المدينة قد تطورت في غياب أي نوعٍ من العداوات أو النزاعات، و تعيش في جوارٍ مسالم لماذا أُنفـق كل هذا الجهد والوقت على هذا النظام التحصيني المهم؟. تقطع المدينـة شـوارع رئيـسية وفرعيـة مفروشة بالحصى[3]، ومزودة بنظامٍ معقّد من قنوات الصرف الصحي التي تكونت من أنابيب فخاريـة تيراكوتا terra- cotta[4]. كما تبنّت العمارة ذات المخطط الثلاثي، التي تتألّف من غرفة مركزية طويلـة في الوسـط وصفيـن مـن الغرف الصغيرة على الجانبين[5]. ويقوم إلى الجنوب من حبوبة تل قناص Tell Qannas، الذي يعتقد أنه كان يمثّل المركز الإداري والديني للمدينة. فقد تمثّل هذا المركز بعددٍ من المباني ذات الأبعاد الكبيرة نسبياً، حيث بنيت على مرتفع أعلى من مستوى مـساكن المدينـة. و قـد خُطّطت تلك الأبنية على غرار مخطّط المساكن، لكنها كانت أكبر مساحةً. ربما كانت تُـستخدم مقـراً لإقامة النخبة في تلّ قناص. حيث استخدمت التزيينات الداخلية نوعـاً مـن الفسيفـساء Mozaics ذات القطع المخروطية المتناوبة الألوان[6].

---

1 - شترومنغر إيفا ، حبوبة الكبيرة مدينة عمرها خمسة آلاف عام ، دمشق 1984م ص 25

2 - المرجع السابق، ص 26

3 - المرجع السابق، ص 28

4 - المرجع السابق، ص 35

5 - المرجع السابق، ص 30

6 - المرجع السابق ص 33

تُعد حبوبة الكبيرة جنوبية المثال الوحيد لعمارة المستقرات في فترة أوروك المتأخرة، ذات الحجم الكبير. فقد بنيت المباني العامة من الطوب المعروف بالريمشن *Riemchen* وهو طوب صغير مستطيل الشكل، ذو مقطع مربع، 22x10x10 cm كان مستخدماً بكثافةٍ جنوب العراق، وما يـزال، ويعـد مـن ميزات العمارة في فترة أوروك. و اتبع المخطّط الثلاثي في العمارة tripartite houses الـذي يعتمـد قاعة مركزية كبيرة في الوسط "middl hall" *Mittesaal* التي تنتظم على جانبيهـا غـرفٌ صـغيرةٌ، وكانت الجدران الداخلية مزودةً بكوى، بالإضافة إلى الجدران السميكة، كمـا اسـتخدمت المخـاريط الطينية clay wall cones في تزيين الجدران الخارجية للمباني العامة، حيـث كـان نمـوذج القطـع الزخرفية التي وجدت في تلّ قناص، وحبوبة الجنوبية موجداً، فقد طُليـت أطـراف هـذه المخـاريط الواسعة بألوانٍ عديدةٍ أسود، أبيض، أحمر أو أصفر، رمادي ، ثم كانت تُرصفُ في الطلاء الطينـي الطري كتزيينٍ جداري، بحيث لا يظهر منها بعد رصفها إلا القسم المطلي، مبدعةً شكلاً من الفسيفساء المتعددة الألوان. وكما ذكر سابقاً كانت هذه المخاريط الطينية المشوية شائعة الاستخدام فـي مواقـع أوروك في جنوبي العراق، وما حولها.[1]

بلغت مساحة معظم البيوت في حبوبة الكبيرة ذات المخطّط الثلاثي 300 m تقريبـاً، ويـرى الباحثون أن القاعة المركزية الكبيرة، استُخدِمت للقيام بالنشاطات اليوميـة، والواجبـات المنزليـة المتعددة، كتناول الوجبات الغذائية، وإدارة العمل، إلى جانب القيام بأعمالٍ أخرى. وكانت هذه الغرف تحتوي في كثيرٍ من الأحيان على واحدٍ أو أكثر من المواقد الأرضية ذات الشكل الإجاصـي، أمـا الغرف المجاورة للقاعة المركزية، غالباً ما استُخدمت للتخزين وتحضير الطعام، أو النوم[2].

مكتشفات حبوبة والعلاقة مع الجوار :

الفخار Ceramic :

تميز الفخار الذي عثر عليه في حبوبة، نموذج فترة أوروك التقليديـة/ الكلاسـيكية، بالإنتـاج الضخم والتخصص، والزخارف التزيينية، واستخدام دولاب الخزاف السريع wheelpotters، الذي زود الإنتاج وساعد في تحسينه، وقد شرع الخزاف باستعماله في صناعة الأواني ابتـداء مـن دور أوروك على الفرات. وهذا يتزامن مع وجود المستقرات الأوروكية في سورية. من جهةٍ أخرى صنعت نماذج متنوعة، تضمنت جراراً كبيرة ذات حزوز أفقية وعروة على أكتافها تستعمل للتعليق، بالإضـافة إلـى قارورات طويلة بميزابة وأواني فخارية أخرى. ولعلّ الفخّار الأكثر إبرازاً لهوية أوروك هو الأوانـي

1 - Oxford VOL 2. 1997-Op. Cit. p. 295

- أنظر أيضاً Cambridge Ancient History - VOL. I-part 2 - P. 77

2 - AKKERMAN PETER M.M.G- SCHWARTZ GLENN M THE ARCHAEOLOGY OF SYRIA,2003 Op. Cit. p.193

الناقوسية والتي أُنتجت بأعدادٍ كبيرةٍ، يدل على ذلك الكميات الكبيرة من القوالب والبقايا المرميـة فـي الحالتين السليمة والمكسورة . حاول الباحثون العمـل على توضيح وظيفة هذه الأواني المنزلية عـن طريق الإجابة عن الأسئلة الآتية، لماذا أُنتجت هذه الأواني بحجمٍ موحدٍ وبهذه الكميـات؟ ومـا سـبب رميها على الرغم أنها لم تكن مكسورة؟ ولأي غرض وظفت؟

اقترح الدارسون الأوائل، أنها كانت تستخدم كآنية نذرية، وقامت الدراسات الحديثة على تعريفها بأنها قوالب للخبز، على غرار ماحدث في تفسير هذه النظرية في مصر[1]، ولدينا مثال من مدينة ماري على الفرات شبيه لذلك وهي تلك القوالب الفخارية التي تُعرف بقوالب الكعك والمعجنّات[2]، وهناك جدل أيضاً حول كون هذه الأواني قد أُنتجت بقياسٍ موحد، لتلبي عملية توزيع حصص الحبـوب التموينيـة على الرجال والنساء والأطفال، كما يظهر في قوائم الحصص في نصوص الألف الثالث في العراق[3] . غير أن تعليل وظيفة هذه الأوعية الناقوسية ذات القياس الموحد، مايزال أمراً مشكوكاً فيه، حيث يبـدو أن توزيع آلاف الأواني ذات القياس الموحد على كل المتلقين، عملية غير فعالة. في حينٍ أن المـوزع يمكنه ببساطة أن يستخدم مجموعته الخاصة لهذا الغرض[4].

يظهر ضمن المكتشفات أيضاً فخار غير أوروكي، تمثّل بشكلٍ رئيسي ، بجرار التخزين الكبيرة نموذج العمق F المصنّعة من الطين المعجون بالقش. وقد لوحظ في أحيانٍ كثيرةٍ، أن هـذه الأوانـي تحتوي على بقايا حبوبٍ، وربما آثار زيتٍ جافّة. مما يدل على نوع من عمليات التبادل المحلي، التـي حافظ المستقرون الأوروكيون على إقامتها مع السكان المحليين، وخاصةً في تأمين احتياجاتهم الغذائية، حيث تشير المكتشفات أن سكّان حبوبة لم يزاولوا الزراعة بشكلٍ كبيـرٍ، وأن المدينـة كانـت تُـزود بالمنتجات الزراعية من الريف المجاور[5]. بينما شكّلت التجارة قطاعاً اقتصادياً حيوياً لـسكان منـاطق المجرى الأعلى لنهر الفرات. ويبدو أن تقاطع الطرق التجارية عند حبوبة جعل منها مركـزاً بـشرياً مهماً. من جهةٍ أخرى، فقد صدرت مناطق جنوب العراق فـائض إنتاجهـا مـن المـواد الزراعيـة والحيوانية، واستوردت المواد الخام من آسيا الصغرى أو من شواطئ المتوسط، كما اشـتملت المـواد المستوردة على خامات النحاس التي كانت تنتجها مناطق آسيا الصغرى وعلى الأخشاب مـن غابـات

1 - AKKERMAN PETER M.M.G- SCHWARTZ GLENN M, 2003, Op. Cit. P.(193- 194)

2 - كنوز سورية القديمة، اكتشاف مملكة قطنا، معرض الولاية الكبير بادن- فـورتمبرغ مـن 2010/3/14 - 2009/10/17، متحف الولاية فورتمبرغ ص 44 .

3 - Ellison. Rosemary, Diet in Mesopotamia: The Evidence of The Parley Ration Texts (*c.*3000-1400 B.C.)-IRAQ-VOL XLIII.part 1-1981-P 35-40-41-43

انظر أيضاً (POWELL, MARVEN A. LABOR IN THE ANCIENT NEAR EAST -1987, P.(50-53 -

4 - AKKERMAN PETER M.M.G- SCHWARTZ GLENN M, 2003, Op. Cit. P.194

5 - WEISS. HARVEY, THE ORIGINS OF CITIES IN DRY- FARMING 1986, P. 21

المتوسط[1]، حيث عثر على ثلاث قطع فخارية غريبة، من مصدر خارجي، تدل على قيام علاقات مع مناطق بعيدة، كالأناضول وفلسطين ومصر[2] .

الألواح الطينية Clay Tablets

تمثّلت حبوبة الكثير من ثقافة أوروك ، تجلّى ذلك في طرز العمارة وأسلوب الفخّار، وكان من أهم مظاهـر هذا التأثّر أيضاً، نظام التسجيلات الكتابية، والإدارة المكتبية / البيروقراطيـة، فقـد تـم العثـور في حبوبـة على ألواح العد tablets numerical، والكـرات الطينيـة المجوفـة bullae بمـا تحتويه بداخلها من كتل طينية tokens وكذلك الأغلفة الطينيـة Muddy Envelops، يحمـل معظمهـا طبعات أختام اسطوانية[3].

لقد اكتشفت رقم طينيةٌ دونت عليها رموز، وإشارات تتعلّق بمواضيع وأرقام حسابية وهذه الرقم تمثّل مرحلة مبكرة من مراحل بدايات الكتابة المعروفة في جنوبي العـراق. حيـث كانـت البـضائع التجارية تُنقَل ضمن أوانٍ فخّارية محزمة وممهورة بختم مصدرها. وكانت ترسل الرقُم الطينية التـي دون عليها مضمون الإرسالية وأعدادها مع البضاعة المصدرة . لقد فُسرت الرموز على الرقم الطينية على أنها أرقام، وتشير شماندت بيسيرا Schmandt Besserat في الدراسة التي أجرتها علـى أن هـذه الرموز هي من أبكر أشكال الكتابة، التي يعود ظهورها إلى الألف التاسع ق.م[4]. وقد تطور هذا النظام من التدوين في حبوبة، وثبت ذلك بالعثور على عددٍ من القطع الطينية التي تحمل رموزاً وأشكالاً ذات دلائل ومعاني خاصة، تمثّل إشاراتٍ متّفقٍ عليها في التجارة الدولية حينذاك[5].



1 - شترومنغر إيفا ، 1984م، المرجع السابق، ص 46

2 - MARK SAMUEL FROM EGYPT TO MESOPOTAMIA - 1997- P.27

- أنظر أيضاً WEISS. H, 1986, Op. Cit .p.22

3 - AKKERMAN PETER M.M.G- SCHWARTZ GLENN M.- 2003, Op. Cit, p.194

- أنظر أيضاً WEISS. H, 1986, Op. Cit .p.22

4 -Schmandt- Besserat- Denise 1977, An Archaic Recording System And The Origin of Writing, Syro- Mesopotamian Studies VOL 1- Issue 2 – July .p.(32 – 54)

5 - شترومنغر إيفا ، 1984م، المرجع السابق، ص 47- 86

كان ظهور نظام العد والمحاسبة ضرورةً استدعتها حاجة المجتمع الـذي تطـورت معاملاتـه وإمكاناته الاقتصادية والاجتماعية، فاحتاج إلى تقنية تساعده في تنظـيم عمـل المحاسـبة، وتثبيـت الملكيات، فشهدت سورية، وفي وقت مبكر أدوات المعاملات الحسابية، وهي الألواح الكتابية الرقميـة ذاتُ الطبعاتِ، وإشارات نظام عد خاصة. استجابةً لحاجات النخبة، وهي بذلك توازي معظم النصوص في أوروك التي كانت من هذا المستوى، الذي لم يتجاوز الهدف منها في ذلك الوقت الحاجة الحـسابية الاقتصادية إلى حاجة التعبير الفكري[1]. وهذا ما سندرسه في الفصل الرابع بشكل مفصل أكثر.

الأختام الاسطوانية Cilender Seals

ظهرت هذه الأختام في حبوبة، التي يعود ابتكارها إلى أوروك، نظراً لسهولة اسـتخدام الخـتم الاسطواني، الذي يعطينا سلسلةً من الطبعات المتشابهة عن طريق إدراجه على الطين، مما جعله يتقدم على الختم المسطّح القديم stamp seal حيث عثر على طبعات هذه الأختام على المنتجـات الطينيـة. فكانت الأختام تُطبع على الجرار والألواح والكرات الطينية المعروفة بـ bullae التي كانت تـستخدم كمؤشّراتٍ أو علاماتٍ، تدل على السلطة الإدارية، وحفظ الملكية. يظهر أسلوب جنوب العـراق فـي صور التماثيل ورسوم طبعات الأختام، كما تؤكّد التصاميم والمشاهد الجميلة المـستمدة مـن الحيـاة اليومية، التي عرفت من طبعات الأختام، على أن سكّان حبوبة قد تشاركوا مع الجنوبيين فـي أفكـارٍ وانطباعات واحدة، وخاصةً الدينية منها[2].

قدمت هذه الألواح والكتل الطينية الممهورة بالأختام، مؤشراتٍ مهمةً عن التجارة الدولية في هذه الفترة، حيثُ عرفت معظم هذه الأدوات في مناطق بعيدة مثل تبه جودين Tepe Godin في زاغـروس وسوزا Susa وشوغا ميش Choga Mish في خوزستان/ الأهواز، وفي أوروك[3]. لذلك فإنه من المؤكد أن يكون هناك إجماع دولي عام يقف خلف إنتاج وقبول مثل هذا النظام من الألواح المختومة والكرات والأغلفة الطينية، حتى الأسلوب هو نفسه دائماً. لذلك نرى أن حبوبة كانت تنتمي إلى منظومة التجارة الأوروكية الواسعة الانتشار.

إن المعطيات السابقة التي تبين حضور شخصية الجنوب العراقي في كثيرٍ من مكتشفات حبوبـة كبيرة، كالنظام المعماري و الفخّار، بالإضافة إلى السجلاّت الإدارية، التي تقودنا إلى نتيجـةٍ يـصعب التغاضي عنها، وهي أن حبوبة كانت مركز استقرارٍ تابعاً لجنوبي العراق يعيش في سورية، ويمكـن تعميم نفس النتيجة على أكثر المواقع الأخرى التي تنتمي لمنظومة أوروك المنتشرة في الجوار.

---

1 - عبد الله ، فيصل، تاريخ الوطن العربي القديم -المرجع السابق2003- 2004 م- ص (27- 28).

2 - AKKERMAN PETER M.M.G- SCHWARTZ GLENN M, 2003, Op. Cit. p.194

3 - SCHMANDT- BESSERAT, DENISE - 1980, THE ENVELOPES THAT BEAR THE FIRST WRITING - P (377-380)

جبل عرودة Jebel Aruda

يبعد جبل عرودة حوالي 8 كم إلى الشمال من حبوبة ، وهو يرتفع ما يقارب 60 م عن السهل المجاور، لقد قام هذا الموقع مثل حبوبة على تربة عذراء وحظي بفترة سكن قصيرة نسبياً في أواخر فترة أوروك/ العصر الحجري النحاسي المتأخّر 5. غير أن حجمه كان أصغر من حبوبة حيث بلغ حوالي 4 هكتار، وهو يشرف على سفح الجبل المقدس (الديني)، مما يظهر أنه كان يمثّلُ المركز الإداري أو الديني للمدينة، فقد بني هناك معبدان[1] يتبعان نموذج معابد تلّ قناص، لهما مخطّط ثلاثي مع واجهات مزودةٍ بكوى، ودعامات تحيط بالمعبدين، وكانت هذه المعابد كبيرة تزاوي المباني الضخمة في أوروك، وعلى الرغم من أنه صغير لكنّه عمل كمركزٍ إداري قوي. وهناك عدد من المنازل جيدة البناء من نموذج القاعة المركزية، يعتقد من حجمها وتعقيدها أنها كانت تُستخدم كمقر إقامةٍ لشخصيةٍ مهمةٍ مشتركة مع المعبد. لقد كان المعبد أو القصر الذي اكتشف في جبل عرودة و حبوبة الكبيرة قرب الرقة، الدليل الأقدم على التمدن في سورية حتّى الآن، ويظهر هذا التطور المدني من خلال طبقة النخبة التي كانت وراء تشييد مثل هذه الأبنية الكبيرة. حيث كانت تتدرج وفق سلّمٍ اجتماعي، وربما ديني، الذي تتربع في قمته شخصية قوية، حملت صفة ملكٍ وكاهنٍ في آنٍ واحدٍ، حيث كان يقود أعمال الحياة اليومية، وكذلك الإشراف على العمليات التي تجري في الأسفل بين المجمعات السكنية التي يمكن أن نعدد بعضها، مثل تل قناص، حبوبة كبيرة جنوبية، حبوبة الكبيرة الشمالية، تل الحاج، المريبط، تل الحديدي وتل الشيخ حسن[2].

تل الشيخ حسن Tell Sheikh Hassan

يقع تل الشيخ حسن في وادي البليخ على بعد 48 كم شمالي الرقة، و40 كم جنوبي الحدود التركية. يضم الموقع سوراً من الطوب، مع شواهد على وجود كوى وأبراج، حيث شكّل من الداخل امتداداً لمبانٍ تضم معبداً صغيراً، وسوراً سميكاً غير عادي مبني وفق مخطّط شبكي، فقد عثر على طبعاتٍ لأختامٍ اسطوانية في المستوى 10 من الطبقات في حالة جيدة، وهي تُعد أبكر مثال بحالة حسنة، من مثيلاتها في أي مكان آخر من المشرق عامةً. كما يتميز الموقع بأنه يقدم لنا طبقات سكنية متعاقبة، وبشكلٍ رئيسي الفترة المؤرخة بأوروك المتوسطة Middle Uruk 3600 B.C. - 3400 ، ويشير إلى أن فترة التبعية لأوروك، كانت أطول مما قدمته لنا الدلائل في حبوبة وجبل عرودة[3].

وإذا واصلنا باتجاه أعلى نهر الفرات، نجد مراكز استقرار أخرى تابعةٍ لأوروك في منطقة الإنقاذ لسد تشرين قرب الحدود التركية الحالية، علينا دراستها لاستكمال المشهد الأوروكي.

---

1 - VAN DRIEL and C. MURRAY VAN DRIEL , Jebel Aruda 1977-1978,3 plans, AKKADICA-12-1979-Mars-April-P.(2-5)

2 - AKKERMAN PETER M.M.G- SCHWARTZ GLENN M, 2003, Op. Cit. p. (195-196)

3 - Ibid. p. 196

تل الحاج -حاجي نبي Ha-jih-NEH-bee/ Hacinbi /

يقع تلّ الحاج على الفرات جنوب شرقي تركيا، لقد وضحت التنقيبات التي أجريت على نهر الفرات في تركيا، على يد الآثاري جيل شتاين Gil Stien وفريقه الكثير من التعقيدات في المستقرات الأوروكية، حيث يعمل هذا المشروع على فهم مجتمعات العصر الحجري النحاسي المتأخّر المحلّي في جنوب شرقي الأناضول، والتحولات التي أصابتها خلال الفترة الباكرة من التواصل الحضاري مع الجنوب.

حظي موقع تلّ الحاج، بفترتي سكن رئيسيتين في فترة العصر الحجري النحاسي المتأخّر، هما فترة ما قبل الاتصال مع أوروك، والفترة المتأخّرة الغنية بالدلائل من فخار أوروك، والأدوات الإدارية، وعناصر أخرى من الحضارة السومرية.

تميز المجتمع الأناضولي المحلّي، في تلّ الحاج، قبل أن يصبح ضمن شبكة المستقرات الأوروكية كمركزٍ مختص بإنتاج المواد المعدنية، حيث أنهم كانوا يستوردون المادة الخام من مركز إنتاجها الذي يبعد عنه شمالاً حوالي 200كم، عن طريق الفرات، فقد مثّل مركز صناعي إقليمي ضمن شبكةٍ تجارية معقّدة[1]. كما تميز بمكتشفات مهمة، توضح العلاقة مع جنوب العراق في المرحلة الأوروكية، كنماذج الفخار الأوروكي، والأبنية العامة، التي تتميز بالمخطط الثلاثي، وتزيينات الفسيفساء من المخاريط الطينية المميزة للعمارة الأوروكية، بالاضافة للتقنيات الإدارية المتمثلة بالكرات الطينية المجوفة التي تحتوي بداخلها كتل طينية tokens، والألواح الطينية، التي حملت طبعات الأختام، وقد اتّسمت الأختام الاسطوانية، بأساليب فن النقش ذو المستوى الرفيع في جنوب العراق. وقد انتشرت الأختام المسطّحة انتشاراً واسعاً في تل الحاج، كما في سورية الشمالية، وسهول شمالي العراق وسورية[2].

تدعم المكتشفات المميزة من أوروك والمنطقة المحلية المنتشرة في هذه المواقع، فكرة التنافس بين ثقافتين (الأوروكية والأناضولية)، اللتين عاشتا جنباً إلى جنب، كوجودين اجتماعيين مؤثّرين، يؤكّد ذلك، عدم عثور المنقّبين على دلائل تشير إلى فرض أي سيطرةٍ جنوبية، أو وجود عداوة بين المستقرين الأوروكيين والمواطنين المحليين، كما تصدق طبعات الأختام التي تعود للطرفين، على أفضل العلاقات السلمية بين ثقافتيهما[3].

---

1 - ÖZBAL. H , ADRIAENS. A and EARL.B, HACINEBI METAL PRODUCION AND EXCHANGE Paléorient,vol. 25/1, 2000- p.60

2 - STEIN G.J. Material Culture and Social Identity : The Evidence For A 4TH Millennium BC Mesopotamian URUK Colony At HACINB , TURKEY, Paléorient,vol. 25/1, 2000.p.11-22, P.15-16-18

3 - Guillermo Algaze , Ray Breuning, Chris Lightfoot, and Michael Rosenberg ARCHAEOLOGICAL RECONNAISSANCE PROJECT: A Preliminary Report of the 1989-1990 Seasons, THE TIGRIS-EUPHRATES, ANATOLICA XVII,1991,p.202

هاسيك هويوك Hassek Höyük

تأسـس هذا الموقع على الضفّة الشرقية لنهر الفرات، 40 كم شمالي سميساط Samsat، حـوالي 20 كم جنوب غربي طوروس. على تلةٍ ريفية جنوب شرقي الأناضول. أحيطت القرية بسور ضـخم، مزود ببوابة وحيدة. تشير قائمة السلع التي اكتشفت في التل إلى أنها مشابهة لما فـي أوروك جنـوب العراق. لم يكن باستطاعة هذه القرية الصغيرة أن تستوعب أكثر من 12عائلة، علـى نقـيض مدينـة حبوبة ذات الحجم الكبير، كما نلاحظ بالمقارنة مع حبوبة، البيوت ذات المخطّط الثلاثي، التـي بنيـت على أرض عذراء، و الفخّار الأوروكي الذي عثر عليه شبيه بالمادة التي اكتشفت في المواقع السورية الأوروكية، من حيث الإنتاج الضخم من الطاسات ذات الحوافّ المائلة، والأواني الخـشنة، بالإضـافة لمجموعة من المنتجات ذات النموذج الأوروكي[1]. ومما يثير الاهتمام أيضاً التقارب النسبي مـع مـادة براك، من حيث الأختام الاسطوانية ذات النقوش الهندسية، التي وجد نسخة منها فـي حبوبـة كبيـرة جنوبية أيضاً، وهناك الكتل الطينية، والدبابيس النحاسية. كل هذا يشير إلى أن مستقرة هاسيك هويـوك تنتمي لمنظومة أوروك التجارية الفراتية. كما تدل الشواهد على وجود تقاليد محلية ليـست أوروكيـة، تظهر إلى جانب المادة الحضارية ذات الميزات الجنوبية كمجموعات الفخّار من نـوع الأوانـي ذات الطلاء الأحمر، والفخّار المعجون بالقشّ، والأواني المبرقشة التي تمثّل جـزءاً مـن تقاليـد العـصر الحجري النحاسي المتأخّر الشمالية، و البلاطات الكنعانية المحلية الصنع و المواقد الإجاصـية الـشكل، التي تسمـى *"الوجاق" ocak* حيث نلحظ أصولاً لها في جنوب شرقي الأناضول ، كما وجـدت أوانٍ ذات طـلاء أسـود وزخارف تزيينية إلى جانب جرار حمراء بأربع مسكات، التي تُعد مـن ميـزات فخّار أوروك.

إن هاسيك هويوك على العكس من حبوبة، كان يعتقد أنها تأسست من بعض الأوروكيين، لكنهـا سكنت من ناسٍ محليين أيضاً، هؤلاء الذين تعود إليهم عملية إنتاج تلك الأنواع المحددة مـن الفخّـار والتمديدات الخاصة في البيوت والبلاطات الصوانية المعروفة بالبلاطات الكنعانية، الذي يـشير عـددها الكبير إلى أن المجتمع كان زراعياً. وقد أُعيد بناء هذه المستقرة بطريقةٍ مختلفة كليـاً، بعـد الحريـق الكبير والدمار اللاذين أصاباها، وذلك عكس حبوبة التي هجرت بعد الحريق. وتبين النتائج الـسابقة أن هاسيك هيوك كانت محطّة تجارية لفترةٍ قصيرةٍ نسبياً في عصر أوروك[2].

1 - WEISS. HARVEY, THE ORIGINS OF CITIES IN DRY- FARMING 1986 – Op. Cit. P. 25
2 - WEISS. HARVEY, 1986, Ibid. P. 26

أرسلان تبه Arslan tepe

تقع أقصى شمالي منطقة الفرات شرقي الأناضول. إن هذا الموقع لم يتأسس على أرض عذراء مثل سابقيه، بل كان مأهولاً بأناس محليين لفترة طويلة، قبل وصول الأوروكيـين. ويظهـر التـأثير الأوروكي من خلال حضور الفخّار الأوروكي المميز والأختام الاسـطوانية وطبعاتهـا. كـل ذلـك، يؤكّد وجود عدد من سكّان أوروك داخل المجتمع المحلي. حيث إن هذا التشارك في مجتمع واحد، لـم يكن فريداً في أرسلان تبه. وتشير العديد من المواقع المكتشفة شمالي العراق وسورية إلى حالة التعايش بين جماعة أوروك والجماعات المحلية. إن مغادرة الأوروكيين لأرسلان تبه، تذكّرنا بما حـصل فـي هاسيك هيوك. حيث تعرض الموقع لحريق هائل أدى إلى تدميره أيضاً[1].

من خلال المقارنة بين مواقع الفرات في فترة أوروك. يمكن أن نميز نماذج من المستقرات التي تدور بفلك أوروك، كما ذكر سابقاً.

تنتمي حبوبة وجبل عرودة إلى نوع المستقرات التابعـة لأوروك، ضـمن مجموعـة المواقـع المنتشرة على طول الطرق التجارية الخارجية للعراق القديم. التي يعتقد أنّها كانت تُـسير مـن قبـل الجنوب. بينما هاسيك هيوك مثال مميز عن حالة تقع على الحدود الخارجية، أما أرسـلان تبـه VI A كان على الأرجح أحد مراكز تجارة المعادن التي لم يتم التحكّم فيه من الجنوب، بل كان محطّة قوافـلٍ حرة، تتواصل مع مواقع أوروك الجنوبية في جبال طوروس. هذا ولم يدم أي مـن المواقـع الـسابقة لأكثر من قرن، خلال فترة أوروك. غير أن أرسلان تبه وهاسيك هويوك استمر الـسكن فيهمـا بعـد الدمار العنيف الذي تعرضا له، مع تغير ملحوظ بالمادة الحضارية، بينما هجرت مواقع أوروك علـى الفرات في سورية من دون أن تتعرض لأي هجوم. ما يدل على أن التراجع في تجارة الفرات، كـان سببه أن الحصول على المواد الخام من تلك المنطقة لم يعد متاحاً، لقيام مجموعـات فـي الأناضـول بمنعهم من ذلك[2]. وأخيراً تظهر المواقع الأناضولية على أنهـا عملـت كمحطّـات تجاريـة أسـسها الجنوبيون، أو مثّلت ورشات حرفية كانت ملكاً للسكّان المحليين.

لم تكن منطقة الخابور، تحيا بمعزل عن المشهد الأوروكي، حيث كان لها مشاركتها الفعلية على الساحة، بنكهةٍ محلية لم تخلُ من التأثير الأوروكي ومنها :

---

1 - Ibid . P.28
2 - WEISS, HARVEY, 1986 – Op. Cit. P.30

تل براك Tell Brak

يقع تل براك في الجزء الجنوبي من مثلّث الخابور، ويبعد 1 كم من نهر الجغجغ أحـد روافـد الخابور، حوالي 40 كم شمالي محافظة الحسكة[1]. شكّل براك مركز استقرار كبير ومهم فـي منطقتـه لعدة قرون، حيث لم يبن على تربةٍ عذراء كما في حبوبة وجبل عرودة. لقد أغنت نتائج التنقيبات التي أجريت على يد مالوان عام 1930م، والتي تجددت عام 1970 م، معلوماتنا عن الألف الرابع، إذ تشير كسرات فخارية من الطاسات ذات الحواف المائلة في المنطقة TW المستوى 14 – 17 إلـى بدايـة الاتصالات مع أوروك. ويصبح تأثير الجنوب العراقي قوياً في المنطقة TW المستوى 13 مع ظهـور بقايا فخّارية من فترة أوروك المتوسطة العصر النحاسي المتأخّر 4، مترافقة مع مكتشفات من الفخّـار المحلي المعجون بالقش chaff- faced ware. وقد أنتجت المرحلة التالية من المنطقة TW مجموعة من الفخّار الخاص بأسلوب أوروك المتأخّر في جنوب العراق العصر النحاسي المتـأخّر5. هـذا الفخـار مأخوذ من غرف تحتوي المواقد ذات الشكل الإجاصي، مشابهةً لتلك التي وجدت في حبوبـة كبيـرة جنوبية. كما قدمت المعطيات مجموعة متنوعة من القرائن المكتشفة تعود لنفس الإطار الزمنـي فـي براك، كالمخاريط الطينية الجدارية الملونة، والكرات الطينية المختومة ولوحين تصويريين من الطـين غير المشوي، كل واحد منهما يحمل طبعة دائرة وصورة لماعزٍ أو خروفٍ.

تضمنت المجموعة الفخارية في أواخر الألف الرابع المرحلة TW (10 -11) فترة براك H، الأواني الخشنة Flower Pots التي تشبه إلى حد كبير فخّار جمدة نصر Post-Uruk[2].

من جهةٍ أخرى تشير المعلومات من تل براك في منتصف أواخر الألف الرابع، بأنه كان يمثـل مركز استقرار، تنامى و ازدهر حتى وصلت أبعاده حدود المدينة الكبيرة، بمزيج حضاري (محلـي-جنوبي عراقي)، تؤكّده المادة الحضارية المحلية والجنوبية المكتشفة. يمكننا أن نخلص إلى أن تلّ براك لم يكن مستقرة مستحدثة كما هي حبوبة كبيرة، لأنها لم تؤسس على أنها مركز استقرار جديد، كما أنها تمتلك دلائل على مادة حضارية محلية سورية. السؤال الذي يواجهنا الآن هل وجود المادة الحـضارية الجنوبية في المواقع التي ذكرت سابقاً كان مترافقاً مع سكان من الجنوب؟ لعـلّ الحفـائر المـستقبلية توصلنا لجوابٍ مقنع.

1 - Oates,David and Joan,McDonald,Excavations at Tell Brak ,vol.2-2001- -p. xxvii.
2 - AKKERMAN PETER M.M.G- SCHWARTZ GLENN M, 2003, Op. Cit. p.(199-100)

حموكار Hamoukar

يقع تل حموكار في محافظة الحسكة في الزاوية الشمالية الشرقية من حوض الخابور من سورية[1]، أكّدت التنقيبات أن التل كان مأهولاً منذ دور حلف والعبيد، وأصبح مدينة لها شأن منذ الألف الرابع، وتشير المكتشفات المميزة، إلى ثقافة محلية لشمالي العراق وسورية، تمثّلت بالأواني الفخارية المحلية والأختام المسطّحة من العظم المقابلة لفترة أوروك المتوسطة بالشمال. وتتكّون مجموعة الأنماط الفخارية العائدة إلى العصر النحاسي المتأخّر المصنّع محلياً إلى حد كبير من عجينةٍ مضافٍ إليها القش بكثرة، كجرار التخزين ذات الجدران الرقيقة والقدور الدائرية والطاسات ذات الحافّة المسماة (رأس المطرقة) وكذلك سلسلة مميزة من الفخّار الرقيق الناعم. كما عثر على الطاسات ذات الحواف المائلة، وهي إحدى المؤشّرات لما يعرف بالتوسع الأوروكي. فقد أظهرت التنقيبات في القطاع A (السبر الاختباري المتدرج) أن مجموعة بشرية تستخدم أواني فخارية جنوبية كانت في الوقت نفسه تسكن في مركز تلّ حموكار. بالإضافة إلى ذلك توجد دلائل على أن مجموعات جنوبية سكنت أيضاً المنطقة حينذاك. حيث وجد موقع منخفض الارتفاع بمساحة 8.55 هكتار مع عدد وفير من "الطاسات ذات الحواف المائلة" وكذلك أنواع من الفخّار الجنوبي. ولم تكن هذه المواقع الدخيلة تحيا في محيط فارغ، فقد كانت جميعها وباستثناء موقع واحد صغير، مغطاة السطح بفخار سوري محلي الصنع، في حين ضم 12 موقعاً آخر فخّاراً محلياً من العصر النحاسي المتأخّر فقط من دون وجود فخّار جنوبي[2]، كما كشفت التنقيبات في القطاعين A ، B عن بعض الأختام المسطّحة وطبعات الطين، ما يدلّ على وجود هيئة إدارية متعددة المسؤوليات، كما عثر على سور قوي من الطين، ربما كان دفاعياً. كل ذلك يظهر أن السكّان المحليين في تلّ حموكار كانوا قد نظّموا مجتمعهم المركّب والمتطور قبل وصول المستقرين الجنوبيين، فمنطقة حوض الخابور الشرقية كانت مأهولة بشكل كثيف قبل وصول هؤلاء الجنوبيين. وبخلاف منطقة الفرات الأوسط قام الجنوبيون أنفسهم بالاندماج ضمن مجتمعاتٍ قائمة ومؤسسة سابقاً. إن ميزات التوسع الأوروكي في وادي الخابور، ماتزال تتطلب مزيداً من الدراسة والبحث[3].

الانتشار (التوسع)الأوروكي Uruk expansion

قدمت المعطيات الأثرية، التي تكشّفت لنا بعد بدء العمل بسد الطبقة (الثورة) على الفرات الأوسط، في أواخر 1960م معلومات من نوع آخر، وهو ما يسمى بظاهرة الامتداد أو الانتشار

1 - Gibson McGuire First Season of Syrian-American Investigation at Hamoukar, Hasekeh Province , Iraq,2002,LXIV,p.45

2 - أور جيسن، المسح الأثري ودراسات المشهد الطبيعي في منطقة تل حموكار1999-2001، الحوليات الأثرية العربية السورية 47-48- 2004- 2005م ص(10-15)

- أنظر أيضاً Gibson McGuire, Iraq,2002,LXIV,p.50

3 - Gibson McGuire, 2002, Ibid LXIV,p.57-58

الأوروكي Uruk expansion، حيث كشفت الأبحاث هنا عن سلسلة من المواقع ذات ثقافة تنتمي لجنوب العراق، وأكّدت هذه المواقع التي نقبت بكثافة. أنها أحدث المكتشفات من الألف الرابع، وأظهرت نوعاً من الانتشار الواسع لثقافة أوروك التقليدية، حيث كان من الصعوبة، تجنّب اعتبارها مستقرات تابعة لجنوب العراق تعيش في سورية[1].

يعد التوسع الأوروكي من أهم الأحداث الملحوظة، والمبهمة في الوقت نفسه، التي حدثت في فترة نشوء "دويلات- المدن" جنوبي العراق، الذي أطلق عليه "الانتشار الأوروكي"، ومن المثير للاهتمام أيضاً أن هذه الظاهرة لم تتعد قرناً أو قرنين من الزمن على الأكثر. تُعرف هذه الظاهرة، أنها تمثل هجرة آلاف من الناس، غادروا موطنهم في جنوبي العراق، وأسسوا مستقراتٍ لهم في الأطراف البعيدة على الحدود، في شمالي سورية والأناضول وإيران، كما تدل الاكتشافات، أن صدى هذا التوسع قد وصل إلى مصر الفرعونية في تلّ الفراعين[2] Tell el-Fara´in غرب الدلتا في مصر★.

المستقرات الأوروكية : هي مراكز استقرار انتشرت على امتداد وادي الفرات بالإضافة إلى عدد من المجتمعات الصغيرة مميزة ومنعزلة اشتركت بنشاط التجارة البعيدة المدى.

لقد زودتنا الأدلة التي جمعت من أكثر المواقع، التي نقّبت بكثافة، بصورة مفصلة أكثر عن مجتمع أوروك، بالإضافة لما هو متوفّر أصلاً من جنوب العراق نفسها. فهناك مستقرات بعيدة على طول وادي الفرات الأوسط بالإضافة إلى مجتمعات عديدة صغيرة ، مميزة ومنعزلة تعيش على الموارد السورية المحلية، لحساب المقاطعات الرئيسية، المحددة بمناطق الزراعة البعلية في سهل الفرات الفيضي. هذا وازدهرت خلال فترة أوروك المتأخّرة سلسلة من المستقرات التي عملت كمحطّات تجارية على طول مجرى نهر الفرات، حيث أكدت الاكتشافات المتكررة في التربة العذراء على وجود المادة الحضارية لجنوب العراق. ودلّت على حركة سكّانية نشطة، ولم تقتصر على مجرد انتقال للأفكار، أو لأنماط الثقافة الجنوبية[4].

يمكن أن نتعرف حضارة أوروك الجنوبية في المناطق الشمالية، عبر عدد من السمات الأوروكية التي ظهرت في المصنوعات المميزة كالفخّار و الأختام الاسطوانية، والمواد الممهورة بالأختام، بالإضافة إلى المنحوتات وأسلوب العمارة الخاص مثل القاعة المركزية في المنزل...الخ.

---

1 - AKKERMAN PETER M.M.G- SCHWARTZ GLENN M, 2003 ,Op. cit p.190

2- Ibid. P. 202

★ تل الفراعين يمثل موقع بوتو Buto القديمة، تتوضع في شمالي الدلتا في مصر، 30 كم جنوبي خط الساحل الحالي. الفترات التاريخية التي يعود إليه التل: ماقبل السلالات لمصر السفلى (النصف الثاني من الألف الرابع ق.م) وهذا مايهمنا في هذا الإطار، حيث عثر على كسرات لأواني فخارية مستوحاة من تقنيات مستخدمة في سورية الشمالية ، الفترة الثانية أواخر ماقبل السلالات نقادة III – السلالات الباكرة نهاية الألف الرابع والقرن الأول من الألف الثالث. المملكة القديمة الباكرة (27- 26 ق.م) والفترة المتأخرة (القرن 7- 4ق.م).

BARD. A Kathryn Encyclopedia of Arceology of Ancient Egypt. 1999, P 182

4 - AKKERMAN PETER M.M.G- SCHWARTZ GLENN M, 2003 , Op. Cit. p. 202-203.

ميزات الفخار الأوروكي:

يتّسم الفخّار الأوروكي بعدد من الميزات التقنية والشكلية يمكن ذكر أبرزها:

1- كم الإنتاج من "الطاسات المائلة الشفة" Bevel rimmed bowl و"الأواني الخشنة" flower pots.

2- الكؤوس المخروطية Conical Cups ذات القاعدة المستقيمة القطع.

3- القارورات الطويلة ذات المصب المنحني "ميزابة" .

4- الجرار ذات الأربع مسكات، الحمراء المنسابة. بعضها له ميزابة خلبية.

5- جرار التخزين المصقولة.

6- جرار بأربع مسكات ذات حزوز تزيينية.

7- أوانٍ صغيرة، تشكل نسخاً عن الجرار ذات القياس العادي.

بالإضافة إلى المواد التي تحمل نقوشاً مميزة Glyptic كالأختام الاسطوانية، ذات التصاميم البسيطة وتلك الأكثر تعقيداً، المواد ذات الطبعات، إلى جانب الجرار المختومة، ألواح العد والأغلفة الطينية التـي تحوي بداخلها الكتل الطينية والكرات، كما أدت المنتجات المعدنية دوراً مهماً. وقدمت العمـارة المميـزة كالبيوت ذات المخطّط الثلاثي والقاعة الوسطى، والمباني العامة، التي تتميـز بالـضخامة والزخـارف التزيينية الفسيفسائية، كالمخاريط الطينية أوالحجرية الجدارية، سمات مميزة أيضاً.

إن الموقع الذي يحتوي كل أو أكثر هذه السمات التي ذُكرت سابقاً ينظر إليه بالتأكيد علـى أنّـه مستقرة أوروكية حقيقية[1].

قدمت لنا التنقيبات المكثّفة في المناطق التي عرفت بالمستقرات الأوروكية، والمواقع التي كـان لها علاقات مع أوروك نتائج مهمة من أبرزها:

- أن توسع أوروك في سورية بدأ فقط بعد عدة قرون من تمييز مجموعات (ما بعد العبيد) المحلية.
- أن ازدهـار المستقـرات الأوروكية، والمواقع المتصلة بها، كان بفترة العصر النحاسي المتـأخّر 4 - 5، وفترات أوروك المتوسطة والمتأخّرة في السلّم الزمني لجنوب العـراق، هـذا ويـؤرخ الكربون 14 (C14) نسبياً من منتصف إلى أواخر الألف الرابع ق.م. عبر عينات من تـل الـشيخ حسن وجبل عرودة ، حبوبة كبيرة وتل الحاج.
- أن ظهور المادة الحضارية الأوروكية الأكبر في سورية يعود إلى نهاية الألف الرابـع ق.م، مـع الأخذ بعين الاعتبار الحيز المكاني لانتشارها. ولوحظ أن المستقرات الأوروكية الحقيقية تأسـست كمراكز استقرار جديدة، يغلب عليها ميزات شخصية جنوبي العراق، وهي تقريباً مقتصرة علـى أواسط وادي الفرات. أما المواقع ذات المزيج من الصبغة المحلية ومادة أوروك، فقد وجدت فـي مناطق الخابور الأعلى والغربية المجاورة[2].

---

1 - WEISS. HARVEY - 1986 - Op. Cit. p.9-10

2 - AKKERMAN PETER M.M.G- SCHWARTZ GLENN M, 2003 , Op. cit p. 202-203

تفسيرات الانتشار (التوسع) الأوروكي في سورية:

تركّز وجهة نظر الدارسين حالياً في تفسير الانتشار الأوروكي، بمقارنة المادة الحضارية لجنوب العراق عبر الألف الرابع في سورية، وهي حاجة جنوبي العراق للوصول إلى المواد الخام من البلدان المجاورة، وحسب هذه النظرة فإن جنوبي العراق كان يعاني من قلّة بعض الموارد الطبيعيـة، التـي يحتاجها في بناء مدنه، حيث لم تقدم بيئة الجنوب العراقي إلا الطين والقصب، التي استُخدمت كمـواد أساسية لعمارتهم، وآنيتهم وأدوات الكتابة. إذاً، لابد من البحث عن المواد الأخرى كالخشب والمعـادن أو الحجارة، التي كانت الحاجة إليها بكميات كبيرة، في المناطق الأخرى، خارج حدود جنوبي العراق. وبشكل خاص غابات المرتفعات في غربي الأناضول أو من هضبة إيران. إن هذا الوجود على طـول الفرات صعوداً باتجاه قلب شرق الأناضول، يوضح أنه كان جهداً يهدف للسيطرة على المحاور التـي توصل إلى مصادر الأخشاب من شرق الأناضول في طوروس الشرقية، والنحاس من منطقة المنـاجم مثل إرجاني مادين Irgani Maden والفضة والسبج /الأوبسيدان Obsidian[1].

إن نشوء دويلات المدن في جنوبي العراق، قد تطلّب كميات كبيرة مـن المعـادن والأخـشاب والحجارة، لتزيين معابدهم الضخمة الجديدة، ولصياغة رموز السلطة والشرعية للنخبـة الجديـدة، أو الطبقة العليا الحاكمة، فقام المجتمع السياسي لجنوبي العراق، بتأسيس نظام من مراكـز الـسيطرة، أو محطّات تعمل لحسابها لتسهيل استمرار تدفق المواد الخام إلى قلب هذا المجتمع. يمثّل هذا النظام نوعاً من المبادلات غير المتوازنة، و"إمبراطورية غير رسمية" بين متطلّبات جنوبي العراق المحتاج للموارد الطبيعية ولمواد الخام، وبين سكّان المستقرات الذين أصبحوا يعتمدون على استيراد بضائع من جنوبي العراق أخذت صفة الكماليات، أو الفائض من الحبوب و المنتجات الزراعية، وضمن هذا الشكل مـن المبادلات، تبنت السلطات المحلية في هذه المستقرات هذا النظام، لأن استلام الهـدايا والعطايـا مـن الجنوب، واستخدام منتجاته، يؤمن لها نوعاً من الوجاهة وتأكيد مكانتها و قوتها الذاتية.

وحسب الباحث التركي غيلمور ألغازي Algaze صاحب نظرية "أنظمة العالم" أن هذه المواقـع ذات المجموعات الفخّارية المتمثّلة بالكماليات الأوروكية، وأسلوب العمارة، وتقنيات الإدارة من الأختام والألواح و الكرات الممهورة بالطبعات....إلخ. تمثّل مستقراتٍ تابعةً، خدمت كمراكز سيطرة لـصالح جنوبي العراق على طول الطرق الرئيسة، التي تتجه من جنوبي العراق إلى شرق الأناضـول. وقـد تنوعت مثل هذه المراكز بين محطّات للسيطرة عرفت كمجتمعات مدن كبيرة مع القرى التابعـة لهـا، مثل حبوبة و كركميش وتل براك، ونينوى شمالي العراق[2]، و محطّات صغيرة منعزلة وجدت قـرب طرق مهمة كالقرايا[3] وهاسيك هيوك على الفرات الأعلى جنوب شرقي الأناضول، ومحطّات مـا وراء

1 - Ibid. P.203

2 - Ibid. P.203

3 - Simpson, Kay Christine - SETTLEMENT PATTERNS ON THE MARGINS OF MESOPOTAMIA: STABILITY AND CHANGE ALONG THE MIDDLE EUPHRATES, SYRIA. PH.D.1983- P. 438- 439

المنطقة الرئيسة لمستقرة أوروك مثل الكوم، تبه جودين في غرب إيران. كما قدمت بعـض المواقـع المحلية الأدلّة من المادة الحضارية لجنوبي العراق، يتضح من خلالها، أن هذه المجتمعـات المحليـة، كانت لها علاقات مع مراكز أوروك للمراقبة (ليلان، كوربان هيوك*)[1].

أثار النموذج الذي يقدمه الباحث ألغازي في نظريته السابقة عن ظـاهرة الانتـشار الأوروكـي الكثير من الاهتمام، غير أن الباحثين يرون ضرورة التأني في قبول كل ما جاء فيها بشكل عام، لوجود بعض الثغرات في نظريته من أهمها:

إن هذه النظرية، التي تركّز على المبادلات البعيدة المدى، تعترضها مشكلة، وهي قلّـة الأدلّـة التي تشير إلى البضائع التجارية المثبتّة في السجلات الأثرية، كما أن الشواهد على آثار عمليات صب المعادن، ذات المصدر الخارجي أيضاً قليلة، بالإضافة إلى الأخشاب و الحجارة. أمـا فيمـا يخـص المستقرات ذات العلاقات مع أوروك، أو مع مدن جنوبي العراق، لا نجد فيها دلائل مهمة، تشير إلـى استهلاك واسع الانتشار للبضائع ذات الصبغة الكمالية الواردة من الجنوب. في الوقت الذي كانت فيـه هذه المواقع منتشرة على طول طرق التجارة، أو على نقاط عبور نهرية، حيث توضـعت مجتمعـات سورية مهمة ومزدهرة على امتداد هذه الطرق على مر الزمن، والتي مثّلت التجارة اهتمامهم الأول[2].

من جهةٍ أخرى يعترضنا واقع حضاري يصعب تفسيره، مثل الشبكة الواسعة من البلدات، وحجم السكن فيها، كما في حبوبة أو كركميش أوغيرها من المستقرات، والقبول بها فقط كمراكز مراقبة على طول طرق التجارة. وتضيف واتنميكر "wattenmaker: " أنه ليست كل مراكـز الاسـتقرار ذات الكميـات الكبيرة من البضائع الأجنبية هي مستقرات تجارية بالضرورة، وليست كل المستقرات التجارية تملـك كميات كبيرة من البضائع الأجنبية، التي جاءت من موطنها ".أي أن الوجود الكثيف للمواد الحـضارية الأوروكية في هذه المناطق، لا يؤكد بالضرورة عملها كمراكز تجاريـة تابعـة لأوروك. إن دراسـة المحطّة التجارية الآشورية كانيش Kaneš في وسط الأناضول بين 1900- 1800 ق.م، التـي تميـزت بتبنيها تجارة الجملة ذات الطابع المحلي في العمارة والأعمال الحرفية الوطنية. تقدم لنا مثالاً واضـحاً لما ذكر سابقاً. [3]

★ يقع كوربان هيوك KURBAN HöYÜK في مقاطعة أورفا جنوب شرقي تركيا، قريب من الضفة اليسرى لنهر الفرات فـي حوض كارابابا Karababa, الذي يقع في منطقة مرور جغرافية بين جبال طوروس وسهول شمالي سورية والعراق.

P.WATTENMAKER, Town and Village Economies in an Early State Society, Paléorient, 1987-vol. 13/2,p.114

1 - AKKERMAN PETER M.M.G- SCHWARTZ GLENN M, 2003, Op. cit P.203-204

2 - Ibid. P.204 P.203

3 - Ibid. P.204 P.203

فتجربة كانيش زودتنا بمعلومات جديدة عن النظام التجاري لمثل هـذه المـستقرات التجاريـة القديمة. من خلال أشهر المراكز التجارية في بلاد الأناضول، في بدايـة القـرن التاسـع عـشر ق.م كاروم★ كانيش الآشوري *karum Kaneš* كول تبه حالياً kültepe. فقد أدى نمو الفعاليـات التجاريـة وتنوعها في كاروم إلى نشوء هيئة إدارية تنظيمية تشرف على شؤونه الداخلية، وتحـد مـن تحـول التنافس التجاري إلى نزاعات وخصومات، كما كانت تعقد الاجتماعات للتباحث، وتـصدر القـرارات، وتتدخّل في مسألة تحديد أسعار البضائع، ولها خاتمها الرسمي *Kunuk Kārim*[1]. و يلتزم نظام الكاروم الحضور المستقلّ للتجار الآشوريين ولعائلاتهم (الذين كثيراً ما اتّخذوا زوجات محليات) في مدن وسط الأناضول. حيث أقام التجار مؤسساتهم ومكاتبهم الخاصة، لتنظيم نشاطاتهم البينية. وتُعد كانيش ، أهـم كاروم آشوري معروف في الأناضول في كبادوكيا، لقد سـجلات محفوظـات كـانيش تنقّـل التجـار الآشوريين، الذين حملوا الأنسجة الصوفية والقصدير إلى كانيش وما وراءها، حيث يتم تبادل البضائع بالفضة ومنتجات أخرى يمكن مقايضتها في آشور[2].

وقد أظهرت الأبحاث الحديثة التي أجريت، وبشكل خاص لفحـص نمـوذج الباحـث ألغـازي Algaze، درجة كبيرة من التعقيدات الاقتصادية والاجتماعية في المقاطعات الخارجية، عدلت من الجدل السابق، لعدم توازن العلاقات بين بلاد العراق والمناطق التي تحيط بها . ما يؤكد ذلـك وجـود أدلّـة واقعية، تظهر تطور علم المعادن في شرق الأناضول قبل الغزو الأوروكـي، ممـا يـشير إلـى أن الأناضوليين لم يكونوا بحاجة للاعتماد على منتجات البضائع الكمالية، ذات الطبيعة المعدنية من جنوب العراق. كما استنتج الآثاري شتاين stein أن مجموعة من أهالي العراق قد عاشوا بشكل سلمي ضمن المجتمع الأناضولي المحلي، وليس هناك أي إشارةٍ إلى أي شكلٍ من أشكال الـسيطرة الاقتـصادية أو السياسية لأي مجموعة على أخرى[3]، وإذا كان التفسير الذي تعتمد عليه نظرية المبـادلات التجاريـة الطويلة المدى لا مفر منه في الوهلة الأولى، فهناك أسباب تستدعي التوقّـف عنـدها وأخـذها بعـين

★ **كاروم**: لقد عرفت تلك المراكز التجارية في النصوص السومرية باسم (كار) وفي الأكادية (كاروم) وهي صيغة مشتقة من الأصل السومري. **إسماعيل فاروق، المركز التجاري (كاروم** karum) **في الألف الثاني ق.م- ص 106 - الحوليات الـسورية 1999**

- الكلمة الأكادية كاروم *karum* تعني محطة تجارية تابعة لمدن العراق وشمال سورية عامةً، حيث من الواضح أنه كـان يـتم فرض قوانين لإدارة تجارة سلمية ومربحة، مع جوار دويلات المدن، ومع المناطق البعيدة. **Oxford-Vol 2-p.53**

1 - إسماعيـل فـاروق، المركـز التجاري (كاروم karum) في الألف الثاني ق.م- الحوليات السورية 1999- ص 106

2- COLONIZATION- Oxford- 1997 - VOL 2- Op. Cit. P.53

3- STEIN,G.J,2000- -Mterial Culture and Social Identity: The Evidence For A 4TH Millennium BC Mesopotamian URUK Colony At HACINEB , TURKEY- Paléorient.. -VOL 25/I, P.11-22-2000-P.20

الاعتبار. بالإضافة لما سبق، ناقش جريجوري جونسون Gregory Johnson التفسير الذي يركّز على دور الأزمة السكانية وضيق العيش جنوبي العراق في التوسع الأوروكي، فيرى موضوع تنافس دويلات المدن الجديدة في الجنوب على الموارد المحدودة للأرض والعمل، قد خلّف آلافاً من اللاجئين، الذين تدفقوا باتجاه أعالي النهر إلى سورية وشرق الأناضول حيث أسسوا مجتمعات جديدة ذات أسلوب أوروكي، وهي المسؤولة عن إنتاج المادة الشبيهة لموطنهم في الجنوب أكثر منها مستقرات تابعة[1]. هذا يأخذنا إلى حالة موثّقة من القرن الثامن ق.م، وهي مناطق الانتشار الفينيقية ومن ثم اليونانية القديمة في حوض المتوسط [2].

فقد أدى النشاط التجاري والتفوق الملاحي للفينيقيين إلى التوسع والإبحار إلى مناطق جديدة، قادتهم إلى بناء مستقرات تجارية بالدرجة الأولى، تمكّن بعضها من بناء دولة، أدت دوراً سياسياً وعسكرياً، كما كانت عليه حال قرطاجة[3]. وجاء الانتشار اليوناني، ليتبع الطريق نفسه، حيث بناء المستقرات صفة أساسية اتسمت بها الحضارة اليونانية، الذي كان من أبرز أسبابها التنافس بين دويلات المدن اليونانية، وقيام المنازعات فيما بينها بسبب الحدود والسيطرة التجارية، كما دفع تزايد عدد السكّان بدرجة لا تناسب المساحة الزراعية، والتنافس السياسي والصراع الاجتماعي للهجرة بحثاً عن وطن جديد يحققون فيه ذاتهم[4]. ربما تعطينا هذه اللمحة عن الانتشار الفينيقي واليوناني فكرة عما يمكن أن تكون عليه الدوافع التي كانت وراء ما سمي بالانتشار الأوروكي.

ومن التفسيرات الأخرى التي تناولت تفسير هذه الظاهرة من جانب اقتصادي هو الذي تم عرضه من ريتا وايت وجوي مكارستون Rita Wight و Joy mc Corriston، حيث يعتمد بحثهما على دراسة التطور الاقتصادي الاختصاصي، الذي يرتبط بظهور نشاط رعي الأغنام والماعز، والتأكيد على علاقته في رفع معدل إنتاج النسيج في الجنوب العراقي، فقد عملت المؤسسات المركزية الجنوبية على السيطرة على قطعان الأغنام في المناطق الشمالية، التي كان يستخدم صوفها، كمادة أولية في الصناعة النسيجية، التابعة لمؤسسات النسيج الضخمة في الجنوب. وهذا يدفعنا بدوره إلى إلقاء نظرة على طبيعة الاقتصاد المعتمد في شمالي سورية في ذلك الوقت[5].

---

1 - AKKERMAN PETER M.M.G- SCHWARTZ GLENN M, 2003- Op. Cit, P. 205

2 - COLONIZATION- Oxford- 1997 -VOL 2 Op. Cit, P.52

3 - قابلو، جباغ سيف الدين، الفينيقيون، الموسوعة العربية - المجلد 15- دمشق 2006- ص 84.

4 - العابد مفيد رائف، دراسات في تاريخ الإغريق،جامعة دمشق، 1979- 1980، ص 6- 7

5- AKKERMAN PETER M.M.G- SCHWARTZ GLENN M, 2003- Op. Cit. p.205

الاقتصاد الرعوي في الألف الرابع في سورية

تظهر المعلومات المرتكزة على الدراسات الحيوانية، في مواقع متنوعة من الألف الرابع في سورية. تخصصاً يتركز على الأغنام والماعز. فقد تأسس هذا النموذج خصيصاً في المواقع التابعة لأوروك، وقدمت الدليل على نوع الطعام المفضل للجنوبيين.

تدلّ الدراسة التي قام بها ويبر Weber على النموذج في براك على ارتفاع نسبة استهلاك الأغنام والماعز، في السويات الأولى المحلية (ماقبل الأوروكية)، وفي سويات الاتصال أو العلاقات مع أوروك. تظهر هذه المعلومات التوجه نحو الاختصاص الرعوي في الأغنام والماعز، الذي بدا واضحاً، قبل فترة النفوذ الأوروكي في سورية[1]. كذلك قدمت المعلومات التي حصلنا عليها وبشكل غير مباشر من الدراسات النباتية في تل زيادة في الألف الرابع الباكر على الخابور الأوسط عن طريق فحص عينات القمح والبقول بالكربون المشع، التوجه نحو الاختصاص الرعوي[2]. حيث حصلنا على بقايا النباتات الكربونية المشعة من روث الحيوانات، التي كانت تستخدم كوقود. إن ظهور مادة النباتات السهبية المفضلة للاستهلاك الرعوي، يوحي بميل نحو القيام برعي الحيوانات المدجنة فيما وراء وادي النهر، كنتيجة للتوسع في الاقتصاد الحيواني. هناك فرضية تقول إن استغلال الأغنام، الذي يرتكز على صوفها و إنتاجها من غير اللحم، كالحليب، هو ابتكار من الألف الرابع. ويواجه الدارسون مشكلة، وهي عدم وجود الأدلّة على تأكيد حصول مثل هذه "الثورة في الإنتاج الثانوي" بشكل مباشر في سورية الألف الرابع. وبنفس الوقت ليس هناك ما يدعو لرفض مثل هذه الآراء. حيث يتركّز الموضوع هنا على مسألة وجود أو غياب عملية الرعي البدوي بطقوسها المعتادة، فيما إذا كان القائمون بمهمة الرعي وتربية الحيوانات هم عبارة عن جماعات متنقّلة، ترافق قطعانها في دورة فصلية، معتمدة على الأرض المعشبة. حيث يصعب تأكيد وجود مثل هذه المجموعات في فترة ما قبل التاريخ، خاصةً في أسلوب حياتهم المتنقّل، الذي لا يترك دلائل أثرية كثيرة. إن الدلائل التي حصلنا عليها من الألف الثالث وما بعده، تؤكّد وجود جذور لها بالألف الرابع[3]. وقد أظهرت ميلندا زيدر Melinda zeder التي عملت على بقايا المجموعات الحيوانية من مواقع الخابور، أن مواقع الألف الرابع في سورية، قد ركزت على الصيد كما على الحيوانات الداجنة. حيث أعطت عمليات البحث في أم القصر على الخابور الأوسط، نتائج مدهشة عن مجتمع ما بعد العصر الحجري الحديث Post-Neolithic، الذي يعتقد أنه كان يمثّل محطّة صيد موسمية جيدة، فقد غلبت بقايا الحمير الوحشي، على المجموعات المكتشفة فيه، ويأتي الغزال بدرجة أقل. كما يقدم موقع كوران kuran على الخابور

1 - Ibid. p.206

2 - HOLE. Frank, Habour Basin Project- 1986-2001, LES ANNALES ARCHÉOLOGIQUES ARABES SYRIENNES,VOL. XLV-XLVI-2002-2003-P.18

3 -AKKERMAN PETER M.M.G- SCHWARTZ GLENN M, 2003- Op. Cit. p.206

الأعلى، نموذجاً مماثلاً، حيث تشير بقايا من عظام الغزلان، التي وجدت بكثافة غير طبيعية، إلى حوالي 100غزال مقتول وهي تُعد نسبة جيدة[1].

تقترح زيدر، في ضوء هذه النتائج، أن بدايات الجزارة والرعي قد بدأت في هذا الموقع، فكان يتم رمي الأقدام غير المستخدمة في كومة، وبقايا القطع اللحمية الحيوانية تنشر في كلّ مكان. كما توحي نسبة الصيد وعملية الجزارة، التي تجري في حيز منفصل، إلى عمل عالي الدقة والتنظيم، ومهارة في التدبير والتوزيع. ويعد تدجين الحمار ابتكاراً إضافياً ذا أهمية عظيمة في الاقتصاد الحيواني للألف الرابع ، الذي استخدم لقطع المسافات البعيدة. وقد يكون الحمار قد أدى دوراً في التوسع الأوروكي[2].

الاستهلاك المحلي للحوم الحيوانات وإنتاجها

كانت القطعان تربى من أجل الاستفادة من لحمها وحليبها، حيث يعتقد أن المبادلات كانت محدودة، تجري فقط بين المواقع. بالمقابل كانت المجتمعات الطبقية للمدن البالكرة، تملك اقتصاداً متكاملاً، بمستوى عالٍ من المبادلات بين المراكز الكبرى والمناطق الريفية. وربما ارتفع معدل هذه المبادلات أيضاً، بسبب الطلب المتزايد في هذه المراكز على المنتجات الغذائية الريفية. وفي مثل هذه الحالة سوف تحتاج القطاعات الريفية، إلى توليد حجم كبير من الفائض الحيواني ومنتجاته، الذي سوف يتطلّب استراتيجيات خاصة من الإنتاج الرعوي. كما ركّزت هذه الاستراتيجيات الخاصة على الإنتاج الرئيسي للألبان أو الصوف. ويبدو أن إنتاج الصوف، أدى دوراً مهماً في الاقتصاد الرعوي في المدن السورية البالكرة مثل إبلا[3]، يشهد على ذلك النصوص والآثار، التي تذكر عمليات توريد الحيوانات إلى عدد من المواقع البالكرة في المشرق[4].

هذا وتشير أنظمة الإنتاج الرعوي الاختصاصية، التي مورست في وادي الفرات في جنوب شرقي الأناضول، في حوض كارابابا، في العصر الحجري النحاسي المتأخّر، إلى نشوء نوع من الاقتصاد الإقليمي المعقّد في المنطقة، حيث تظهر العلاقة مع المستقرات العالية الكثافة، والاتصال مع الجنوب العراقي. و يترافق الإنتاج الرعوي الريفي المختص مع مستوى عالٍ من المبادلات بين المستقرات، لتطوير درجة الإنتاج الرعوي الاختصاصي.

1 - Zeder,Melinda A - The Archaeobiology of the Khabour Basin- BULETIN- 29, MAI 1995- P. 28
2 - AKKERMAN PETER M.M.G- SCHWARTZ GLENN M, 2003- Op. Cit. p.206
3 - L. MARFOE ET AL, The Chicago Euphrates archaeological project1980-1984. an interim report. *L. Marfoe et al-* ANATOLICA- XIII-1986-p.90-91
4 - Oates,David and Joan,McDonald,Excavations at Tell Brak vol 2- p. 394

استمرت تربية الأغنام والماعز في أداء الدور المركزي في الاقتصاد العالي الاختصاص لمجتمعات المدينة، التي تسود في جنوب غربي آسيا، من أواسط الألف الرابع حتى الآن. وتتحكّم في توزيع إنتاج الأغنام والماعز، خاصةً لدى سكان المدن البعيدين عن عملية الإنتاج الغذائي الريفي، وتُظهر المصادر الكتابية، وآثار البقايا الحيوانية، أنها كانت تلقى اهتماماً كبيراً من المسؤولين الإداريين في المدينة. فقد كان إنتاج النسيج، وتوفير الصوف واستيلاد الأغنام من أساسيات اقتصاد المدينة[1].

هذا وقد شجع النمو الاقتصادي، على التخصص الرعوي، الذي يؤمن التزود باللحم والصوف ومنتجات الألبان، في عملية المبادلات مع المنتجات الزراعية والبضائع الحرفية[2]. وكان الرعاة ومربو الحيوانات، مكوناً أساسياً من اقتصاد الإقليم الواسع، حيث كان الرعاة بحاجة لدرجة عالية من التنقّل، لتأمين المرعى الأمثل لقطعانهم، الذين كثيراً ما كانوا يقطعون مسافاتٍ بعيدة، للحصول على المرعى المناسب، فقدم التنقّل للرعاة درجة عالية من الاستقلالية عن سيطرة السلطة في المدينة، والتمتّع بخبرة فاقت تلك التي عند المستقرين من المزارعين والمهنيين في مراكز المدن[3].

1 - L. MARFOE ET AL, 1986- Op. Cit -p.91
2 - SHEEP AND GOATS- Oxford . VOL 2 – 1997- p.24
3- Ibid. p24

الخلاصـــة

لقد مثّلت سورية في الألف الرابع، عنصراً حياً في نسيج المنطقة الحضاري، ومارست دورهـا بكل الفعالية التي اقتضتها الظروف في ذلك الوقت. وعند تناول سورية حضارياً، نتناولها من منظـور المرحلة التي ندرسها فيها، فسورية الألف الرابع لا يمكن دراسـتها بمعـزل عـن محيطهـا البيئـي والجغرافي، حيث عاشت مواقع الفرات وحدةً حضاريةً مستمدة من الوحـدة الطبيعيـة، بعيـدة عـن التقسيمات السياسية التي نعرفها اليوم. إن دراسة المواقع السابقة، وضحت لنا طبيعة العلاقـات التـي كانت قائمة في فترة العصر الحجري النحاسي المتأخّر بين المراكز الحضارية في المنطقة، وأسس قيام المجتمعات المدنية الكبيرة والصغيرة، حيث يظهر لدينا أن سورية شهدت بزوغ فجر الحضارة، بكـل المكونات التي عرفتها المدن الباكرة في الجنوب، التي تجلّت بالعمارة المميزة وأسلوب الفن الراقـي و التقدم التقني، يرافق هذا كله نمو مجتمع معقّد، تطلّب مزيداً من الهيكلية الإدارية، لمواجهة التحـديات الاقتصادية وتراكم الإنتاج، باعتماد نظام من التسجيلات الكتابية، التي شكّلت نقلة حـضارية وعلامـة فاصلة في التاريخ. وقد مثّلت أوروك دور المرجعية لهذا التطور، حيث امتدت ثقافتها لتـشمل منطقـة المشرق، عبر مراكز الاستقرار التي أسستها، أو المواقع التي عززت وجود الأوروكيين فيها. فُـسرت لغاياتٍ اقتصادية بالدرجة الأولى. كما كان شمالي سورية والعراق، مسرحاً نشطاً لعمل هذه المستقرات الأوروكية الحقيقية، غير أنه علينا أن نتنبه إلى أن الأوروكيين، عندما قـدموا إلـى شـمال سـورية والعراق، لم تكن المنطقة خالية من السكّان، بل كانت تسكنها مجتمعـات محليـة، تمـارس نـشاطها الحضاري أيضاً، التي تشاركت معهم في تعمير هذه المواقع وازدهارها. فمن الملاحـظ أن المواقـع الأوروكية الحقيقية، التي تعرضت للدمار، وهجرت، من دون إعادة إعمارها، مثل حبوبـة وعـرودة، دليل أن سكّانها كانوا غرباء عن المكان. بينما مواقع أخرى مثل هاسيك هويوك التي عرفت مزيجاً من المستقرين الأوروكيين والمواطنين، تم تجديدها وأعيد السكن فيها من السكّان المحليين.

لقد قدمت المواقع في شمال سورية والعراق وجنوبي تركيا بعداً استراتيجياً لجنوبي العراق، في مد شرايين التجارة الدولية، لاستيراد المواد الخام اللازمة لبنية الجنوب الحـضارية والاقتـصادية. إن هذه الاتصالات بين المراكز التجارية والمدن الأم، قد ولّدت شبكة من التبادل الثقـافي، ومـد الهويـة الحضارية للمنطقة، مع الاحتفاظ ببعض الخصوصية المحلية.

الفصل الرابع

- الإنتاج الزراعي ونوعيته مترافقاً بالإنتاج الرعوي وأثره على النهوض الاقتصادي
- نشأة المدن والركائز التي اعتمدت عليها
- التجارة والعلاقة بين الشمال والجنوب
- ظهور الكتابة

الإنتاج الزراعيِّ ونوعيته مترافقاً بالإنتاج الرعويِّ وأثره على النهوض الاقتصاديِّ

"كل من يملك الذهب أو الفضة أو الماشية، أو الأغنام، عليه أن ينتظر عند بوابةّ الذي يملك القمح."

مقتبسة من مناظرة سومرية بين "النعجة و القمحة" [1]

شهدت منطقة الشرق العربي القديم انبثاق فجر الحضارة الإنسانية، التي اتّضحت معالمها بنشوء الزراعة، وقيام مراكز الاستقرار، وقد حظيت منطقة شمالي سورية بعدد كبير من هذه المراكز. يعود الفضل في ذلك إلى توفّر مقومات الزراعة من التربة المناسبة والمياه الكافية، والمناخ الملائم.

لقد شكّلت ممارسة الزراعة عاملاً أساسياً في التحول الجذري، الذي عرفته مجتمعات ما قبل التاريخ، في عملية انتقالها من الاقتصاد القائم على الالتقاط، وجمع النباتات، والصيد إلى الاقتصاد الإنتاجي المتمثّل بالزراعة وتدجين الحيوانات. كان هذا التحول من الأهمية بمكان، إذ أُطلق عليه اسم الثورة الزراعية، أو ثورة العصر الحجري الحديث Neolithic Revolution التي حصلت لأول مرة في بلاد الشام، في السوية الثالثة في المريبط على الفرات، وذلك منذ مطلع الألف الثامن قبل الميلاد. وقد رافقت هذا التحول الاقتصادي المهم، تحولات اجتماعية كبيرة، عاشتها القرى الزراعية الباكرة، حيث أصبحت ذات بنى اجتماعية مركّبة ومارست الفنون والمعتقدات المتطورة[2].

انطلاقاً من البيئة الزراعية للمستقرات التي عرفتها منطقة المشرق وتحديداً شمالي سورية والعراق، يحتّم علينا دراسة هذه البيئة. فقد قدمت منطقة الجزيرة السورية، وشمالي العراق، الإمكانيات اللّازمة لنشوء الزراعة البعلية، مع عدم إغفال وجود الأودية المائية فيها.

تتميز الجزيرة بأنها ذات ترب متنوعة، فهناك التربة الموضعية والمنقولة، كما تتمتّع الجزيرة العليا بتربة خصبة ذات بنية حمراء داكنة، وتربة صفراء ذات أصل بركاني وبازلتي، إضافةً لمجموعة الترب اللحقية وطمي الأنهار وروافدها، التي تؤمن الأرضية الجيدة للأعمال الزراعية والرعوية، وقيام المستقرات البشرية[3]، وتتلقى الجزيرة العليا كميات من الأمطار السنوية بمعدل كافٍ لقيام زراعةٍ بعلية حوالي 300مم[4]، بالإضافة لجريان المياه السطحية، بينما تعاني الجزيرة الدنيا من فقرٍ بالأمطار والمياه

1 - Schwartz. Glenn M, Rural Economic Specialization and Early Urbanization, ARCHAEOLOGICAL VIEWS FROM THE COUNTRYSIDE 1994- P.19

2 - محيسن سلطان، عصور ما قبل التاريخ، جامعة دمشق 2006- 2007 ص 171- 182

3 عبد السلام، عادل،2002، البيئة الجغرافية للجزيرة السورية واستيطانها، وثائق الآثار السورية 1، دمشق 2002 ص19

4 عبد السلام، عادل، جغرافية سورية الإقليمية، دمشق، 1981- 1982م، ص 149- 150

السطحية والعيون، لدرجة لا تساعد على قيام زراعة غير مروية. ولكنها تسمح بنمو غطاءٍ عشبي لموسم واحد قصير. كما تؤمن مياه الفرات ودجلة والخابور وأوديتها، مصدراً مائياً مهماً للقيام بزراعة مروية، خاصةً في المناطق التي تعاني من قلة الأمطار[1].

لقد قسم ولكنسون WILKINSON المناطق الشمالية لسورية والعراق، اعتماداً على كمية الهطولات المطرية إلى خمس مناطق إيكولوجية/ بيئية، زراعية على النحو الآتي:

- المنطقة - 1- أ: ذات هطولات أكثر من 600 مم، ويتميز الجزء الممتد ضمن الأراضي التركية بزراعة القمح والشعير والعدس. بصورة دورية على مر السنين، وتشغل الكروم التراب الخفيفة المتاخمة.
- المنطقة - 1- ب: معدل الهطول بين 350- 600مم ولا يقل عن 300مم في كلّ عامين من ثلاثة أعوام. تشمل المحاصيل الرئيسة القمح والحمص والعدس والفواكه والخضراوات ومحاصيل الصيف البعلية.
- المنطقة -2: متوسط الهطولات، من 250- 300مم، وأكثر من 250 مم في كلّ عامين من ثلاثة أعوام. أهم محاصيلها الشعير والقمح وبعض البقوليات، والمحاصيل الصيفية.
- المنطقة - 3: المعدل السنوي أعلى من 250 مم ولا يقل عن 250 مم في كل سنة من اثنتين، ويعد الشعير والمواشي (الأغنام والماعز بصورة رئيسة) هي المنتجات الرئيسة فيها، بالإضافة إلى القمح أيضاً، وتحتلّ البقول مكانة قليلة الأهمية.
- المنطقة - 4: معدل الأمطار بين 200- 250 مم ولا يقل عن 200 مم خلال نصف الأعوام، ويبقى الشعير والأغنام، أو الماعز المنتجات الأولية في المنطقة، حيث يزرع الشعير بصورة أساسية، لإطعام القطعان، كما في الماضي.
- المنطقة - 5 : معدل الهطول أقل من المنطقة الرابعة وتمتد ضمن حدود الصحراء الحقيقية. تستخدم هذه البقعة للرعي، من قبل الرعاة البدو أو أشباه البدو بصورة رئيسة[2].

يشير سجل غبار الطلع الضئيل للتغير المناخي الهلوسيني في منطقة شمالي العراق وسورية، إلى عدم حصول تغيرات مناخية مهمة في المنطقة على مدى ستّة آلاف سنة[3]، وبالتالي فإن هذه التقسيمات تسلّط الضوء بعض الشيء على وضع الزراعة الذي كان سائداً في الماضي، في ظل الوضع المناخي السابق.

---

1 - عبد السلام، عادل، المرجع السابق 2002، ص 17- 18

2 - ولكنسون، ث.ج، حدود الزراعة البعلية في شمالي سورية، نظرة أولية، وثائق الآثار السورية 1، دمشق 2002، ص181- 182.

3 - ولكنسون، ث.ج، المرجع السابق ص182

الزراعة بين الشمال والجنوب:

إن هذه التقسيمات تقدم لنا صورة عن واقع الزراعة المعتمدة في منطقة الجزيرة، كما قدمت معدلات الهطول المطري في المناطق السابقة، إمكانيات إقامة زراعة بعلية مع تحديد نوعية المحصول المناسب لها. لكنّنا كلّما اتّجهنا جنوباً تقل كميات الأمطار، ويصبح لزاماً على المزارعين استخدام تقنيات الري، التي تعتمد بالدرجة الأولى على إنشاء قنوات، وجر المياه من نهري دجلة والفرات. هذا النظام عرفته مدن جنوب العراق منذ عهدٍ بعيد، حيث أدت الزراعة المروية دوراً أساسياً في الازدهار والنمو المتواصل لحياة المدن الجنوبية، بما وفرته من الإنتاج الزراعي الفائض، الذي هيأ لبناء نظامٍ إداري – سياسي، يدير العمليات الاقتصادية والاجتماعية، التي ميزت الجنوب، كنموذجٍ راقٍ لدولة-المدينة فيما بعد[1] .

إن المعطيات المتوافرة تاريخياً، قدمت لنا مدن الجنوب كمؤسسات مكتملة البنيان الحضاري، اعتمدت أصلاً على الزراعة المروية، ونحن هنا نحتاج لوقفة. إذا كان الإنتاج الزراعي وما يترتب عليه من عمليات اقتصادية، قد وفّر إمكانيات نشوء المدن النظامية. أين هي منطقة شمالي العراق وسورية من هذا التطور؟ ويحق لنا طرح التساؤل بطريقة أخرى، لماذا الشمال لم يحظ بفرصة السبق في عملية الارتقاء المديني هذه، على الرغم أن الإمكانيات لإقامة الزراعة كانت دائماً متوفّرة، بل على العكس هي من السهولة بمكان، حيث لا تحتاج ذلك الجهد المبذول في عمليات الري، على اعتبار أن الزراعة في الشمال بعلية. هل كانت عمليات الري هي الجهد المبذول، الذي احتاج إلى إنشاء نظام يدير هذا العمل بعماله وإمكاناته الكبيرة متمثّلاً بهيكل الدولة؟ لتفسير الوضع بين الشمال والجنوب، يمكن أن نستند فيه على العلاقة الحديثة بين الزراعة المروية و الزراعة البعلية. حيث يقرر العامل المناخي الحدود الفاصلة بين المنطقتين.

تشير الدلائل إلى أن إنتاج الهكتار الواحد من الحبوب في الزراعة المروية في الجنوب يفوق مرة ونصف أو مرتين إنتاج الهكتار في الزراعة البعلية في الشمال. ومع ذلك يفوق الإنتاج الكلي في الشمال إنتاج الجنوب.

يتضح لنا أن مراكز الشمال تنتج أكثر من مراكز الجنوب، لارتباط الإنتاج النهائي مباشرةً بمساحة الأرض التي تخضع للزراعة. "ابذر أرضاً واسعة تحصد محصولاً كبيراً" هنا تُعزى زيادة المحصول لاتساع مساحة الأرض المزروعة في الشمال. أما الزراعة المروية في الجنوب العراقي، فهي تقتصر نسبياً على مساحات صغيرة من الأرض، بينما الزراعة البعلية الشمالية ذات المساحات الشاسعة، فتنتج معظم قمح وشعير البلاد[2].

1 - Redman Charles L. THE RISE OF CIVILIZATION, 1987, p.(221- 223)
2 - Weiss Harvey -1983, THE ORIGINS OF TELL LEILAN Paleorient ,VOL 912/1983, P. 40

لقد دلّت الشواهد من التنقيبات الحثيثة، التي أجريت في العقود الماضية في منطقة الجزيرة وشمالي العراق، وفي عدد كبير من التلال التي تزخر بها هذه المنطقة، اعتمادها بشكلٍ أساسي على الزراعة كنشاطٍ اقتصادي للمعيشة، وخاصةً الزراعة البعلية. فقد اختصت بإنتاج الحبوب بالدرجة الأولى، كما بينت العينات المكتشفة في موقع تل براك، على أنه كان يمثّل مركزاً كبيراً ومعقداً، ضمن منطقة زراعية، اشتُهرت بأنها إهراءات أو مخزن الحبوب في المنطقة[1].

الاستقرار في منطقة الزراعة البعلية في أرض الجزيرة

تزودنا المعالم القائمة خارج المواقع الأثرية، بنظرة عن الاقتصاد الزراعي القديم ضمن منطقة الزراعة البعلية، حيث تنتشر المستقرات بشكل منتظم عبر السهل ضمن حدود منطقة الزراعة البعلية، التي تتوفّر فيها الشروط الملائمة لذلك. فقد بينت الدراسات الكربونية للبقايا النباتية في تل سويحات، عدم وجود دليل على الزراعة المروية. لذا يتهيأ لنا أن الموقع اعتمد بصورة رئيسة على زراعة المحاصيل البعلية، وهذا ما يجعله موقعاً هامشياً بامتياز★. كما يستدل الآثاريون على المواقع التي عاشت على الاقتصاد المروي، حين تقع هذه المواقع في أودية الأنهار جنوبي خط مطر 200-250مم. هنا تُستخدم المعالم الأثرية والترابية لتزويدنا بدلائل عن السقاية أكثر دقة من تلك التي يزودنا بها السياق الجغرافي وحده[2].

إن حدود الزراعة البعلية حالياً شديدة التعرج وهو وقفٌ على مجموعة عوامل اقتصادية وثقافية، إضافة إلى الترب المحلية والشروط الهيدرولوجية/ المائية. فالترب في الأودية، مثلاً، قد تظل رطبة معظم أيام السنة، مما يؤدي إلى امتداد بقع الزراعة البعلية إلى الجنوب وصولاً إلى الصحراء الحقيقية. وهكذا يمثّل القمح المحصول الرئيس، حيث يزيد معدل الهطول السنوي على 325 مم، علماً أن زراعة الشعير تُعد ذات أهمية أكبر في مناطق الترب الفقيرة والأقل خصباً بحيث تهيمن زراعة الشعير كلما ابتعدنا نحو الجنوب إلى أن تبدأ منطقة الرعي. أما في المناطق الأكثر جفافاً تسود زراعة الشعير، مع إتباع دورة إراحة الأرض، وأصبح يزرع كمحصول سنوي بصورة متزايدة، لأن إنتاج المحصول لم يعد مضموناً كل عام، فإن رعي الحيوانات تزايد باتجاه الحد الجنوبي للمنطقة التي تتراوح أمطارها بين 200- 250مم، وفي بعض الأعوام لا يحصد الشعير، بل يترك لترعاه الأغنام والماعز مباشرةً، كنوع من إستراتيجية رعي الشعير في السنين الجافة[3].

---

1 - Oates,David and Joan,McDonald,Excavations at Tell Brak ,vol.2-2001 -p. 394

★ المنطقة الهامشية: هي المنطقة الواقعة بين المناطق ذات الأمطار الكافية للزراعة البعلية والمناطق الصحراوية الجافة ذات الأمطار النادرة. وتحمل خصائصهما ويقوم سكانها على التبادل التجاري بين الحضر والبدو.

2 - ولكنسون، ث.ج، 2002 المرجع السابق ص184

3 - ولكنسون، ث.ج، المرجع السابق ص182

من جهة أخرى تبين دراسة الشواهد من موقع تل براك للمحاصيل، التي كانـت معروفـة فـي مواقع شمالي سورية في عصر البرونز الباكر مدى الشبه بالمحاصيل المروية في أيامنا الحالية، حيث تُظهر العينات النباتية من الموقع نوعية المحاصيل، التي تتمثّل بالحبوب من القمح و الشعير، فقد كـان يعد الشعير المحصول السائد، وربما يعكس معدل زراعته الكبير، أهميته كعلفٍ للحيوانات، كمـا فـي حصص ومؤن الإنسان لصنع الجعة، ويدل الشعير المقشور لمرتين، والقمـح والحنطـة المدروسـة والعدس والبازلاء، ومحاصيل أخرى كبذور الكتّان، على وفرة المحاصيل التي تشير إلـى أن بـراك كانت مركز إنتاجٍ زراعي مهم[1].

المجتمعات الريفية الصغيرة على الأطراف الهامشية

تمتاز هذه المنطقة بوقوعها ضمن نطاق المناطق الهامشية، وتستقبل أمطاراً سنوياً بمعدل 200-250مم، فقد زودتنا المعلومات التي حصلنا عليها من المواقع التي خضعت لعمليات الإنقاذ الدولية فـي أواخر الثمانينيات، على إثر العمل ببناء السد (سد الخابور الشرقي والغربي) بالمنطقة التي تقع إلـى الجنوب والشمال الغربي عند نقطة التقاء روافد الخابور الأعلى "المثلث"، بمعلومـات عـن الطبيعـة الريفية للمجتمعات في فترة تطور المجتمعات المركّبة في المناطق الهامشية[2]. حيث مثّلت سورية فـي فترة ما بعد أوروك، صورةً عن تلك المجتمعات الصغيرة، مع دلائل قليلة و أحياناً غير موجودة عـن العمارة الضخمة، أو عمليات النخبة أو الكتابة...الخ. وقد رافق هذا التطور بعض الاسـتثناءات، كمـا أثار تساؤلات من قبل عدد من الدارسين: لماذا وبالرغم من قرون من الاتصال مع حضارة المدن في جنوب العراق، لم يكن هناك ازدهار مباشر للمدنية وللمجتمعات المركّبة؟ فقد أظهرت التنقيبات لعـدد من المواقع مؤخّراً، دلائل على قيام دويلاتِ مدنٍ كبيرةٍ، ومجتمعـات مثقّفـة فـي سـورية حـوالي 2600- 2500 ق.م بعد مئات من السنوات بعد التراجع الأوروكي[3].

هل كانت هذه الظاهرة نتاجاً لتجديد الاتصال مع جنوب العراق، أو مثّلت التقدم الـذي لاحظنـا مراحله الأولى في القرون الباكرة من الألف الثالث ق.م؟

من جهةٍ أخرى، فقد شهدت منطقة الخابور الأوسط، التي تقع تمامـاً جنـوب الحـدود الحاليـة للزراعة البعلية، ولادة مواقع على طول نهر الفرات في الألف الثالث البـاكر. حيـث أشـار المـسح السطحي عام 1983م في هذه المنطقة، إلى قفزة نوعية بعدد المواقع التي أُحصيت (من خمسة مواقـع في الألف الرابع، إلى اثنين وعشرين موقعاً في الألف الثالث)[4].

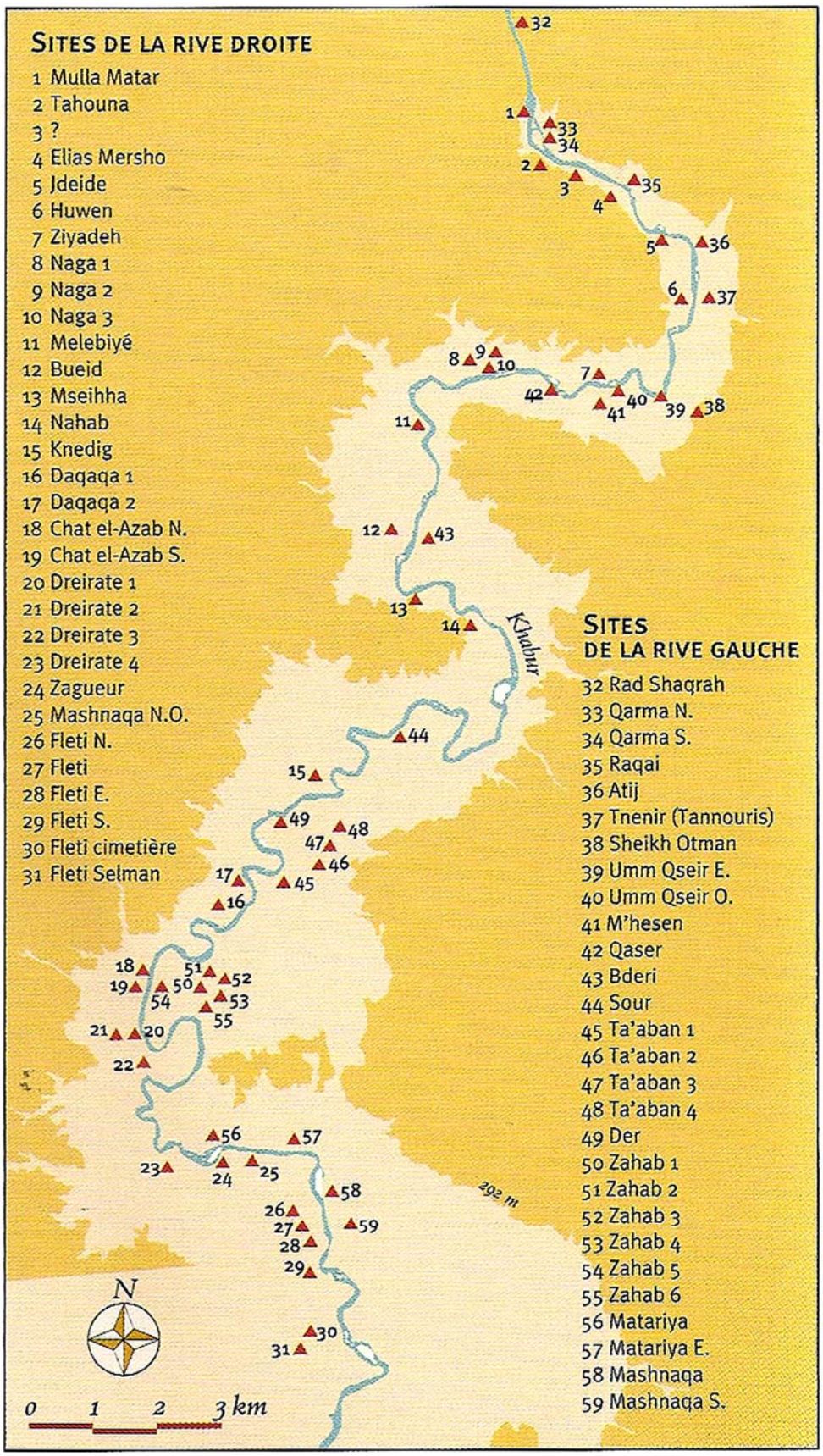
---

1 - Oates,David and Joan,McDonald, 2001 Op. Cit, p.394

2 - AKKERMAN PETER M.M.G- SCHWARTZ GLENN M.- 2003,Op. cit - p.217

3 - Ibid - p. 218

4 - Bounni Adnan , L´histoire des Fouilles Archéologiques en Syrie, Aux Origines de L´ Écriture En Syrie,p.111-112



(المصور 5) أهم المواقع على الخابور الأوسط

كما أثبتّ التنقيب في التربة العذراء في رقاي، عتيج، تنينير، بدير، والميليبية... أن هذه المواقع قد وجدت في الألف الثالث الباكر وقد شُغِلت خلال فترة نينوى V★، وتشير الدلائل التي جـاءت مـن هذه المواقع الصغيرة على الخابور الأوسط إلى وجود اقتصادٍ اختصاصي، يتمتّع بمستوى عـالٍ مـن تسهيلات خزن الحبوب وتسويقها، و يرتبط بعلاقات مع المراكز الكبرى، على عكس القرى الزراعية البسيطة ذات الاكتفاء الذاتي. فقد كشف موقع قرما Kerma 0.3 هكتار عن مخزنٍ مركـزي للحبـوب محروق، مملوء بالشعير والقمح المتفحم، وعن غرفٍ احتياطية إضافية، فيها محاصيل تالفة من القمح منتشرة في الموقع[1]. وتم تعرف عنابر لخزن الحبوب "السلوة "SILO★★ أو صوامع، مخصصة لخزن علف الحيوانات، تألفت من مبانٍ اسطوانية من الطوب الفج، خالية من الأبواب، وسطوح مقنطرة ذات طنف. ومن جهةٍ أخرى، تم التعرف في موقع رقاي Raqai 0.4 هكتار الذي يبعد 2كم جنـوبي قرمـا على مجرى النهر، على عمارة السلوة في السوية 4 ، 3. التي تؤكد على الإنتاج المتخصص وحجـم التخزين للموقع[2]، كما يدل العثور على ألواح العد وطبعات الأختام، على استخدام تقنيات الإدارة فـي هذه المواقع.[3]

أظهرت السويات الباكرة في رقاي7- 5 المعاصرة تقريباً لفترة ليلان IIIa، وجود مبانٍ مشوية ذات صفوف من الجدران المتوازية، تحدد فيما بينها أماكن ضيقة، ربما ترافق ذلك مع سويةٍ لمخـزن الحبوب أو التجفيف. لقد تم بناء المبنى الدائري في السوية 4 تقابل ليلان IIIB- C، مع سـلوات ذات عقود (قناطر)، وأرصفة من الطوب، ومواقد كبيرة. كما أعيد بناء المبنى الدائري في السوية 3 المقابلة لليلان III d والعمارة المنزلية ذات الحجم الصغير، بالإضافة إلى معبد مـسور أو منطقـة (مقـام أو مزار)، حيث نُظّمت حوله منطقة ورشات حرفية بأسلوبٍ شعاعي نموذجي[4].

★ **فترة نينوى v** : استمدت هذه التسمية من الطبقة الخامسة للسبر العميق الذي قام به مالوان 1931م. في التل الكبير من نينـوى في شمالي العراق يمكن أن تؤرخ (3100- 2550 ق.م) تميزت بنوعية فخارها الذي انتشر على منطقة واسعة فـي شـمال شرقي سورية وشمالي العراق، وقد اتسم فخار نينوى V المطلي، والمزهريات ذات الأعناق الطويلة بأشكال هندسية سـاعة وأشكال حيوانات برية، والفستونات في أسفل جسم الأواني.

EARLY HISTORY OF THE MIDDLE EAST THE CAMBRIDGE ANCIENT HISTORY, P.301-303

1- AKKERMAN PETER M.M.G- SCHWARTZ GLENN M.- 2003,Op. cit, P.218

Schwartz. Glenn M, Rural Economic Specialization and Early Urbanization,1994, P. 20-21 انظر أيضاً

★★ **SILO** : السلّوة : مستودع اسطواني خشبي أو إسمنتي عالٍ محكم الإغلاق يحفظ فيه علف الدواب. **قاموس المورد الحديث (إنكليزي - عربي) 2008– ص 1081**

2 - Schwartz. Glenn M, 1994 Ibid- P.24

3- Schwartz and Curvers,1990, Excavation at Tell al-Raqā´i: ASmall Rural Site of Early UrbanNorthern Mesopotamia , AMERCAN JOURNAL OF ARCHAEOLOGY-VOL 94.No 1 p.7

4 - Fortin.M, Schwartz. G,The Middle Habur in the Third Millennium B. C Subartu IX, 2003, p.221-222

كما زودتنا العينات الكثيرة المكتشفة من السوية 3 في رقاي، بصورة كاملة تقريباً عن المجتمعات الريفية الصغيرة في الألف الثالث. فخصوصية موقع رقاي تركّز على خزن الحبوب. وتظهر أنها تتوافق مع تحليل العينات النباتية الأثرية التي أجراها ويليام فان زيست Zest[1]. من جهةٍ أخرى، توحي الكميات الصغيرة، التي وجِدت في السويات 7-5 من أماكن نباتية مختلفة، متضمنة القمح والشعير، إلى اقتصاد معيشي. بينما تشير الكميات الأكبر حجماً من بقايا الحبوب، في السويات 4- 3 التي يغلب عليها الشعير، واستخدام المبنى الاسطواني ضمناً، إلى خصوصية الإنتاج الفائض من الحبوب[2].

مقارنة

لقد لوحظ من المعلومات الحيوانية عن الاقتصاد المعيشي عند السويات الأبكر في رقاي أنه يستند على تنوع واسع في الأماكن البرية والمدجنة، لكن هذه الإستراتيجية قد حلّ محلّها في السويات الأخيرة اقتصاد متخصص مرتكز على الأغنام والماعز، و يظهر النموذج نفسه في المواقع المجاورة مثل عتيج وجديدة..... وغيرها.

وهكذا يظهر لنا أن تلّ رقاي كان واحداً من مجموعة مجتمعات نهرية صغيرة متخصصة ومتقدمة بخزن كميات كبيرة من الحبوب، تعمل لصالح فئة النخبة التي تمثّل عليةَ القوم في المراكز الكبيرة بالمناطق الأخرى.

كما يتبين لنا من موقع عتيج Atij (يتألف من تلين، التل الرئيسي 150م×40م، التل الآخر 200م×40م)الذي ينتمي لمجموعة المواقع النهرية، الذي يبعد عن رقاي 2كم، على أنه كان يمثّل محطّة تجارية على نهر الخابور، حيث تُخَزن فيه كميات كبيرة من الحبوب في المخازن المخصصة لهذا الأمر، على منوال مستودعات التخزين المعاصرة له في رقاي و قرما ومشنقة... في وادي الخابور[3]. كما شهد هذا الموقع سكناً متعاقباً يعكس ما كان واقعاً في رقاي، فقد تضمنت السويات الباكرة والمتأخّرة مباني مشوية. كما تشير فترة نينوى v في الموقع إلى مجمعاتٍ من المباني ذات العقود، دون أبوابٍ لتسهيل عملية خزن الحبوب، و يحيط بالمخازن سور من الطوب بسماكة 2,5 م، والجدار الموجود حالياً بعلو4م[4]. من جهةٍ أخرى عثر على أدوات تشير إلى استخدام تقنيات إدارية مثل الكتل الطينية والألواح الحسابية، كما في رقاي ، ربما استخدمت لتنظيم عمليات الخزن والتسويق[5]. يختلف عتيج عن رقاي، أنه لا توجد فيه عمارة تمثّلُ مقراتٍ سكنيةٍ بشكلٍ واضحٍ[6].

1 - AKKERMAN PETER M.M.G- SCHWARTZ GLENN M.- 2003,Op. Cit, P.218

2 - Ibid, P.219

3 - Fortin. M, Cooper. L, Canadian Excavation at Tell Atij (Syria) 1992-1993 BULLETIN - 27- May 1994 -p.34

4 - AKKERMAN PETER M.M.G- SCHWARTZ GLENN M.- 2003,Op. Cit, P.219

5 - Fortin. M Subartu IX- 2003- Op.Cit .p. 223

6- AKKERMAN PETER M.M.G- SCHWARTZ GLENN M.- 2003,Op. Cit, P.219

هذه المواقع الصغيرة المكتشفة في منطقة الإنقاذ شمال غربي الحسكة قد زودتنا بدلائل إضـافية عن مجتمعات الألف الثالث الباكر في مراكز للاستقرار مثل تلّ خزنة وأبي حفور، تلّ الجسعة الغربي وأبو حجيرة، التي تتشارك بخصائص معمارية مع المواقع الصغيرة السابقة في الخابور الأوسط، كالمباني ذات القناطر الداخلية التي كانت تستخدم للخزن.[1]متضمنة استخدام دعائم داخليـة، كـالأقواس الزائفة والدعائم القوسية والرصيف الطيني[2].

إن انتشار هذه المواقع الصغيرة ووظيفتها المزعومة التي أنشئت من أجلها تجعلنا نتساءل عـن دور السلطة المركزية فيها، أين تركزت؟ وكيف؟ ومن كانت تمثل؟

يعرض فورتين وشوارتز وكورفيز نتيجة الدراسات التي قاموا بها على هذه المواقع ، أن مواقع الخابور الأوسط ذات المخازن قد أُديرت من سلطة مركزية ما، ركّزت على نقـل الـسلع الرئيـسية والفائضة وتسييرها، وربما عملت المراكز المدنية في شمالي الخابور الأعلى على اسـتغلال المنطقـة العذراء في منطقة الخابور الأوسط لاستثمار الفائض الزراعي، الذي تنتجه منطقة الخـابور الأعلـى، التي تتلّقى كميات من الأمطار تفوق منطقة الخابور الأوسط، كنوع من عملية تكاملٍ بين الشمال الـذي يقدم الإنتاج الفائض من الحبوب والمنتجات الزراعية، و منطقة الخـابور الأوسـط الـذي اسـتُغِلت للتخزين. فعلى سبيل المثال نجد مركز تلّ براك الذي اشتُهر بإنتاجه الزراعي الكبير، وبحكـم موقعـه على الحافّة الجنوبية الجافّة للخابور الأعلى، ربما قد وجد أنّه من الملائم أن يستغل منطقة خالية تقريباً دون مطالبين سابقين ليخزن المنْتَج الفائض لديه. هناك احتمال آخر، ارتباط مواقع الخابور الأوسط مع قوى مركزية في الجنوب مثل ماري على الفرات في عمليات تجارية لنقل الحبوب وبيعها، فقد قـدمت لنا مصادر النصوص من الألف الثاني أن دويلات المدن الجنوبية، كثيراً ما نظمت بعثاتٍ إلى الـشمال بغرض الحصول على الحبوب لدعم إنتاجها الزراعي، وخاصةً في أوقات الجفاف أو نقـص الغـذاء، على مثال ما كان سائداً في الألف الثالث. فقد كانت ماري على الفرات أهم مركـز تجـاري يـتحكّم بالتجارة النهرية للفرات والخابور معاً. حيث تشير نصوص ماري إلى إرسال مثل تلك البعثـات إلـى البلاد العليا[3].

لكن بيرتي ليونيه Bertille Lyonnet ترى أنّه يجب أن ننظر إلى هذه المواقع في الخابور الأوسط مثل رقاي، قرما، جديدة ،عتيج ، زيادة.... مع عدد كبير من الصوامع والأفران على أنّها أماكن لحفظ الحبوب للعامة. أكثر من كونها أماكن للتجارة الكبيرة[4]. كما تجعلنـا الكميـات الكبيـرة مـن عظـام الحيوانات المكتشفة، نميل للاعتقاد أن مستودعات تلّ عتيج كانت تستخدم أيضاً لخزن علفٍ للحيوانات،

1 - سليمان أنطوان- كينيه فيليب،ثلاث حملات تنقيب سورية في تل أبو حجيرة (1988- 1990)، وثائق الآثار الـسورية III - الجزء الأول- 2003 ص(5- 20- 21- 23)

2 - AKKERMAN PETER M.M.G- SCHWARTZ GLENN M.- 2003, Op. cit,P 223

3 - Fortin. M, Cooper .L. BULLETIN - 27- May 1994-Op.Cit. p.34

4 - ليونيه ، بيرتي، وثائق الآثار السورية1،دمشق 2002،المرجع السابق ص 162

الذي يبدو أنه كان نادراً في الأماكن المجاورة، وفي هذه الحالة يكون تلّ عتيج، قد أدى دور " المخزن غير المباشر" حيث يتم تحويل الإنتاج التالف أو غير الصالح للاستهلاك الآدمي، إلى علفٍ للمواشـي بصلاحية تمتد لأمدٍ أطول، التي تصبح بدورها أي الماشية قابلة للاستهلاك عند الحاجة. أو تـستثمر عن طريق ما يعرف بالإنتاج الثانوي، كالحليب والصوف وروث الحيوانات المستخدم كوقود[1].

ما يمكن أن نلخّصه بالعملية الآتية:

محاصيل مكّدسة ← تالفة ← علف للحيوانات ← الإنتاج الثانوي (الحيوانات تقـدم الحليب والصوف أو اللحم).

لا بد من الإشارة هنا إلى أن التنقيبات الحديثة في تلّ رقاي وتلّ عتيج أظهرت وجـود أنمـاطٍ جديدة من النشاط في هذه المنطقة، ارتبط مع مراكز تجميع الحبوب وحفظها. وهكذا بعد انهيار المدنية الأولى المبكّرة في فترة أوروك، تأخذ سورية في تطوير حضارة مدنية جديدة خلال النصف الثاني من الألف الثالث ق.م، ظهرت معالمها في مواقع كثيرة وكبيرة مثل تلّ براك، وتلّ الخويرة، وتلّ لـيلان، وتلّ بيدر، وتلّ الحريري، كان لها دور في جعل سورية تدخل بشكل مباشر في مرحلتين جديدتين هما العالم المدني و التاريخ[2].

هل قامت المواقع السورية بدور مركزي ومهم ، بعد تراجع مرحلة أوروك في جنوب العراق، وتمثّلت حجمها الحقيقي ؟

عرض بعض الباحثين أن عملية تخزين الحبوب في مواقع الخابور الأوسط كان بحده الأدنـى في البداية، وكان معيناً للسكان المحليين وافتراضياً للرعاة البدو في المنطقة[3]، فالحبوب الأولـى التـي لوحظت في مخازن مواقع الخابور الأوسط كانت الـشعير والحبـوب المعروفـة باسـتخدامها علفـاً للحيوانات[4]، غير أنه يجب أن لا يغيب عنا (أن الشعير قد عرفَ بالنصوص وبالكشف الأثري كنتـاجٍ رئيسي للاستهلاك الآدمي في عصر البرونز في سورية). ولكن ربما قد تم استهلاكه في إطعام قطعان الماشية الكبيرة. ومن الاحتمالات الأخرى التي طُرحت، أن السلطة المركزية، كانت ترسـل قطعانـاً كبيرة من الأغنام والماعز تحت إشراف رعاة اختصاصيين للرعي في منطقة الـسهوب، بعيـداً عـن المناطق الزراعية، تفادياً للصراع مع المزارعين على الأرض المستخدمة[5].

---

1 - Fortin. M, Cooper .L. BULLETIN - 27- May 1994- Op. Cit . p.44

2 - لوي هيو. جان ، الجزيرة السورية وعلاقتها مع وادي الرافدين ، وثائق الآثار السورية1،دمشق 2002، ص 66

3 - AKKERMAN PETER M.M.G- SCHWARTZ GLENN M.- 2003, Op. Cit .P.222

4 - HOLE. Frank, KHABUR BASIN PROJECT- 1986-2001- LES ANNALES ARCHÉOLOGIQUES ARABES SYRIENNES -2002-2003 p.18

5 - Oates,David and Joan,McDonald ,The Excavations at Tell Brak vol 2- 2001- Op. Cit. p.222-394

إن تطور المجتمعات الريفية تلك قد ترافق مع مجموعات عملت بالرعي في مناطق مجاورة لها، أسهمت في اقتصاديات المنطقة. فقد تم تمييز بعض المواقع، يعتقد أنها شُغلت كمقر للرعيان وقطعانهم في جوار منطقة الخابور الأوسط، عرفَت هذه التلال بتلال الدفن، الـ " دولمنDolmen " فـي بدايـة الألف الثالث ق.م.

غالباً ما تقع هذه التلال في البيئات الهامشية، حيث الأمطار أقلّ من أن تؤمن زراعة الحبوب. أو بين الأرض الزراعية والبادية حيث يمارس الناس الرعي وتربية الحيوان، و يترافق جزء مـن هـذه التلال مع حركة الرعي المتنقّلة بشكل عام. لقد أثارت هذه التلال الكثير من الجـدل لوجودهـا دون مستقراتٍ بقربها، وحول علاقتها بالسكان المتنقلين.

يقدم موقع تلّ بنات نموذجاً عن هذه التلال، حيث يقع على الـضفة اليـسرى لنهـر الفـرات، حوالي50 كم جنوب الحدود التركية، ويتألّف من مجموعة من التلال المعاصـرة متنوعـة الحجـوم والوظائف. يبلغ مركز المستقرة في تل بنات نفسه حوالي 30 هكتاراً. حيث تم اكتشاف فترتي سـكن، تدعى الأولى الفترة IV ، وتؤرخ حـوالي بـين2600- 2450 ق.م والثانيـة III تـؤرخ حـوالي 2450- 2300 ق.م[1].

على الرغم من دراسة التلّ ، يبقى عرضةً للتفسيرات التي تحاول فهم أو تحديد طبيعة وظيفته . فبعضها يرى، أن هذه التلال كانت أرضاً لدفن الرعيان الذين كانوا يـستخدمون وادي النهـر لـزرع بعض المحاصيل كمصادر غذاءٍ إضافية لهم، فالرعاة لم يعيشوا على الحليب واللحم فقط لكنّهم كبقيـة الناس عامةً يحتاجون إلى الحبوب في غذائهم أيضاً. حيث من المحتمل أن هؤلاء الرعاة المحليين قـد زرعوا الحبوب للاستفادة منها على مستوى استهلاكهم الشخصي، في حال تعذّر عليهم الاتجار مـع المزارعين. وهذه الحالة نشهدها عند جماعات البدو (نصف الحضر) في وقتنا الحاضر، حيث يقومون ببذر الحبوب وتركها حتى موسم الحصاد، فيعودون إليها فيحصدون ما يتوفّر لهم من المحصول، على اعتبار أنه لا يشكل مصدر عيشهم الرئيس، فهم ليسوا بحاجة للبقاء بنفس المكان للعنايـة بالمحـصول وليتمكنوا من الحصول على إنتاج كبير في نهاية الموسم. كما لا توجد أدلّة أثرية يمكن عـن طريقهـا تمييز الراعي عن المزارع، إلا عن طريق بعض الدلائل التي تشير إلى طبيعة الحياة وعمليات المعيشة التي يخلفونها. ومما يجعلنا نتردد في إطلاق صفة نهائية على تل بنات هو اكتشاف منتجـات فخاريـة كثيفة تعود لفترة بنات IV، امتدت على مساحة هكتارين، يصعب تحديد مدى جودتها في البداية، لكـن سرعان ما تبدي تطوراً ملحوظاً يشير إلى صناعة رئيسة في الموقع. هنا يواجهنا تساؤلٌ إذا كان تـل بنات لا يعد مركز استقرار دائم، فكيف نفسر حجم الفخار المصنّع في التل؟[2]

1 - PORTER. Anne, THE URBAN NOMAD: COUNTERING THE OLD CLICHÉS, AMURRU3, 2004- p.711

2- Ibid - p.72

هل كانت لخدمة الرعاة في أثناء تنقلهم؟! أو كان لتزويد احتياجات القبور بالمادة الفخارية التـي ترافق شعائر الدفن. إن دراسة تلّ بنات تدخل ضمن سياق فهم العلاقة بين خصائص المدن وأصـولها في منطقة شمالي العراق وسورية، ونموذج البناء الاجتماعي والمعيشي للرعيان المتنقّلين.

البداوة والمدنية:

يعيش البدو على الحدود القريبة من وديان الأنهار الكبرى، في مناطق رعوية تسمى الباديـة. حيث لا تقدم الطبيعة شروطاً طيبة للاستقرار، ولكنّها تقدم قسماً منها على الأقلّ. إن معدل الأمطـار الذي تتلقّاه سنوياً (100مم)، لا يسمح بكميته القليلة بأكثر من نمـو غطـاءٍ عـشبي يـوفّر للقطعـان وأصحابها مراعي يعيشون عليها. إضافة لموارد المياه المتمثّلة بالينابيع المنتشرة في مناطق البـوادي. ومع ذلك لايسلم البدو من بعض السنوات العجاف، فلا ماء ولا كلأ، تجعلهم يتـسربون إلـى منـاطق الحضر طلباً لظروف أفضل لهم ولقطعانهم، تكون سلمية أحياناً، وتأخذ شكلاً عدوانياً أحيانـاً أخـرى وهي الغالبة[1].

إنه من الصعوبة بمكان دراسة المجموعات البدوية التي تعيش على الرعي والتنقـل، حيـث لا تترك سجلات كتابية، أو مخلفات مادية، وهذا ما يجعل توثيق حياة البدو صعبة مقارنةً بالحياة المدنيـة للمستقرين، لذلك نعتمد على دراسة الوثائق الحضرية، والدراسات المقارنة الحديثة.

تركّز حياة البدو على تربية الحيوانات، مما يجعلها تعتمد حياة الرعي، فيتّبع البدو حركة تنقّـل موسمية بين مناطق بيئية مختلفة، سعياً وراء توفير العشب والماء لقطعانهم، متّخذين الطرق نفسها التي يسلكونها سنوياً في منطقة الشرق العربي الأدنى، ويتنقّل الرعيان وفق حركتين، الأولى حركة عمودية تتنقل مابين الأراضي السفلية المعشبة شتاء، والمناطق الرعوية العليا في الصيف، فتتجول مجموعـات البدو بين زاغروس وطوروس وجبال لبنان والمنطقة المنخفضة المجاورة لها . أما الثانية فهي حركـةٌ أفقية، تعتمد على استغلال المراعي الشتوية في البادية أو الصحراء شتاء، وفي الصيف تنـزاح إلـى المناطق الأكثر رطوبة على حدود المناطق الزراعية[2].

اعتمدت دراسة العلاقة بين البدو والحضر على نصوص المصادر لدى المستقرين مـن سـكان المدن. والتي تصف مجموعات البدو بالعداوة والخطورة على المجتمع المستقر. فقـد جـاء وصـفهم ببعض المصادر بنوع من الصفات، التي تنعتهم بالهمجية وعدم التمدن ، الذين لا يعرفون عبـادة الله، ولا يعرفون أداء الشعائر بشكل صحيح، ولا يعرفون حتى الزراعة[3].

---

1 - عبد الله فيصل – مرعي عيد - المدخل إلى تاريخ الحضارة – جامعة دمشق – 2007- 2008م ص 70

2 - SCHWARTZ G, Pastoral Nomadism in Ancient Western Asia, Civilizations of the Ancient Near East, 1995,VOL I p.249 .

3- Ibid - p.251

ولعلّ المجموعة الرعوية الأكثر توثيقاً في مصادر الرافدين الباكرة هم العموريـون Amorites. الذين عرفوا بـ مارتو MAR.TU في السومرية. وأمورو Amurru في الأكادية، التي غالباً ماجـاءت لتعني الغرب، أي الذين جاؤوا من المنطقة غرب سومر وأكاد، وزودنا الأرشيف الملكي فـي مـاري بكميةٍ كبيرة من الشواهد على علاقة مجموعات البدو الرعاة العموريين مع السلطة المركزية المستقرة. (التي هي أيضا كانت عمورية) وعن أسلوب التنقّل لهذه المجموعات[1].

إن معظم النصوص الأدبية ترفع من شأن الحياة المدنية والثقافة المدنية، وتحقر أو تـسخر مـن غير المثقفين "والعادات والتقاليد البعيدة عن المدنية " للبدو. وتقدم لنا النصوص القديمة نموذجـاً عـن طبيعة النظرة التي ينظر بها المدنيون إلى البدوي. يتضح لنا ذلك من خلال نص من نصوص سـومر الأدبية يسمى زواج الـ مارتو ★MAR.TU :

"إن العموري... يلبس جلد الخروف ويقيم تحت الخيمة، في الـريح وتحـت المطـر. لا يقـدم الأضاحي. ويتجول في البادية ويقتلع الكمأة (....) ويأكل اللحم النيء، ويمضي حياتـه دون مـأوى. وعندما يتوفّى لايدفن حسب الطقوس"[2].

لكن تبقى العلاقة قائمة بين البدو والمستقرين رغم كل شيء، التي ترتكز على عمليات تبـادل البضائع، والمنتجات التي كانت تتم بينهما. حيث يزود البدو الحضر بمنتجات الحيوانـات، وبالمقابـل يحصلون على المنتجات الزراعية والمنتجات الحرفية. هذا التفاعل بين الفريقين، كان له وجـه آخـر تمثّل بقيام بعض مجموعات البدو بتأجير نفسها لدى الحضر، للعمل كرعاة لقطعانهم، ورعي الماشـية في حقولهم التي تتغذى على النباتات المتبقية من الحصاد، مما يكسب المزارعين الفائدة من مخلفـات الحيوانات كسماد للتربة، نتيجة الرعي في أراضيهم[3].

---

1 - Ibid - P. 254

★ مثال: يرينا هذا النص كيف يوصف البدو الأموريين /العموريين في نص أدبي يسمى زواج الـ ـ مـارتو تعـود لأسـطورة سومرية تتعلق بالإله مارتو تقول إن الإله أخبر والدته عن نيته بالزواج بعد أن تزوج أصدقاؤه وجيرانه وتركوه أعزباً. فرتبت والدته دعوة لإله مدينة كازالو **kazallu** برفقة زوجته وابنته، لهذا الغرض. ورغم التحذيرات التي تلقتها الفتاة من صـديقاتها التي تقول أن الإله مارتو وجماعته، لا يعرفون السكن ويأكلون اللحم النيئ ولا يدفنون موتاهم، إلا أنها وافقـت علـى هـذا الزواج.

MURPHY Susana B.FRONTIER AS AN INTREPRETATIVE KEY OF RELATIONSHIP BETWEEN NOMADS AND SEDENTARIES IN ANCIENT MESOPOTAMIA Amurru 3,2004,p.75-76

2 - لافون برتران **B . Lafont** . الكتابة والثقافة والهوية في مجتمعات الشرق الأدنى العربي القـديم، نبـوم **NABUM**- نـشرة خاصة للدراسات المسمارية (1) – دمشق- شباط - 2007- ص 55

3 - SCHWARTZ.G,. VOL I, 1995,Op. Cit - p.250

كما لم تقتصر العلاقة بينهما على ذلك، حيث أن هذه الإستراتيجية، قد اتّبعها المزارعون في بعض الحالات، مثل مواجهة ظروف بيئية قاسية أو صعوبات مناخية أو التعرض لجشع السلطة المركزية، أو دمار المحصول أيام الحروب، فلم يكن أمام المزارعين خيار إلا تبنّي أسلوب حياة الرعي البدوية[1]. من جهة أخرى من المحتمل أن الرعي كان إحدى استراتيجيات المصادر الاقتصادية العديدة. إن حالة التعايش التي سادت بين الرعاة البدو والحضر المستقرين، لم تمنع تفشّي العداوة بين المجموعتين، فلم يكن المستقرون بحاجة المنتجات الحيوانية، بقدر ما كان الرعاة أنفسهم بحاجة للحبوب والمنتجات الزراعية. وفي مثل هذه العلاقة غير المتناظرة، يمكن أن ينتج عنها هجمات من البدو، الذين منحتهم تنقلاتهم نوعاً من التفوق الواضح من الناحية العسكرية. فقد ظهرت النزعة الهجومية، أو رازياس *razzaias*، للبدو الرعاة، ضد بعضهم البعض ، وضد المستقرين بشكل جيد في السجلات التاريخية للشرق الأدنى[2].

إن نشوء المجموعات البدوية والرعي، لم يبدأ على أقل تقدير بزمن أبكر من تأسيس مجتمعات القرى في العصر الحجري الحديث، التي عملت في الزراعة وتربية الحيوان في الألف التاسع والثامن قبل الميلاد. معظم النظريات تعد الرعي قد رافق الزراعة المستقرة و تدجين الحيوان[3]. حيث يبين الباحثون أن الرعي البدوي قد بدأ مع نشوء تقنية الزراعة، مترافقاً مع الضغط السكّاني، الذي سمح بنشوء مؤسسات للاستقرار في المناطق الجافّة، وبالتالي تربية الحيوانات المدجنّة في هذه القرى الجديدة، سوف تتطلّب التحرك إلى مراعٍ بعيدة، تحت إشراف مجموعة من الرعاة المختصين، الذين استطاعوا في نهاية الأمر الخروج من أسلوب الحياة المستقرة[4].

أرخ أندرو شيرات Andrew Sheratt نشوء الرعي في الألف الرابع قبل الميلاد، حيث يفترض في نموذجه أصول الرعي، الذي يربط الرعي بظاهرة " ثورة المنتجات الثانوية" أن تربية الحيوانات في فترة العصر الحجري الحديث، وجدت بالدرجة الأولى من أجل استهلاك اللحم، وبذلك يتم استغلال الحيوانات المدجنّة من أجل إنتاجها الثانوي مثل الجلد، الصوف، الحليب، كما لم توجد أدلّة على استغلال الحيوانات من أجل إنتاج الحليب قبل الألف الرابع. أما بخصوص استخدامها للقيام بأعمالٍ أخرى، لم يتّضح حتى الألف الرابع ق.م، مع استخدام المحراث في الزراعة[5].

---

1 - Ibid -p.250

2 - Ibid- P. 251

3 - Ibid - P. 252

4 - Ibid - P. 253

5 - Ibid - P. 253

نشأة المدن والركائز التي اعتمدت عليها

إن التطور الذي شهدته التجمعات السكّانية مر بمراحل عديدة، وتمثّل نضجه بنشوء المدن التـي نظّمت هذه المجتمعات مكانياً ومعيشياً. ومما لاشك فيه أنه كان للزراعة الدور الفاعل في هـذه النقلـة الحضارية، عندما بدأ الإنسان يكون مستقرات زراعية قروية، وراح يطور أدوات العمل الزراعي، ما أدى إلى تغيراتٍ في بنية العمل الزراعي، فانتقل من منتجٍ للغذاء يؤمن حاجاته فقط، إلى منتجٍ زراعي لكمياتٍ كبيرةٍ من المحصولات، التي شكّلت فائضاً زراعياً، ساهم في ازدياد الثروة التي حولت الريف إلى مواقع مدنية، وتشكّلت ظاهرة التمدن هذه من خلال تشكّل هيئات إدارية تسويقية، تطلّبتها الأوضاع الاقتصادية الجديدة، وأخذت طابعاً مركزياً[1].

إن نشوء الزراعات المروية جعل تلك المجتمعات تنظّم وسائل الري وتجر المياه عبر الـسواقي والقنوات، مما اقتضى انبثاق سلطات مجتمعية تنظم هذه الأعمال التي تفوق قدرة الأفراد العاملة فيهـا، حيث كان الاهتمام بشؤون الري يعد من واجبات الحكام، الذين افتخروا بدورهم البـارز فـي تـوفير المشاريع المائية من سدود وقنوات وغيرها[2]، التي كانت تحتاج إلى جهود مجموعاتٍ بـشرية كبيـرةٍ تتعدى حدود الأفراد، إلى جهودٍ كبيرةٍ تنتظّم في كيان سياسي- اقتصادي هو "دولة المدينة". فظهـرت الطبقات الاجتماعية والزعامة السياسية، التي أكّدت انفصالها عن سلطة المعبد مع نشوء دويلات المدن في الألف الثالث قبل الميلاد، وعملت على تأسيس وتطوير أنظمة فعالة للري فـي منـاطق الزراعـة المروية كما في جنوب العراق، من ابتكار وسائل عملية للري وشق القنـوات وصـيانتها وتنظيفهـا، وأحياناً الدفاع عنها ضد الاعتداءات التي كانت تتعرض لها[3].

كما استدعى هذا التحول الاقتصادي الذي فرضه الإنتاج الوافر، وتراكم الثروة إلى حركة نشطة من التبادل التجاري، تطلّبت نوعاً من التنظيم الاقتصادي تشرف عليه سلطة سياسية قوية، ونوعاً مـن التقسيمات السياسية والإدارية، تطورت معه البيروقراطية/المكتبية والمركزية، رافقها تطور معلوماتي تسجيلي، تطلّبته طبيعة التقدم الاقتصادي السريع الذي حصل. وهذا ما خلق مؤسسات إدارية مكتبيـة، أدت إلى بدء تسجيل إشارات وعلامات الإنتاج، مهدت إلى ظهور الكتابة[4]. وكان القصر والمعبد، هما المؤسستان القادرتان على الاستجابة لهذا الواقع الاقتصادي وتطويره، مما عزز سـلطة الحـاكم فـي القصر وأكسبه سلطة مطلقة، يسانده جهاز إداري منظم، مع دعم من المعبد الـذي تخلـى عـن دوره الاقتصادي السابق لصالح القصر، واكتفى بتمثل دوره الديني إلى جانب الحاكم.

لقد بينت المعلومات أن العامل الرئيسي لنشوء مراكز المدن في جنوب العراق، يرجع إلى ارتقاء دور المعبد الذي لم يقتصر دوره على تأمين الحاجة الروحية للناس فقط، لكنّه عمل كمؤسسة إداريـة

1 - Childe V. Gordon 1950, "The Urban Revolution." *Town Planning Review* 21,p(. 9-16).

2 - MCINTOSH, JANE R .2005, Ancient Mesopotamia New Perspectives,p .123

3 - Redman Charles L. THE RISE OF CIVILIZATION,1987, p.221- 222

4 - Childe V. Gordon 1950 – Op. Cit, p. 11-12

واقتصادية. لقد أنشئت المعابد المؤسسة الأولى في المدينة على مصطبة أو مكان مرتفع كي تظهر رمزاً للقوة ومرئيةً إلى مسافاتٍ بعيدة من حولها. وتحت رعاية هذه المعابد تشكلت الهيئات اللازمة لنمو الحضارة، مثل الكتابة، الحكومة، النظام القضائي، الفن والعمارة وغيرها. فقد أدت هذه المراكز في بواكير الألف الرابع دور صلة الوصل في عمليات التبادل بين فئات المجتمع المختلفة، مثل المزارعين في الحقول والبدو في البادية والصيادين والتجار. بعد ذلك أصبحت هذه المراكز تتصل بالمناطق البعيدة لتوفير احتياجاتها من المواد الأولية، كالأحجار والمعادن والأخشاب، اللازمة لبناء أسس حضارتها من العمارة الضخمة وامتلاك المقتنيات الثمينة، والتي تفتقر إليها المنطقة على امتداد الفرات ودجلة جنوباً[1].

كذلك ولدت المؤسسة المدنية الرئيسة الثانية وهي القصر، مما جعل المدن تتمتّع بمركزي قوة هما المعبد والقصر، وبدا دور القصر قوياً وواضحاً في كل الحضارات، فبعد أن كانت سيطرة القصر تقتصر على الجانب السياسي والعسكري في البداية، تولى الجانب الاقتصادي الذي كان يسير شؤونه المعبد. من خلال إشرافه على أعمالٍ تتطلّب جهداً مؤسساتياً كبيراً يفوق قدرة مجموعة المزارعين، كبناء المستودعات والمخازن الضخمة من الطين (العنابر والسلوات) لإيداع الحبوب، والقيام بالمبادلات التجارية البعيدة[2].

لقد شكّل المشرق العربي مسرحاً لظهور مؤسسة المعبد أولاً والقصر ثانياً، ليكونا أساس التمدن خلال العصور اللاحقة، وقدمت أوروك نموذج المدينة الأقدم، بكل مكوناتها الحضارية[3].

تقودنا المعطيات إلى أن ثمة عملية تطور حضاري مترابطة بنوع من السببية المتتالية في المنجزات الحضارية في المشرق العربي القديم، فالزراعة أدت إلى اقتصادٍ واسع اتّسم بالقوة وارتبط بالنشاط التجاري، مما أدى إلى تعميق العلاقات الاجتماعية وتنظيمها ، بإشراف سلطة أخذت على عاتقها هذه المهمة، وهي التي ساهمت في الازدهار والغنى الذي أدى إلى أوج النشاط الاقتصادي التجاري، الذي بدوره أوصل تلك المستقرات إلى حالة الاتساع والكثافة السكّانية التي مهدت لنشوء المدن الأولى. وهذا أدى بدوره إلى ابتكار العمليات الحسابية البسيطة، ثم ظهور الكتابة وتطورها فيما بعد.

يتطلّب فهم نشوء المدن وتطورها، تعرف المعطيات المتوافرة لقيام هذا الأمر، حيث تقودنا بعض المفاتيح إلى كشف الأسس التي اعتمدت عليها نشأة المدن أو رافقتها. فعند دراسة نشأة المدن وتطورها لابد لنا من ملاحظة بعض المعايير التي تحدد ماذا نقصد بالمدينة، أو متى نطلق على مركز استقرار مصطلح مدينة، فمعظم المدن القديمة التي تمت دراستها تمتّعت بمواصفات أهلّتها جغرافياً وبشرياً لكي تصبح مدينة، وهي تتوزع بين سمات أساسية وأخرى ثانوية.

---

1 - STONE ELIZABETH G .The Development of Cities in Ancient Mesopotamia, Civilizations of the Ancient Near East, 1995, vol. I , p236

2- Childe V. Gordon 1950 - Op. cit p.11-13

3 - أنظر ثقافة أوروك ، الفصل الثاني

السمات الأساسية(الأولية) المميزة للحضارة (المدنية)

تعد طبيعة البيئة التي تحتوي هذا الحدث من أهم هذه المعطيات، فهي تحـدد نوعيـة الإنتـاج، وشكل الاستقرار، والتنظيم الاجتماعي التابعين له، بالإضافة إلى الحجم الكبيـر، والكثافـة الـسكّانية العالية، والامتداد الجغرافي الواسع، كما تميزت بظهور مؤسسات الدولة، التي تقوم على تقديم الخدمات المركزية المتنوعة للسكان و للمجتمعات الصغيرة المحيطة بالمنطقة من جهةٍ أخـرى، فهـي تتميـز بالتخصص الاقتصادي، وتقسيم العمل، وحركة تنقل المجموعات البشرية لأهداف اقتـصادية وأحيانـاً عسكرية[1]. بالإضافة إلى قيام المبادلات التجارية، التي نتجت عن تجمـع الفـائض مـن الحاصـلات الزراعية، فتكونت التنظيمات والوظائف من أجل القيام بالعمليات اللازمـة لجمـع الإنتـاج الفـائض وتوزيعه وتسويقه. ومثّل النشاط الاقتصادي درجة التعقيدات المدنية من خلال حجم المبادلات وانتشار المستقرات والمحطّات التجارية ذات التبعية، التي تمثّل نوعاً من السيطرة والنفوذ والتنافس على وضع شروط العبور والتواصل الحضاري.

من جهةٍ أخرى، ومع تطور العمليات الاقتصادية، ظهرت طبقة تحتكر الموارد الأساسية للإنتاج داخل المجتمع، عملت على حصول نوع من التمايز الطبقي، الذي اتسمت به هيكليـة المـدن. وجـاء التنظيم الاجتماعي ليظهر نوعاً من التراتبية في المقامات، والطبقات الاجتماعيـة، فتطـور المجتمـع الطبقي، والطبقات الحاكمة التي تتمتّع بامتيازات، كانت تتألّف من موظفي الدين، الـسياسة، والجـيش وإدارة المجتمع. حيث تطورت التقاليد الدينية كأداةٍ للسيطرة وتوحيد المجتمع والمنهج الفكـري الـذي يعمم السلوك على المجتمع[2].

أما السمات الثانوية فتمثّلت بإنشاء المباني العامة الكبيرة، كالمعابد والقصور والمستودعات وأنظمة الري[3]، حيث نرى الآثاري عندما يتكشف له داخل منطقة الحفريات ثلاثة مباني كبيـرة مـن الحجـر أو الآجر، وهي مباني تتميز بضخامتها وعمارتها عن باقي المنشآت، متمثلة بالقصر والمعبد ومخزن الغلال. يعلن أنه عثرعلى مدينة[4].

من جهةٍ أخرى كان الارتقاء بالأعمال الفنية المهمة، وظهور الكتابة وتطـور العلـوم، الحـساب، الهندسة، الفلك، من أبرز هذه السمات، حيث تُعد كثير من النظريات ظهور الكتابة أحد مفاتيح الحضارة[5].

---

1 - Redman Charles L. 1987, Op. Cit, p.(216-218)

2- Ibid, p.216

3- Ibid, p. 218

4 - ممفورد لويس، المدينة على مر العصور وتطورها ومستقبلها، 1964- ص 65

5- Ibid, p218

بين الشمال والجنوب:

تؤدي البيئة الجغرافية الدور الأساسي في طبيعة الإنتاج، وتحديد نوع الاستقرار كما ورد سابقاً، ويمكن أن نلمس ذلك من الفروق بين مدن الجنوب ذات الطبيعة الطينية المعتمد إنتاجها على الري، والزراعة الكثيفة، وتلك الواقعة في منطقة الزراعة البعلية في الشمال[1].

كما يتضح لنا، أن المدن في جنوب العراق، كانت مقسمةً إلى مناطق وقطّاعاتٍ مختلفة بشبكة من القنوات والشوارع. وكانت بعض هذه القطاعات تختص بدور معين كالدور الديني أو الإداري، التي تقع بشكل عام على أطراف الموقع، بينما بقية المدينة تتألّف من المناطق المأهولة التي تضم السكان من النخبة والعامة، كذلك تضم منطقة الورشات الحرفية. وكانت تحاط هذه الأماكن بسور تخترقه عدد من البوابات التي تنظم حركة المرور من خلال القنوات أو الشوارع. وفي الوقت نفسه، تقدم لنا المدن في شمالي العراق وسورية، درجة أكبر من التنّوع لما هو حاصلٌ في الجنوب نتيجة البيئة الجغرافية، فالمدن التي تمتد على طول الفرات، هي قريبة الصلة والشبه بمدن الجنوب، وتعتمد على الزراعة المروية، في حين تنتشر الزراعة البعلية في الشمال مكتفية بكمية الهطولات السنوية التي تسمح بري المحصولات الزراعية[2].

بدأت منطقة الجزيرة وشمالي سورية بالتطور في اتجاه، تباين عما كان عليه سابقاً بعد انهيار المنظومة الاقتصادية – الاجتماعية لمرحلة أوروك بفعل أسبابٍ لم تزل غامضة حتى الآن.

فقد أثبتت أعمال التنقيب في العديد من المواقع القائمة بين نهري البليخ والخابور، على وجود علاقات أكيدة مع وادي الرافدين في حقبة فجر السلالات، مع بروز خصوصيات محلية على درجة كبيرة من الأهمية. ويمكننا الحديث عن وجود مدن حقيقية في الجزيرة منذ 2500 ق.م في مواقع تل خويرة وتل ليلان وكذلك إبلا جنوبي حلب وفي ماري على الفرات[3]. وإذا عرفت مناطق جنوبي العراق تطور المدن أولاً، فإن مناطق شمالي العراق والجزيرة السورية، قد أنشأت مدنها معتمدة على الركائز الجنوبية، ولكن بخصائص محلية.

---

1 - STONE ELIZABETH .G . 1997-Op. Cit. p236-237

2- Ibid – p -237

3 - هيو جان لوي، الجزيرة السورية وعلاقتها مع وادي الرافدين، وثائق الآثار السورية1، ص 66

التجارة والعلاقة بين الشمال والجنوب

برزت عمليات التبادل التجاري تلبيةً للحاجات الاقتصادية المتزايدة، نتيجة تطـور المجتمعـات المدنية التي عرفت ارتقاء متزايداً في نهاية الألف الرابع وبداية الألف الثالث قبـل المـيلاد، وكانـت منطقة جنوب العراق المسرح الأبرز لهذا التطور بتفاعلٍ مع المحيط المجاور وعلى الأخص سورية.

عرف جنوب العراق ذو البيئة الطينية نشأة دويلات المدن وتطورها في منطقة تفتقد للمادة التـي تشكّل أسس بناء المدن من الحجارة والأخشاب والمعادن أولاً، ومن ثم المكملات اللازمـة، لإضـفاء مظاهر الأبهة والفخامة على المنشآت والطبقة النخبة في البلاد ثانياً، لذلك عمـل أولـو الأمـر مـن المسؤولين والطبقة الحاكمة ورجال الدين على الاهتمام بالطرق التجارية البرية والنهرية، بالإضافة إلى توفير المحطّات التجارية في الأماكن المناسبة لتغطية التجارة النائية، التي تربط بين مناطق مـصادر المواد الأولية بمناطق استهلاكها في الجنوب[1]. وكان لسورية دور فعالٌ في تسهيل هذه العمليات، إمـا كمنطقة لحركة المرور التجارية بين الجنوب العراقي، والأناضول أهم مـصدر للمعـادن قـديماً، أو كواحدة من المناطق التي تتوافر فيها مواد أولية على رأسها الأخشاب في المناطق الغربية فـي جبـال طوروس والغابات الساحلية، أو كمصدر للكثير من المنتجات التي تحدثت عنها نصوص إبلا وماري. كما نشطت الاتصالات التجارية بين العراق والمناطق الشرقية (إيران وأفغانستان وربما مناطق أبعد) للحصول على الحجارة الكريمة وبعض المعادن[2].

طرق التجارة البرية في غرب آسيا القديم

كان التجار يشكّلون قوافل متصلة في الجبال والصحاري، وكان السفر غالبـاً يجـري لـيلاً لأسباب أمنية، حيث كان التجار يلجؤون لاستئجار الأدلاّء والحاميات المـسلّحة. و كانـت الطـرق تراعي في وجهتها اقتفاء الأماكن التي تتوافر فيها مصادر المياه والطعام، و تساير الممرات الجبلية والمناطق الضحلة من النهر والمعابر. وكانت الطرق تُزود بعلامات مميزة للاهتداء بها، حيث أشير إليها في الأدب السومري فنرى جلجـامش Gilgamesh يـسأل أيـن الطريـق إلـى أوتنابـشتيم؟ Utnapishtim وما هي علامته؟

كانت القوافل تفضل الانتقال عبر الأجزاء الشمالية من الجزيرة، حيث يتـوافر المـاء والكـلأ والأسواق. لأن الأجزاء الجنوبية من الجزيرة التي تصل أرض العراق ببلاد الـشام كانـت باديـة أم

---

1 - كلينغل هورست، التجارة في بلدان المشرق القديم والتفاعل مع جزيرة كريت في الألف الثالث قبل الميلاد الحوليات الأثريـة العربية السورية- المجلد 36- 37/ 1986- 1987- ص146

2 -ASTOUR MICHAELC. Overland Trade Routes in Ancient Western Asia, Civilizations of the Ancient Near East, 1995, VOL III, p. 1401

سهوياً. وقد عرف هذا الطريق بطريق الاسكندر، و قد اتّبع قبل الاسكندر بآلاف السنين[1]. وكـان يـتم تحويل بعض الطرق باتجاه بعض المراكز السياسية التي نشأت حديثاً.

اعتمد نقل البضائع على حيوانات الجر والعربات، فكان يتم نقل البضائع الخفيفة على ظهـور الحمير أو في العربات، التي تجرها الحمير، أما الحمولات الثقيلة فتنقل بالعربات التي تجرها الثيران[2]. وقد ساعد استخدام العجلة في بلاد سومر على نقل الحمولات الثقيلة بالعربات، حيث درج السومريون على استخدامها بدلاً من المزلجة في فترة أوروك[3]. وقد تم بناء هذه المركبات فـي عهـد الـسلالات الباكرة، كما استبدلت العجلات الصلبة بأخرى تتحرك حول محورها. وكانت الطرق المناسـبة لـسير العربات قليلة ومتباعدة، واستخدمت في بابل فقط في عمليات النقل القريبة، مثل حمـل القمـح إلـى الفلاحين في المناطق المجاورة أو إلى المخازن المجاورة. أما في سورية وشمالي العـراق فقـد أدت دوراً أكبر، حيث احتوت نصوص إبلا إشارات عديدة إلى العربات ذات العجلتين والأربـع عجـلات وكانت هناك عربات بثلاث عجلات، ومن المركبات المميزة، العربة ذات الأربـع عجـلات تـسمى "العربة البيت" التي غالباً ما كانت مغطاة، ومن جهة أخرى استخدمت العربـات فـي مـاري لنقـل المسافرين خاصةً النساء من الطبقة العليا، كذلك استخدمت لنقل الحمولات التي يثقل حملها على ظهـر الحمار، كالأخشاب، لزوم الأثاث والأبواب والنوافذ، أما العوارض الخشبية الخاصة بالقصور الملكيـة والمباني العامة، فكانت تقطع من غابات الأمانوس وتجر إلى الفرات مالا يقل عن 200 كم، ثـم تُـشد إلى الطوافات وتُترك في مياه الفرات لتتّجه جنوباً[4].

لقد اعتمدت حركة سير القوافل في التجارة النائية على معدل طول المسافات، التي تقطعها قوافل الحميـر، فقـد بلـغ طول المرحلة اليومية لمثل هذه القوافل بين المحطّات في بابل القديمـة حـسب Hallo WW ما بين(25- 30 كم). كما تميزت قوافل الحمير بقدرتها على السير في الطـرق الأوليـة وممرات الجبال الغربية الضيقة. وقد قُدرت حمولة كل حمار على حدا، كما يظهـر مـن النـصوص الآشورية بين (65- 75كغ)[5].

تنوعت الطرق التجارية في منطقة الشرق القديم وفقاً للمناطق، التي تحتوي المـواد المطلـوب استيرادها أو إجراء عمليات التبادل معها. فكان التوجه شرقاً نحو إيران بحثاً عن مـصادر الـلازورد Lapis-lazul والفيروزTurquoise الذي شاع استخدامهما في الشرق الأدنى القديم[6]، حيث كشفت قطـع

1 - زيادة نقولا، الجزيرة وسيط لنقل الحضارة، وثائق الآثار السورية 1، دمشق 2002، ص157

2 - ASTOUR MICHAEL C. 1995, VOL III, Op. Cit - p. 1403

3 - Jans Greta & Bretschneider Joachim,Wagon and Chariot Representation in The Early Dyanastic Glyptic, Subartu IV,2- 1998- p. 156

4 - ASTOUR MICHAEL C, 1995, VOL III, Op. cit - p. 1403

5 - Ibid - P.1404

6 - QUENET Philippe, Un Point de Vue Sur Les Echanges Dans L´Asie Anterieure du Bronze Ancien 2000,p.105

من اللازورد في تبه جورا Tepe Gawra شمال شرقي نينوى من فترة العبيد المتـأخّر، وقـد أظهـر البحث الأثري أن السومريين اتجهوا نحو الشرق بحثاً عن اللازورد وكانوا على اتصال مـع مواقـع إيران الغربية من تبه جيلان، تبه سيالك وتبه هزار حتى الطريق الشمالية عبر جبال زاغـروس إلـى السليمانية إربيل وتبه جورا. ولكن السومريين في فترة أوروك متأخرة نقلوا تجارة اللازورد إلى طريق خراسان الكبير، الذي يمتد من زاغروس إلى وادي ديالى ويستمر جنوباً باتجاه جنوبي العراق. ويـدل الفخّار الأوروكي، الذي وجد في يحيى تبه Yahya Tepe أهم محطّة قوافل على الطريـق، أن تلـك المدينة كانت على صلة مع سوسا، واستمرت سوسا، جـودين تبـه Godin Tepe، وبقيـة المواقـع الإيرانية، بتصدير اللازورد والعقيق وحجارة الزينة إلى بلاد العراق. في فترة عيلام الباكرة حـوالي 3000 ق.م.

من جهةٍ أخرى، جذبت منطقة حوض دجلة الأعلى البعيدة، الناس الأوروكيين لإنشاء مـستقراتٍ فيها لقربها من مصادر السبج /الحجر البركاني Obsidian الذي كانت له قيمة عالية كمادة تستخدم في صنع الأدوات وخاصةً الحادة منها، وأواني الزينة. حيث امتدت المستقرات الأوروكيـة علـى شـكل شريط على طول الضفّة اليسرى لنهر دجلة شمال الحدود العراقية التركية الحالية، متجهة على امتـداد النهر وروافده العليا، كما يشير وجود المستقرات الأوروكية في وادي ديالى شمال حمرين إلى وجـود طريق رئيسي يصل بين نينوى وسومر جنوب الطريق القادم من وادي ديالى، الذي سريعاً ما أصـبح الشريان الرئيس ومازال [1]، حيث كانت تسيطر نينوى من خلال دجلة على سفوح الجبال التي تتـشعب من هذه الجهة نحو الغرب باتجاه سهول الخابور وتتوازى مع الطرق المتجهة إلى الأناضول[2].

منطقة ألتينوفا Altinova وطرق مواصلاتها

تقع هذه المنطقة ذات الأهمية الاقتصادية بين جبال طوروس أعالي الفرات، وروافده الأرسـانياس Arsanias (حالياً نهر مورات نهري Murat Nehri). وتعرف بالمـصادر الكلاسـيكية بـسوفين Sopene وألتينوفا بالتركية. اشتهرت بغناها بالمعادن، وأهمها النحاس Cooper حول إرجاني مادين وأماكن أخرى في طوروس، والذهب من أماكن قرب خاربوت. ويظهر النفوذ الأوروكي واضحاً في هذه المنطقة، فقـد وصلت الطرق القادمة من سهول شمالي العراق وسورية إلى ألتينوفا في كل الحقبات، حيث تلتقي عنـد أعلى مدخل طور عابدين ثلاث ممرات، عرفت بتلال المستقرات الأوروكية الرئيسية:

- **الطريق الجنوبية** تتجه من نينوى باتجاه الغرب إلى غراي ريشGrai Resh، وتلّ هايل على طول المنحدر الجنوبي لجبل سنجار، ثم يدور باتجاه شمال غرب إلى تلّ براك، ومن ثم يتـابع حتـى

1 - ASTOUR MICHAEL C. 1995,VOL III - Op. Cit - p. 1404

2 - لوبو مارك، طرق الاتصال في بلاد الرافدين العليا في الألف الثالث ق.م، الحوليـات الأثريـة العربيـة الـسورية،1999، المجلد43 ، ص270

أقدام جبل طورعابدين غرب ماردين حالياً، من الواضح أن منتصف الطريق يبدأ بعيداً أعالي دجلة ثم يتجه عبر المستقرات الأوروكية تلّ الهوى وتلّ حموكار وتلّ ليلان ذات النفوذ الأوروكي.

- أما **الطريق الشمالية** من المرجح أنها كانت تتجه من المستقرات أعلى دجلة إلى تلّ رمـيلان وقاثانية ويندمج الطريقان في المنتصف، ثم يتبع الطريقان المتصلان بعـدها نفـس الأثـر، محـددان بالمنطقة كما هو الحال في كل الفترات اللاحقة، و يسيران غالباً بخط مستقيم باتجاه شمال غرب إلـى إرجاني مادين عبر جبال طوروس وجنوباً إلى ألتينوفا[1].

سورية والفرات

يبدو أن منطقة الجزيرة خلال الألف الرابع ق.م على أقل تقدير، قـد انخرطـت فـي النـشاط الاقتصادي لمراكز المدن وسط وجنوبي العراق، حيث انتشرت الحضارة الأوروكية بكـل عناصـرها المعمارية والفخارية والإنتاجية وبعض السجلات ذات المضامين الاقتصادية في مواقع عديـدة علـى طول نهر الفرات الأوسط، ومن بين هذه المواقع حبوبة كبيرة وجبل عرودة، بالتوازي مع مواقع فـي الجزيرة وجنوب شرقي الأناضول، حتى أصبح يعرف بعالم أوروك. والمقصود بذلك شـبكة المواقـع الأثرية التي ترتبط بطريق تجاري يمتد من الخليج إلى جبال طوروس[2].

أسهمت الحضارة الأوروكية، التي ارتبطت بمحور الفرات في تأسيس العلاقـات بـين جنـوبي العراق، ومناطق شمالي وغربي سورية في عملية التطور الاقتصادي، الذي كانت تشهده تلك الرقعـة الجغرافية[3]. لم تكن حركة المرور في نهر الفرات ممكنةً عبر طوروس . لذلك كان السبب في إيجـاد مستقرة هاسيك هيوك Hassek Höyük على ضفة الفرات اليسرى، هو حفظ الاتـصال مـع الحـوض الأعلى للنهر، كذلك لاستخدامه كطريق لجلب المعادن من مناجم النحاس في إرجاني مادين، نزولاً عبر الفرات إلى جنوبي العراق. ومازال الطريق من إرجاني نحو جيرميك وسيفريك إلى الفرات التي تمر قرب هاسيك هيوك مستخدمة حتى اليوم. أما الهدف الثانوي لهـذه الطريـق هـو اسـتثمار الغابـات الصنوبرية، التي كانت تغطي سفوح طوروس في ذلك الوقت. لقد وجدت عشر مواقع متوسطة وأخرى صغيرة قرب كركميش (بيريك/ بيرجيك) أسفل النهر، وثلاثة مواقع رئيسة أخرى في الجوار، شـكلت عنقوداً من المستقرات الأوروكية على كلتا ضفتي الفرات. و تقع إلى الجنوب المستقرات الأوروكيـة جبل عرودة، تلّ الحاج، حبوبة كبيرة شمالية، وحبوبة كبيرة جنوبية- تل قناص على الـضفة اليمنـى وشمس الدين، تنينير، تل طاوي، وتلّ مريبط، على الضفة اليسرى. تعد حبوبة كبيـرة جنوبيـة (تـل قناص) أكبر هذه المواقع، وقد دلت الشواهد الأثرية، كما رأينا سابقاً، أن هذه المدينة لم تكن زراعيـة، ولكن كانت مركزاً تجارياً، وتكمن أهميتها في كونها تقع آخر الطريق السهلية من الغابات الخـضراء

1 - ASTOUR MICHAEL C, Op. Cit - p. 1405

2 - أنظر الانتشار الأوروكي ، الفصل الثاني ص19- 20

3 - مارجوران جان كلود، الفرات الأوسط في عصر البرونز، وثائق الآثار السورية 1، دمشق 2002، ص 230

في جنوب جبال الأمانوس إلى الفرات[1]. من جهةٍ أخرى، كان يتم نقل شـحنات الأخـشاب اللازمـة للقصور والمباني العامة الكبيرة في سومر عن طريق نهر الفرات[2].

لقد جذبت مصادر المواد المحلية في الجزيرة تجار مدن العراق الجنوبية والوسـطى للحـصول على البازلت والخشب، وبعض المنتجات الزراعية، وخامات المعادن كالنحاس الموجودة فـي مدينـة إرجاني مادين، التي لا تبعد كثيراً عن منطقة الجزيرة، فازدهرت التجارة بفضل القوافـل التجاريـة. وأدت الجزيرة دوراً مهماً في النظام الاقتصادي لتلك الفترة بحكم موقعها المرتبط بـشبكة مواصـلات عالمية. وتشير اللقى الأثرية المكتشفة في مواقع عدة إلى التأثيرات المتبادلة في هذه الرقعة الجغرافية. كما تشير محفوظات إبلا المؤرخة في منتصف الألف الثالث ق.م إلى علاقات تجاريـة مـع منطقـة العراق العليا، حيث تبين النصوص المكتشفة إلى توجه تجارة إبلا إلى الشمال الشرقي والشرق بـشكل رئيسي، وكان أهم طريق تجاري لها، ذلك الذاهب إلى الفرات، وخاصةً إلى مـاري ومـن ثـم إلـى كيش kish (حالياً تل أحمر وتل إنفارا) في وسط العراق، أو إلى منطقة الخـابور وأعـالي العـراق والجزيرة ومنطقة شرق دجلة[3]. فقد مارست مدن مثلّث الخابور مثل ناجار (تل براك) وأوركيش (تـل موزان) دوراً اقتصادياً نشطاً، وكانت في الوقت نفسه محطّاتٍ مفتوحةً على الطريـق الموصـل إلـى مناجم النحاس في مدينة زرقان Zrgani . ويفترض أن البضائع مثل اللازورد والعقيق كانت تصل من إيران إلى الجزيرة بواسطة مدينة آشور. يعطينا تلّ براك شاهداً من الشواهد الكثيرة عن دوره الإداري المهم في دول مدن العراق، فقد خضع الشمال الذي كان يطلق عليه اسم "سوبارتو" إلى نفوذ دول المدن القوية[4]. كما ذُكرت العديد من المدن على طول الطريق كمراكز مهمـة فـي النـصوص فـي فتـرة شروكين. وكان استيراد اللازورد، قد انقطع لفترة بعد التراجع الأوروكي في إيران، ثم عاد واسـتمر، حيث بلغ ذروته في فترة السلالات الباكرة III و جاءت من نفس الفترة أيضاً شواهد كتابيـة وفيـرة عن الاتصالات التجارية بين شمالي سورية، الفرات الأوسط، وجنوبي العراق[5].

إبلا وماري :

مثّلت إبلا وماري مراكز تجارية مهمة في تاريخ المنطقة القديم ، فقد بينت لنا ألواح إبلا أنهـا كانت في ذلك الوقت عاصمة مملكة ذات شأن في شمالي سورية والشمال الغربي من بلاد الشام، وأنها كانت تملك روابط ثقافية وتجارية مع ماري، القوة الرئيسة على الفـرات الأوسـط، وكـيش المدينـة الرئيسة في منطقة أكاد. فقد شكّلت طرق الفرات المحاور الرئيسة للعلاقات الخارجية لإبـلا وكانـت ماري أهم شركائها التجاريين. لقد قامت ماري بالسيطرة المحكمة على التجارة الإبلاوية في قطاعهـا

---

1 - ASTOUR MICHAEL C, Op. Cit - p. 1405

2 - مارجوران جان كلود، المرجع السابق ، 2002، ص 230

3 - مرعي عيد، إبلا تاريخ وحضارة أقدم مملكة في سورية،دمشق 1996 ، ص 38

4 - كلينغل هورست– التجارة ووسائل العيش في فجر العصور التاريخية للجزيرة . وثائق الآثار السورية 1، دمـشق 2002ص (223-221)

5 - ASTOUR MICHAEL C, Op. Cit - p. 1406

على الفرات. فاستوردت إبلا اللازورد من ماري وصدرت الصوف، الثياب الصوفية، والكتانية، الأخشاب المتنوعة، الزيت، العطور الراتنجية ، الخمر، الحبوب، قوارب الأنهار. كما عرفت طرق تجارية أخرى، تقع للشرق قليلاً من الرأس الجنوبي لمثلّث الخابور. وقرب مدينة كاكابان Kakkaban (هي محلة تحول اسمها إلى كوكبة، مدينة قريبة من البركان المجاور للحسكة). وتتحدث بعض النصوص عن تحرك إحدى عشر قافلةً سنوياً من أو إلى ملك ناجار[1]. وتبين نصوص إبلا أنها ارتبطت أيضاً مع مدينة ناجار بعلاقات جيدة، حيث يشير أحد نصوص إبلا إلى إرسال خمر وزيت من إبلا إلى ناجار تصديقاً للعلاقات الجيدة بين الطرفين والنشاط التجاري النشط[2]، وكانت تستورد الصوف والأغنام منها، وفي الوقت نفسه تتحدث نصوص بيدر عن وجود سلالتين من الأغنام على الأقلّ، تختص إحداها بإنتاج الصوف، والثانية تُربى في الجبال ليتم استهلاكها كغذاء[3].

الملاحة البحرية والنهرية:

إن الملاحة البحرية والنهرية كان لها دورها الفعال في التاريخ القديم في منطقة تضم نهرين كبيرين كدجلة والفرات وتطل على الخليج العربي والبحر المتوسط (البحر الأدنى والبحر الأعلى في موروثات العراق القديم)، وكان لابد أن تؤدي دوراً ذو أهمية في النقل السلمي وأحياناً الحربي. فقد شهدت الملاحة النهرية حركة كثيفة ونشطة في العراق القديم، ففي عهد السلالة الثالثة في أور Ur (تل المقير) تلقى الملك إيبي سين Ibbi-Sin طلباً بـ600 مركب لنقل الحبوب من إيسين Isin (إيشان البحريات) إلى أور، كما لا تخبرنا الألواح السومرية من فترة بابل القديمة عن نقل الحبوب فقط بل أيضاً عن منتجات أخرى وبضائع متنوعة، كالقطعان والأسماك والحليب والخضار والزيت والفواكه والصوف والحجارة والجلود والطوب. بالإضافة إلى نقل الناس عبر شبكة القنوات الكثيفة، و لم تقتصر الملاحة البحرية والنهرية على الأغراض التجارية فقط بل كانت تتعرض لتهديدات من سفن الأعداء أيضاً (ففي هذه الفترة تعرضت كيش لتهديد 240 مركباً معادية)[4] .

علاوة على ذلك تكمن أهمية النهر والملاحة في القنوات من خلال ما أشارت له حقيقة مفادها أن عشر سكان المعبد بو Bau في لاجاش Lagash كانوا من البحارة أي ما يقارب 125بحار. وتتبين أهمية هذه الحرفة من طبيعة القوانين القوية التي وضعت لتحكم عملية الملاحة، حيث تبين حقوق الطريق والإنقاذ، كما تم وضع قوانين تحدد قيمة استئجار المركب وأجور الطاقم، تعود على أقل تقدير

1 - Ibid – P.1406

2 - مرعي عيد، 1996 ، المرجع السابق ص45

3- Joan and David, Oates .Brak vol 2- 2001- Op. Cit .p394-395

4 - BASS GEORGE F. Sea and River Craft in the Ancient Near East, Civilizations of the Ancient Near East, 1995,VOL III, p 1421

إلى النصف الأول من الألف الثاني ق.م ، من جهة أخرى، استخدمت جلـود الحيوانـات كطوافـات للسباحة في النهر، ففي عهد شمشي حدد الآشوري كانت مثل هذه الجلود تشكل جزءاً من عدة الجنود[1]. كما استخدمت زوارق من نوع القرقل coracle وهي سلة مستديرة وتعرف بالأكادية quppu و تـسمى بالعربية اليوم "القفة " كان يتألف طاقم البحارة فيها من اثنين إلى أربعة مجذفين بحمولة لاتتجـاوز 15 طن، وهناك نوع من المراكب القصبية "الطوف" التي كانت تناسب مناطق المستنقعات المنتشرة جنوبي العراق، وتصنع من شرائط القصب التي تُشد لبعضها البعض. أما الزوارق الطويلة فكانت تُصنع مـن الخشب وهي قريبة الشبه لما هو موجود اليوم في العراق و غالباً كانت تُصنع من الخشب المستورد[2].

إن كل الأساليب المتبعة في الملاحة النهرية في دجلة والفرات، التي لدينا شواهد عليها سواء من النصوص أو الوصف أو النماذج الحالية مازلنا نراها مستمرة على نفس المنوال إلى وقتنا الحاضر.

من مصر إلى الرافدين

حملت لنا التنقيبات الأثرية الكثير من الدلائل على العلاقات التي كانت تربط بين مصر و شمالي سورية والعراق، فالقرائن الأثرية التي عثر عليها تبين مصدرها والطرق التي سلكتها للوصـول إلـى مصر، وكنا قد ذكرنا سابقاً بعض المواد المكتشفة في حبوبة ولها مثيلات فـي مـصر تعـود لفتـرة السلالات القديمة.

فمراجعة البضائع التجارية وانتشارها ترينا بوضوح أن شمالي العراق وسورية كـان مركـزاً للتجارة يربط بين مصر وسوسا وجنوبي العراق. كما تشير الدراسات الأثريـة أن شـمالي العـراق وسورية مر عبر ثلاث مستويات من النشاطات التجارية. امتدت من نهاية فترة العبيد إلـى المرحلـة الباكرة من فترة جمدت نصر على الأقل، حيث تظهر القرائن الأثرية أن القرى الصغيرة مثل تبه جورا Tepe Gawra قد استفادت أكثر خلال المرحلة الأولى، من خلال العثور على الأختام المسطحة والعديد من المواد التجارية كالذهب واللازورد Lapis-lazuli في السوية الثالثة عشر وتكرست هذه المواد أكثر في السوية العاشرة، فقد كانت روابط تبه جورا التجارية كثيفة، حيث ضمت سيالك Sialk إلى الشرق، ومنطقة العمق إلى الغرب، ونورشن تبه Norsun-tepe في الأناضول، وجنوبي العراق إلـى الجنـوب ومن المحتمل أيضاً فلسطين ومصر. إن وجود خرزات اللازورد في فلسطين ومصر في نفس الفتـرة تقريباً وتوافر الذهب في تبه جورا يشيران إلى أن التجارة بين مصر وتبه جورا تمر عبـر فلـسطين. عن طريق انخراط المواقع الفلسطينية على الأقل بتجارة غير مباشرة مع سورية[3].

---

1 - الهاشمي رضا، الملاحة النهرية في بلاد وادي الرافدين، سومر ج 1- 2- المجلد 37- 1981، ص 45

2 - BASS GEORGE F. Op. Cit - p.1422

3 - Mark Samuel, FROM EGYPT TO MESOPOTAMIA, 1997- P. 122

أما المرحلة الثانية تبدأ مع ظهور المستقرات الأوروكية في شمالي سورية والعراق، حيث تشير القرائن الأثرية من الأختام الاسطوانية والفخّار الأوروكي والرسوم في فترة نقادة Naqada IIc/d★ في مصر والبقايا التي ظهرت في فلسطين من الجرار، التي تعود لفترة البرونز النحاسي المتأخّر قطعة من الأواني النوبية من فترة نقادة في حبوبة على علاقات موثوقة بين الجانبين[1].

يمكن أن نجمل أنه في فترة نقادة II كان هناك طريق بري يمتد من العراق إلى شمالي سـورية إلى فلسطين فمصر، والطريق البحري يمر من شمالي سورية على طول الساحل حتـى مـصر دون المرور بفلسطين.[2]

المناجم و التعدين

كانت المعادن من أكثر المواد طلباً لأنها تشكل المادة الأساسية لكثير من الأعمال والأدوات فـي التاريخ القديم. تظهر الأعمال الأثرية أن بداية استعمال المعادن يرجع إلى ما قبل 7000 سنة ق.م.أي إلى أربعة آلاف سنة قبل بداية عصر البرونز على الأقل[3]. حيث عرفت المعادن واستُخدمت في الشرق الأدنى القديم، ومن بين أهم المعادن المعروفة كان النحاس والقصدير والبرونز الذي يمثل خلـيط مـن النحاس والقصدير، كذلك عرف الذهب والفضة والإلكتـروم وهـو (خلـيط مـن الـذهب والفـضة) والرصاص والحديد بالتوازي مع الفولاذ (خليط صناعي من الحديد والكربون).

النحـاس

تعد الأناضول من أهم مناطق الشرق الأدنى غنى بالمعادن، ويعد منجم kozlu كوزلو واحد من أهم مناجم النحاس في الأناضول التي استثمرت في التاريخ القديم، وأصبح النحـاس الطبيعـي قيـد الاستخدام حوالي 4000 ق.م. فقد استقدم من إحدى المناجم السابقة التي امتدت مـن جنـوب شـرقي الأناضول باتجاه شمالي العراق. وأيضا المناطق الغنية بمناجم النحاس الطبيعي في إيران خاصة منجم تلميسي Talmessi حيث تقول النظريات الحديثة أن النحاس في الألف الرابع في العراق وسوسا جـيء به من تلميسي. من جهةٍ أخرى استثمرت مناجم النحاس لصالح العراق والبلـدان ذات العلاقـة بهـا بغرض الصناعات المعدنية. وفي بواكير الألف الثالث تحول السومريون ولسبب غير واضح إلى عمان التي كانت تعرف لديهم بأرض ماجان ليحصلوا على النحاس، وأفضل مثال عن ورشات النحـاس مـا قبل عصر البرونز ربما التي تعود إلى فترة II9 من تبه غبرستان Tepe Ghabristan غـرب طهـران

★ حضارة نقادة Predynastic عصر ماقبل الأسرات، تعود لفترة العصر الحجري النحاسي اسـتمرت بـين 4000- 3200 ق.م تقريباً. تعد من فترات فجر التاريخ، تقع نقادة في ثنية قنا، إلى الشمال من طيبة، على الضفة اليسرى من نهر النيل في مصر.

- أحمد عبد الحميد محمود، آثار الوطن العربي القديم، جامعة دمشق 1999- ص، 441-442

1 -Mark Samuel 1997 – Op.cit – P. 124

2 - Ibid – P. 30

3 - MUHLY JAMES.D Mining and Metalwork in Ancient Western Asia . Civilizations of the Ancient Near East, 1995, VOL III, p 1501

التي تؤرخ حوالي 4500 ق.م[1]. لقد دلت المعطيات الأثرية الحديثة في موقع حبوبة كبيـرة الـشمالية شمالي سورية على وجود قوالب حجرية، وقطع من الفلزات الخام، التي تشير إلى ممارسـة الـسكان لصناعة النحاس[2]، كما عرفت العراق ورشات لتعدين النحاس والبرونز ولكن بشكل غير كبيـر قبـل الألف الثاني الباكر في ذلك الوقت. وانتشرت الورشات على مساحة واسعة ضـمت كـاروم كـانيش (كولتبه حالياً)..... وتل سويحات (سورية)....[3]

الرصاص والفضة:

يعد تواجد الرصاص بشكله الطبيعي نادر، لذلك من المحتمل أن الصناعات الرصاصية كانـت تتم من الرصاص المصهور من خامات الرصاص المتنوعة وتعد أكثر خامات الرصاص شيوعاً تلك التي تحتوي على الفضة[4]. كما أظهرت المعطيات الأثرية الحديثة في موقع حبوبة الكبيرة الشمالية، أنه كانت تجري عمليات استخلاص الفضة بعملية البوتقة، في فترة أوروك المتأخرة حوالي 3500 ق.م[5].

كما تم التعرف من التقارير الأولية على ورشات الرصاص من مستويات فترة العبيد في جيرمن تبه Degirmen tepe على الفرات الأعلى والتي تؤرخ حوالي 4000 ق.م، كورشـات النحـاس فـي العصر الحجري النحاسي وفي نورشن تبه في منطقة كيبان جنوب شرقي تركيا.

مما يجعل الخامات المتواجدة في تبه غبرستان ذات أهمية، لكونها تقع في ما يمكـن أن نطلـق عليه منطقة صناعية في تلك المنطقة ، ومن المؤكد أن الأعمال المعدنية قد أحضرت من خارج الموقع الذي يعود إلى الحجري النحاسي من شيقميم Shiqmim في النقب (منتصف الألف الرابع)[6].

القصدير وتطور تعدين البرونز

لقد حقق التعدين تطوراً كبيراً بعد الاكتشاف المهم أن إضافة القصدير إلى النحاس ينتج معـدن أكثر قوة هو البرونز، فقد عثر بين المحفوظات الملكية في إبلا على عدد من النصوص المسمارية التي تقدم وصفات تذكر فيها النسب المحددة من النحاس والقصدير لإعطاء كمية محـددة مـن البرونـز[7].

---

1 -MUHLY JAMES D, Ibid - p. 1502

2 - شترومنغر، إيفا، 1984، حبوبة الكبيرة ، ص57

3 -Ibid - p. 1502

4 - Ibid - p.1502

5 - Ibid - p.1503

6 - Ibid - p.1504

7 - مرعي عيد، 1996 - المرجع السابق، ص43- 44

والنسب التقليدية له هي 10% قصدير و90% نحاس[1]. أما أهم المناطق التي عرفت صناعة برونـز مميزة تقع في الزاوية الشمالية الغربية من الأناضول على مسافة بعيدة عن جنوب العراق وتؤرخ إلى حوالي ما قبل 2200 ق.م[2]. وشكلت ماري محطة مهمة في تجارة القصدير الذي كان يأتي إليها مـن الشـرق (أفغانستـان وأواسـط آسيـا)، عبر عيـلام، من سوسا وأنشـ ـان Anshan حالياً (ماليان) Tepe Malyan وسط إيران، وقد قام العيلاميون بدور مهم في تجارة القصدير، فكانت لهم تعـاملات كثيرة مع تجار ماري، حيث اشتهر منهم رجل يدعى كوياليا Kuyaya، و من ماري تاجر يدعى إشخي داجان Ishkhi-Dagan ورد ذكرهما في نصوص ماري. و كانت شحنات القصدير تأتي إليها على شكل قوالب يزن الواحد منها حوالي 10 باوند[3].

إن عملية التعدين كان لها دور بارز في تحديد اتجاهات التجارة النائية التي تمتد نحو مـصادر المواد الأولية، التي كانت المعادن من أهم المواد المطلوبة في مدن الجنوب، إلـى جانـب الأخـشاب والحجارة الكريمة.

1 - MUHLY JAMES D, Op. Cit - p.1506

2 - Ibid - p.1507

3 - Ibid - p. 1409

ظهور الكتابة

" إن الكتابة شكل متطور من أشكال الاتصال الإنساني الآني، والمستقبلي وقد كانـت الكتابـة فـي الأساس أسلوباً بدائياً في التسجيل المادي، ثم أصبحت وسيلةً لتدوين الأفكار وأرقى المكتسبات الإنسانية." [1]

إن قيمة هذا الابتكار لم تنحصر بحجم الإنجازات التي فتح الباب عليها بل تعداه ليصبح حدثاً من الدرجة الأولى ليشكّل الفيصل بين حقبتين تاريخيتين، عصور ما قبل التاريخ والعـصور التاريخيـة. ومثّلت الشعوب القادرة على التدوين نواة الدول الحضارية، التي قامت في الـشرق القـديم[2]. إن هـذا التطور الأساسي في تاريخ البشرية، ابتكره كما نعلم السومريون في نهاية الألف الرابع قبل الميلاد في جنوب العراق حوالي 3300 ق.م، فقد جاءتنا أقدم النصوص من مدينة أوروك السوية الرابعة "آ" التي تعود بتاريخها إلى أواخر الألف الرابع قبل الميلاد[3].

إن تحديد العلاقة بين ولادة الكتابة و نشوء المدنيات أمر بالغ الأهمية، فمنذ عـصور مـا قبـل التاريخ استقر الإنسان في هذه المنطقة، من المشرق العربي القديم، وأخذ ببنـاء حـضارته وتحقيـق منجزاته. ولعلّ الكتابة كانت الإنجاز الأهم بعد الثورة الزراعية في عملية التطور الحـضاري . التـي نعتز بأن هذه الأرض، كان لها مثل هذا الدور المبدع. ولم يحدث ذلك محض الصدفة، فهـذه الأرض وتحديداً سورية والعراق، تعد الأغنى بالمراكز الحضارية، والأقدم في التاريخ الإنساني، حيث توافرت فيهما الشروط الطبيعية والإنسانية المناسبة، للقيام بهذا الدور.

عوامل نشوء الكتابة وتطورها:

لقد مرت الكتابة بمراحل بناءٍ، طور فيها الإنسان هذه الخبرة، حسب حاجاته الاقتـصادية فـي البداية، ثم ما لبثت أن ارتقت لتصل مستوى من النضج الاجتمـاعي تجلّـى فـي التعبيـر الفكـري والإنساني، شمل مناحي الحياة كلها.

الطور الممهد للكتابة Proto Writing

لقد كتب الإنسان قبل كل شيءٍ لضرورةٍ معاشية واقتصادية، وقد ترافق ذلك مع عملية التطـور المدني ونشوء المستقرات الزراعية، حيث كان بحاجة لضبط الحسابات التي نتجت عن عمليات التبادل الزراعي بالدرجة الأولى، استخدم فيها الإنسان كتلاً من الطين Tokens، لتوصيف منتجاته الزراعيـة من حبوبٍ وفاكهةٍ وزيوتٍ، وغير ذلك من رؤوس الماشية المستخدمة في عمليـات التجـارة وتبـادل السلع[4]. وقد عثر على هذه الأشكال الطينية في عدد من المواقع السورية كالمريبط وأبو هريـرة وتـل

---

1 - البني عدنان ،المدخل إلى قصة الكتابة في الشرق العربي القديم،2001 ص 9

2 - نيسن هانس، أصل الكتابة واستخدامها في الشرق القديم، وثائق الآثار السورية 1، دمشق 2002، ص203

3 - رشيد فوزي ، قواعد اللغة السومرية - بغداد ، ص 23

4 - GELB. I.J. A STUDY OF WRITING, THE UNIVERSITY OF CHICAGO PRESS ,1962-p.62-63

أسود والسويات الدنيا من رأس شمرا وغيرها.....كما في عدد من المواقع في العراق وفلسطين وإيران والأناضول. وتعود تلك الأشكال إلى سويات العصر الحجري الحديث Neolithic أي مع بداية الثورة الزراعية والعصر الحجري النحاسي Chalcolithic وتتدرج حتى الألف الرابع ق.م. وأخذت أشكالاً اسطوانيةً وقرصيةً ومخروطيةً وكرويةً وبيضوية، حيث بينت الدراسة التي قامت بها الباحثة شماندت بيسيرات Schmandt Besserat أن استخدام هذه الكتل الطينية، لم يقتصر على العد والتعداد، أو اللّعب كما كان يعتقد، بل تعلّق استعمالها بأنواع السلع وتبادلها في عمليات التجارة القديمة، وبالتالي قد مثّلت نوعاً من التسجيل سبق الكتابة[1].

الأغلفة الطينية Mud Envelop/ الكرات المجوفة Bullae

قبل ظهور الكتابة عملياً بوقتٍ قصيرٍ، وجد نوعان مختلفان من عمليات تخزين المعلومات، الأول بواسطة العلامات الطينية العددية، وتغليف هذه العلامات بكتل طينية أخرى تطبع على سطحها الأختام ، وقد ظهرت الأغلفة الطينية في عدد من المواقع منها سوسا، نوزي Nuzi تبه يحيى Tepe Yahya، شاه داد Shah Dad، و حبوبة كبيرة وأوروك. وهي عبارة عن كرات طينية تحتوي بداخلها كتلاً طينيةً. تستخدم كمغلف لتلك الكتل، تعود إلى حوالي النصف الأول من الألف الرابع قبل الميلاد [2].

فقد كانت تجمع هذه الكتل، ذات الأشكال المخروطية والأسطوانية والقرصية... الخ في غلاف طيني (كرة مجوفة) Bullae في عصر أوروك Uruk، ثم يغلق هذا الغلاف لضمان عدم تغيير ما في داخله تأميناً لعملية التسليم والاستلام، وفي مرحلةٍ متقدمة، رسمت أشكال هذه الكتل على سطح الغلاف نفسه قبل أن يجف. ويعتقد أن الهدف من هذه العملية، كان معرفة ما بداخل الغلاف دون كسره. وكان الرسم على سطح الغلاف الطيني، يمثل مسقط الشكل الذي هو في داخل الغلاف. فالكرة مسقطها دائرةٌ عميقةٌ والأقراص مسقطها دوائر سطحيةٌ والأشكال المخروطية تُسقط على شكل أوتاد وكان يتم ذلك على ما يبدو بطبع الكتل الطينية نفسها. كما أخذت الأغلفة بعد ذلك تختم بختم اسطواني يدرج على الطين فيمثل مشاهد من الحياة اليومية ومن العمليات الاقتصادية والاجتماعية بمختلف أشكالها[3].إن استبدال الأشكال المجسمة بطبعات هذه الأشكال كانت الخطوة الأولى في الكتابة[4].

---

1 - Schmandt- Besserat- Denise, THE EARLIEST USES OF CLAY IN SYRIA- Expedition, The magazine Archaeology Anthropology,vol 19-number 3-spring 1977.P.(29-35)

2 - Schmandt- Besserat- Denise 1977, An Archaic Recording System And The Origin of Writing, Syro Mesopotamian Studies VOL 1- Issue 2 – July .p22

3 - Schmandt- Besserat , Denise, 1980 The Envelopes That Bear The First Writing. VOL .21, NO.3,JULY-2 P(357-385).

4 - البني عدنان ،2001 المرجع السابق ص 16

إن ظهور هذه الأغلفة في وقتٍ واحدٍ تقريباً نحـو 3500 ق.م فـي العـراق وسـورية (أوروك وحبوبة كبيرة) وعيلام★، يدل على وحدة التعامل والمبادلات التجارية بين هذه المناطق[1]، فإذا تتبعنـا خطى تطور الكتابة، التي بدأت بعملياتٍ حسابيةٍ اعتمدت على حصى العد، والكتـل الطينيـة، كـشكلٍ بدائي للتسجيل منذ نحو8000 سنة ق.م. و بلوغها مرحلة الأغلفـة الطينيـة، ذات الـسطح المـزود بالطبعات منذ حوالي الألف الرابع ق.م، ومن ثم التخلّي عن هذه الأغلفة لصالح الألـواح الطينيـة، و بداية الكتابة التصويرية الأولى في أوروك نحو 3100 ق.م، حتى بلوغ أرقى مستويات الكتابة، نـرى أنها ابتعدت قروناً عن أساس تكونها.

إن عدم حصول هذه التحولات قبل الألف الرابع، قد يعزى إلى بساطة عمليات المحاسبة خـلال الخمسة آلاف عام السابقة، بالإضافة إلى أن النضج النفسي لتحقيق مثل هذا التحول، المرتبط بالنـضج الفكري لم يكن قد اكتمل. ومن جهةٍ أخرى القفزة النوعية التي حملتها نشأة المدن وتطور التجارة، هي التي عجلت في تحويل الحصيات بسرعةٍ كبيرةٍ نسبياً إلى رموز، وأدى ذلك إلى تبنّي الكتابة في هـذه المنطقة[2].

لقد بينت الدراسات أن المرحلة التي مهدت للكتابة المسمارية هي استخدام الكتل الطينية الصغيرة ذات الأشكال المختلفة في المحاسبة الشخصية بين طرفين، وهي سابقة للحساب المجرد. حيث لاتوجـد أشكال تدل على واحد أو عشرة، بل هناك أشكال تمثّل كل نوع من البضاعة، فكانـت جـرة الزيـت الواحدة تمثّل بشكل بيضوي و تمثّل الجرتان بشكلين بيضويين، وكمية صغيرة مـن الحبـوب تُمثّـلُ بمخروطٍ، أما الكمية الكبيرة تُمثّلُ بكرةٍ،.... وقد تطورت هذه الطريقة مع تطور الحاجات الاقتصادية. ففي البدء كانت تستخدم لتوصيف المنتجات الزراعية، ثم في زمن قيام المدن، أو مـا يـسمى الثـورة المدنية، وتنوع المبادلات التجارية، استخدمت أيضاً لحركة تبادل المنتجات الحرفية، ثم تطورت تبعـاً لنهضة البنى الاجتماعية وبناء الدولة وازدياد البيروقراطية/ المكتبية، ووسـائل التخـزين، فـابتكرت طريقة حفظ الأشكال الطينية داخل أغلفة طينية[3].

لقد نفذّت تلك الأشكال، كما رأينا سابقاً بطريقة طبع الكتل الطينية نفسها، كمـا أضـيفت إليهـا أشكال رسمت بقلمٍ حاد الرأس. وكلا النوعين، المطبوع والمرسوم أصـبحا مـن علامـات الكتابـة

★ لقد وجدت أمثالُ هذه الكتل الطينية المختومة في سوزا وجودن وتبه سيالك في إيران1937م. وفي خفاجة ونوزي في العـراق 1934- 1935م. أما في سورية فقد وجد مثلها أولاً في ماري (تل الحريري) 1964م على الفرات، وموقع شكر بـزر فـي الجزيرة السورية، كما وجدت خلال السنوات الأخيرة نماذج كثيرة من هذه الكتل المختومة في جبل عرودة وموقـع حبوبـة صغيرة وتل الشيخ حسن (منطقة بحيرة الأسد)، بالإضافة إلى موقع تل براك وموقع القرية من بلدة العـشارة علـى الفـرات وغيرها. **البني عدنان ، المدخل إلى قصة الكتابة في الشرق العربي القديم،2001 ص 13**

1 - الخوري ديب موسى، قصة الأرقام عبر حضارات الشرق القديم، دمشق 2002 ص37

2 - الخوري ديب موسى، 2002 المرجع السابق ص37- 38

3 - البني عدنان، ،2001، المرجع السابق ص 16

التصويرية Pictography وكانت لاترسم الأشياء نفسها بل ترسم ما يمثلها من الأشكال الطينية البدائية، التي كانت تستعمل في الأسلوب السابق[1]. وعندما توطّدت الكتابة التصويرية، استمر الإنسان في صنع الكتل الطينية ولكن بأشكالٍ مقتصرةٍ على الكرات والأقراص وكانت تستخدم في الغالب كمحسب. ثمـة تطور آخر قد حدث فالإشارات المطبوعة لم تعد تكرر واحدة واحدة أي لم تعد ترسم خمـس جـرات للتعبير عن الجرات الخمس، بل ترسم الجرة تليها خمسة خطوط مسمارية [2].

تشير شماندت بيسيرا بناء على الدراسات التي قامت بها أن استخدام الكتل الطينية قـد سـبق ظهور الكتابة، وأنها لم تظهر كحاجة للتسجيل عند نشأة المدن (نهاية الألف الرابع) بل قبل ذلك بأربعة ألاف سنة أي مع بدايات الزراعة، وإن التعداد لم يكن من نتائج الكتابة بل طور ممهد لظهورها[3].

الكتابة التصويرية Pictography:

لقد قدمت الكتابة التصويرية الكلمة على شكل صورة مباشرة، تشير إلى ما يراد التعبير عنـه. عن طريق رسم مبسط، بواسطة قلم مدبب على سطح طيني. إن الرقم التـصويرية الـسومرية التـي اكتشفت في أوروك السوية الرابعة . تقدم مثالاً واقعياً عن هذه المرحلة، وهي عبـارة عـن سـجلات اقتصادية بالدرجة الأولى[4].

المرحلة الرمزية Idiogram / Logograms

أخذت الرسوم في هذه المرحلة تبتعد تدريجياً عن الصورة الأصلية، وتفقد صلتها الواضحة بهـا متّجهة نحو التجريد شيئاً فشيئاً، حتى تحولت في النهاية إلى رموز أو إشارات مسمارية لا تعبر فقـط عن المعنى الأصلي للصورة، بل تشير إلى معنى الكلمة أيضاً Logograms فالرمز الذي يـدل علـى الشمس لم يعد يعبر عن الشمس فقط، ولكن يدل على النهار، والضوء، واليوم[5].

المرحلة المقطعية Syllabograms

تطورت الكتابة في هذه المرحلة، مع تطور التواصل الإنساني ورقي التعبير، والنضج الفكـري، والنفسي، والحاجة للتعبير عن الأحداث والأفكار بشكل أدق، حيث أخذ كل رمز قيمة صـوتية معينـة Phonogram، بغض النظر عن الصورة التي يمثلها، وكان كل رمز يحمل عدة معان ويمكن أن يشكل كلمة أو جزءاً من كلمة بإضافته إلى رمز أو رموز أخرى. فالرمز تي ti الذي يدل على" سهم" فـي

---

1 - Schmandt- Besserat- Denise 1977, An Archaic Recording System And The Origin of Writing, Syro Mesopotamian Studies VOL 1- Issue 2 – July .p27

2 - البني عدنان 2001،المرجع السابق ص 17

3 - Schmandt- Besserat , Denise, 1980, Op. Cit -P.360-361

4 - CHADWICK Robert , Introduction To Cuneiform Writing, - BULLETIN 31,May 1996,p. 7

5 - GELB. I.J.1962, Op. Cit - P. 65

اللغة السومرية، استخدم صوت الرمز نفسه للدلالة على معنى "حياة"، مما يشير إلى أن الرمـز الـذي يمثل "السهم" في اللغة السومرية له لفظ واحد ويحمل معنيين مختلفين.[1]

الكتابة المسمارية Cuneiform Writing

لقد سميت هذه الكتابة بالمسمارية/الإسفينية Cuneiform، لأنها أخذت شكل المسامير أو الأسافين وهذه التسمية مأخوذة من اللاتينية، التي تعني "شكل الأسافين " من الكلمة "Cuneus " وتعنـي إسـفين و"form" تعني شكل[2].

بعد ما تقدم من عرض موجز عن مراحل تطور الكتابة من حاجة لحفظ المعلومـات و الـضبط الاقتصادي إلى حاجة للتواصل الاجتماعي تميزت بها الشعوب التاريخية _ التـي عرفـت الكتابـة_ يعرض هانس نيسنHans Nissen فكرة تأثير التطور الثقافي للمجتمعات على ظهور الكتابـة، ففـي اللحظة التي ازداد فيها التعقيد الاجتماعي، ازدادت الحاجة إلى تبنّي نظام الكتابة، وبالمقابل في اللحظة التي يضعف فيها التعقيد الاجتماعي تضعف الحاجة إلى وسائل الضبط المتمثّلة بالكتابة[3].

الكتابة في سورية

لقد ترافقت عوامل نشوء الكتابة وتطورها في سورية، مع عملية التطور المدني بـشكلٍ عـام، فالكتابة لم تنشأ فجأةً أو بمعزلٍ عن تراكم الخبرات عبر السنين، أو تطور حاجات المجتمع الإنـساني، وتفاعل الشعوب فيما بينها. فقد كان لسورية الحظ في أن تشهد بواكير الكتابة التي نشأت فـي جنـوب العراق، مثل مدينة حبوبة كبيرة وجبل عرودة، وتبلغ قمة هذا النظام فيما بعد في إبلا Ebla كما فـي نظائرها في فارا (شوروباك) Tell Fara وأبو صلابيخ Abu Salabikh ★.

عرفت مراكز المدن السورية بواكير الكتابة منذ الألف الرابع قبل الميلاد، فقد جاءتنا شواهد من حبوبة وجبل عرودة، و قدمت التنقيبات الأثرية في المواسم الأخيرة على أن تلّ براك ناجـار القديمـة NAGAR، الذي يعد من أهم مدن شمالي العراق وسورية في الألف الثالث ق.م، كان يمثّل مركزاً كبيراً

1 - Ibid, P. 67
2 - Ibid, p.61
3 - نيسن هانس،أصل الكتابة واستخدامها في الشرق القديم، وثائق الآثار السورية 1، دمشق 2002، ص205
★ يقع تل أبو صلابيخ على بعد 145 كم جنوب غربي بغداد، ونحو 40 كم شمال غربي مدينة نيبور الأثرية، ويتألف هذا التل من مجموعة تلال تنتشر وسط أرضية رسوبية غير صالحة للزراعة لايزيد ارتفاعها على خمسة أمتار. بـدأت أعمـال التنقيـب 1963- 1965م ومن عام 1978- 1989م وذلك في ثلاثة مواقع اصطلح على تسميتها التل الـرئيس والتـل الغربـي وتـل أوروك، من قبل المعهد الشرقي برئاسة عالم الآثار دونالد هانسن **Donald Hansen** ، كشف عن مدينة قديمـة فـي التـل الرئيس لم يعرف اسمها السومري بعد، كما عثر على رقم طينية مدونة باللغة السومرية القديمة، وهـي ذات محتـوى أدبـي، ويحدد تاريخها في بداية عصر الأسر السومرية، عصر الأسرة الأولى والثانية والثالثة وتؤرخ من 3000- 2400 ق.م. قـام الآثاري اللغوي بنشرها روبرت بيغس **R.Biggs** عام 1974.

ومعقداً في منطقة زراعية تسمح بقيام زراعة بعلية اختـصت بإنتـاج الحبـوب[1]. ولعـلّ الالـوحين التصويريين المكتشفين في تلّ براك عام 1984م كانت لهما أهمية خاصة بين الشواهد المذكورة★. فهما لوحان صغيران من الطين الفج متشابهان في الشكل، يحملان آثار بصمات أصابع، وقد رسم على كل منهما منظر جانبي لحيوان، يمثل الأول رأساً من الماعز والثاني ربما رأساً من الغنم ، وكتـب إلـى جانب كل منهما الرقم عشرة. وهما يتميزان عن ألواح أوروك المكتشفة في الطبقة الرابعـة ب، التـي تمثّل المرحلة الأولى من مراحل الكتابة المسمارية، أنهما يظهران صورة الحيوان كاملاً، بينما تظهـر أقدم ألواح أوروك رأس الحيوان فقط[2]. ومع تطور مدن الألف الثالث، أدهشنا اكتشاف مدينة إبلا على يد بعثة إيطالية برئاسة الأستاذ باولو ماتييه Paolo MATTHIAE بكنزٍ من الألـواح الطينيـة مثّلـت سجلات ملكية ووثائق عالية القيمة من ناحية المعلومات التاريخية التي تضمنتها بالإضافة إلى معلومات قيمة بخصوص موضوعات الكتابة واللغة، التي بينت الدراسات، أنها كتبت بلغة أطلق عليهـا اللّغـة الإبلاوية ، وعدت أقدم لغة معروفة في سورية حتى الآن ، وقد تبنت نظام الكتابة المسمارية التي كانت منتشرةً في أنحاء الشرق الأدنى القديم بما يتناسب مع خصائص لغتهم وصفاتها. فقد أظهرت الدراسات التي قام بها (بتناتو Pettinato) وجود علاقة وثيقة مع النصوص المكتشفة في موقعي تلّ فـارا و أبـو صلابيخ جنوبي العراق[3].

إن وفرة العلامات الرمزية السومرية ليست واحدةً في كل نصوص إبلا بل تختلف من نوع إلى آخر من نصوصها، فنراها تصل إلى ثمانين وتسعين بالمئة في النصوص الاقتصادية والمحاسبات لأن هذه النصوص تقليدية، وتستعمل مفرداتٍ متوارثةً مما يعزز موضوع العلاقات التجاريـة، واسـتخدام مفردات متّفقٍ عليها في عالم التجارة والاقتصاد. بينما تقل هذه العلامـات الرمزيـة الـسومرية فـي المراسلات والقرارات الرسمية، في حين نجد نسبتها محددة أكثر في النصوص الأدبية. كما عثر على وثائق معجمية متميزة والعديد منها قوائم تضم كلمات سومرية، وفي بعضها شروح باللغة الإبلاوية. من جهة أخرى تبين أن مجموع النصوص المعجمية السومرية ذات اللغة الواحدة يعادل ما عثر عليه فـي فارا وأبو صلابيخ[4].

لقد تشاركت سورية والعراق على الدوام بازدهار الحضارة والمدنية، والشواهد تـدل علـى أن ألواح إبلا وألواح فارا وأبو صلابيخ كانت متعاصرة، ومازالت التنقيبات الأثريـة تقـدم الكثيـر مـن

1 - Hammadé Hamido, Dans La Djézireh Syrienne, Aux Origines de L´ Écriture En, Syrie,p.123
L´écriture Catalogue, Aux Origines de L´ Écriture En, Syrie, p.(194-197)

★ اللوحان معروضان في متحف دير الزور، وهما لوحان يحويان علامات رقمية ورموز تصويرية، عثر عليهما في المنطقـة FS في تل براك يؤرخان حوالي 3300 ق.م. **دليل متحف دير الزور، الأنهار والبوادي، دمشق 1999ص49**

2 - مرعي عيد "الكتابة والتعليم" دراسات تاريخية 41- 1992/42- 1- 2- ص8

3 - GELB. I.J, 1977- Chronology and the writing system- Syro- Mesopotamian Studies vol 1/Issue1 May, P. 8

4 - Ibid, P 6-7

المعطيات التي تؤكّد على دور المشاركة السورية في هذه المدنية، فالتنقيبات الأثريـة الكثيفـة التـي عرفتها منطقة الجزيرة السورية وشمالي العراق زودتنا بوثائق مهمة دلّت على ازدهار ثقافة مدينيـة رائعة، تعود إلى الألف الثالث في هذه المنطقة، تميزت بكثافة سكانية عالية، ومنشآت عمرانية عامة و كبيرة. ترجع هذه الوثائق المكتشفة في الجزيرة إلى مواقع متعددة مثل (تل براك- تـل مـوزان-تـل ليلان- تل شكر بزر- تل بيدر.....تل عتيج)

يعد تل بيدر من أهم المواقع التي قدمت أكبر سجلات محفوظة في جناحه الإداري التابع للقصر، وتأتي أهمية محفوظات بيدر لاحتوائها على أقدم الرقم المكتشفة في الجزيرة. فكانت نصوص تل بيدر التي ترجع إلى الألف الثالث ق.م، المكتشفة عام 1993- 1994م في السوية التي تعـود إلـى عـصر الجزيرة القديم IIIb . عبارة عن مجموعة تتألّف من 141 رقيماً مسمارياً، ترجع إلى الألـف الثالـث ق.م. ومع متابعة البحث تم العثور حتى اليوم على 216 رقيم مسماري في الموقع، وهي أقدم الوثـائق المكتشفة في سورية والمعاصرة أو السابقة قليلاً لأقدم ألواح إبلا، وقـد تـضمنت نـصوص إداريـة واقتصادية، تشير إلى علاقات من الناحية الإدارية والثقافية والتجارية، ففي تلّ بيدر يـتم لأول مـرة اكتشاف رقم مسمارية تعود إل عصر ماقبل الشاروكيني Pre-Sharrukin ، تتحدث عن تقاطع الطرق التجارية في مثلّث الخابور[1]..

كما كشفت لنا الحفريات في تلّ ليلان عام 1987م عن مجموعة مهمة من الرقم، البالغة حوالي 600 قطعة في حالة سليمة، التي عثر عليها في قاعات مجمع القصر الملكي الكبير في المدينة الـسفلى من التل، وهي عبارة من النصوص كتبت باللّغة البابلية القديمة، وتعود بتاريخهـا إلـى 1750- 1728 ق.م تقريباً، تضاف إلى المجموعة، التي عثر عليها عام 1985م، تضمنت محفوظات ليلان نـصوصاً إدارية ورسائل موجهة إلى ملوك ليلان ومعاهدات تكشف عن التطورات التي شهدتها مواقع الخـابور وتقدم بعداً مدنياً وحضارياً للمنطقة[2].

لقد تمَ تعرف اسم شخنا الاسم القديم لتل ليلان★ من خلال الرسالة الموجهة من الحاكم إوري في مكان اسمه تاكه إلى موظف كبير في شخنا / تل ليلان[3].

---

1 - لويو مارك، سليمان أنطوان، تل بيدر/نابادا، سلسلة الوثائق السورية VI ، دمشق 2005.ص 32– 33

2 - EIDEM Jesper,Les Archives Paléo- Babyloniennes de Tell Leilan, Les Dossiers D´Archeologie, 155/Decembre 90/40 France, p. 50

★ قام شمشي - حدد الأول(1807- 1776ق.م) بتغيير اسم المدينة من شخنا إلى شوبات – إنليل. عندما جعـل منهـا عاصـمة للمملكة الآشورية القديمة لتي أسسها. **دليل متحف دير الزور، الأنهار والبوادي، دمشق 1999- ص87- 88**

3 - العموريون والآشوريون والبابليون في الجزيرة العصر السوري القديم (2000/1900- 1530 ق.م) دليل متحف دير الزور، الأنهار والبوادي، دمشق 1999 ص 88

كشفت التنقيبات في تل موزان عن حوالي عشرين من الألواح الطينية الكتابية في المبنى AK،الذي يعود إلى منتصف الألف الثالث ق.م، الذي عرف في البداية كمخزن ضخم، إلى جانب أكثر من ثمانين طبعة ختم . أحد هذه الألواح عبارة عن لوح مدرسي يحتوي مقتطفات من لوائح المهن LU E المشابهة لما هو في أبو صلابيخ وفي إبلا. وبالمقارنة نجد أنه بينما هي متشابهة فيما بينها هناك اختلاف معين يجعل نصوص موزان أقرب إلى إبلا، الشيء الذي يؤكد تشابه الهوية الكتابية بين أبو صلابيخ وإبلا وموزان، حيث يتطابق السطرين الأولين فقط في النصوص الثلاث، أما في السطر الثالث هناك مضاعفة للمكون الثاني في إبلا وموزان، وإضافة المحدد في موزان، ويتطابق السطر الرابع والخامس في النصوص الثلاث ماعدا وضع المحدد في مقدمة المكون الثاني في إبلا وموزان. ويبدي السطر الأخير اختلافاً أساسياً بين أبو صلابيخ وإبلا من جهة وموزان من جهةٍ أخرى[1].

وقد عرفت مواقع الخابور الأوسط في الألف الثالث ق.م التي اتُفق على كونها مواقع عملت كمراكز تخزين أدوات وتقنيات الإدارة، فقد عثر في تلّ عتيج في الغرفة المجاورة للمخزن على مجوعات من الكتل الطينية ذات الأشكال المختلفة والمحملة بعلامات وطبعات متنوعة إلى جانب أعداد من الألواح الطينية الأولية التي تحمل علامات حسابية[2].

إذا كانت الكتابة تدين بظهورها إلى عمليات الضبط الاقتصادي و التسجيل الحسابي، يجدر بنا أن نعرض قليلاً لمعرفة العد والأرقام، التي كان لها دور بارز في تطور الكتابة. لكن هذا لا يقلل من العملية بحد ذاتها للأهمية التي كانت تؤديها في عمليات المحاسبة في المشرق العربي القديم.

ما مبدأ العد الذي اعتمده المحاسب السومري؟ وأي نظامٍ اتبع ؟ وما العمليات التي عرفها؟

إن الأرقام السومرية كانت تطبع على الألواح الطينية، وكانت تعتمد مبدأ الجمع في معرفة العدد المطبوع، أي كان يتم جمع الواحدات الأساسية المطبوعة والمكررة عدداً من المرات لمعرفة مجمل الرقم المدون على اللوح. وقد اتبع السومريون نظام العد الستيني، وكانت واحداته الأساسية هي: 1، 10، 60، 600، 3600، 36000،..... حيث تعتمد القاعة الستينية على تناوب الجداء بعددين هما (6 ،10)[3].

1 - Buccellati.G & M.Kelly-1997 - The Seventh Season of Excavation at Tell Mozan,1992 Chronique Archéologique en Syrie vol 1,1992,P.81-82

2 - Fortin M, Schwartz G, The Middle Habur in the Third Millennium B. C Subartu IX, 2003, p 223

3 - الخوري ديب موسى، 2002 ، المرجع السابق، ص 65

1 =1

10=10

60= 60 =6 ×10

10×60= 600 =10×6×10

60= 3600 =6×10×6×10

10× 60 = 36000 =10×6×10×6×10

60 = 216000 =10×6×10×6×10×6

في الألف الرابع قبل الميلاد كان رقم عشرة يكتب بشكل دائرة تطبع عن طريق ضغط مؤخرة أداة الكتابة الدائرية على الطين الطري، فيما بعد كانت الأرقام من واحد إلى تسعة تكتب على شكل أسافين عمودية صغيرة، والرقم عشرة أصبح يمثل بشكل إسفين مائل، ومضاعفات العشرة من عشرة إلى الخمسين تُشكل بأسافين مائلة، كان الرقم ستون يكتب بشكل علامة عمودية. وكان يتم تمييزه عن الرقم واحد عن طريق كتابته بشكل أكبر من بقية العلامات الأخرى كانت هناك أيضاً بعض العلامات التي تمثل الكسور العددية. وقد كان بعض النساخين يكتبون أسماء البضائع بطريقة الأرقام، بدلاً من كتابتها مقطعياً أو بشكل رموز[1].

يقدم لنا هذا الزخم من النصوص والألواح، التي عثر عليها في العديد من المواقع السورية المنتشرة على مساحة الجزيرة السورية على اختلاف حجمها وأهميتها، على ثورة مدنية حقة عرفتها هذه المنطقة في خضم التطور الحضاري، الذي عم منطقة المشرق العربي عموماً وسورية خصوصاً.

1 - CHADWICK Robert , 1996, Op. Cit .10- 11

الخاتمة

تبقى هذه الدراسة محاولة متواضعة للتأكيد على عمق الدور الحضاري الذي مثّلته هـذه الأرض مـن شمالي سورية في عملية التطور الإنساني من خلال علاقة مميزة بين ابن هذه الأرض والبيئـة التي عمرها.

فقد أكدت الدراسات الكثيرة التي اعتمدت على نتائج المسح الأثري والتنقيبات المتواصلة، التـي عرفتها منطقة الجزيرة وما حولها على غنى هذه الأرض بالمادة الحضارية التي خلفهـا لنـا النـشاط البشري العمراني الكثيف، الذي شهدته المنطقة، والتفاعل مع المحيط المجاور الـذي مثـل الامتـداد الطبيعي والبشري، مشكلاً وحدةً من العلاقات المتنوعة الأغراض بكل الإمكانات التي يملكها. من حيث انخراطه في شبكة المبادلات والعلاقات الاقتصادية، والثقافية بالدرجة الأولى، كانت لها جوانب سياسية أحياناً أخرى. في أواخر الألف الرابع وبدايات وأواسط الألف الثالث، الأهم من ذلك أن هذه المرحلـة قدمت لنا مدينة ناضجة بكامل عناصرها في سورية وهي حبوبة كبيرة على الفرات الأوسـط، التـي قدمت نموذجاً لمدينة الجنوب في بيئة الشمال، ثم انطلقت بعدها الجزيرة السورية التـي كانـت لـديها إمكاناتها الخاصة، التي تميزت بها عن الجنوب طبيعياً وثقافياً - مع عدم إغفال التـأثّر الحـضاري – بإنتاج المدنيات المكتملة السمات البشرية والعمرانية والاقتصادية والثقافية، وأكبر دليل على ذلك العدد الهائل للتلال المنتشرة على امتداد منطقة الجزيرة، التي لا يسعها أن تعبر إلا عن ثورة مدنية جديـدة قامت في الشمال هذه المرة. والمعاول التي ما لبثت تحفر كل يوم، مستخرجة الوثائق الكتابيـة تؤكـد عمـق الجـذور الضاربـة في هذه الأرض، وتقدم لنا مشهداً مختلفاً للمنطقة، يدفع بكتابـة تـاريخ منطقة الشرق القديم إلى مرحلة جديدة من إعادة التقييم والبعد الحضاري، بما حمله لنـا مـن نتـائج حضارية متميزة.

المراجع باللغة العربية

إسماعيل فاروق

- المركز التجاري (كاروم karum) في الألف الثاني ق.م - الحوليات الـسورية، 43، 1999 م. ص 106
- الحوريون - الموسوعة العربية - المجلد الثامن- ط1 ، 2003، ص(659- 660)

أوتس ديفيد وجون

- تل براك، التعاون السوري- البريطاني في مجال الآثار،1998م. ص4

أور جيسن

- المسح الأثري ودراسات المشهد الطبيعي في منطقة تل حموكار1999-2001، الحوليات الأثريـة العربية السورية، 47 -48-2004، 2005م. 10-15 ص 9- 10-11

بغدو عبد المسيح حنا

- مائة وخمسون عاماً من البحث الأثري في الجزيرة السورية- محافظة الحسكة- دمشق 2009م. ص 31 - ص 35- 36- 37 - ص 304- ص307 - ص 313- 316- ص332 - ص 332- ص – 345- ص 374 - ص- 375-376 - 377 - ص 384 - ص 66- ص 159

بوتشلاتي جورجيو

- موزان / أوركيش، وثائق الآثار السورية 1، الجزيرة السورية التـراث الحـضاري والـصلات المتبادلة، دمشق 2002م. ص 213 - ص 214 -215

البني عدنان

- المدخل إلى قصة الكتابة في الشرق العربي القديم، دمـشق 2001 م. ص 9 ص 16 ص 13- ص 17

تونجا ، أونهان و بغدو، عبد المسيح

- شاغار بازار (سورية) 1 الأسبار ماقبل التاريخية (1999- 2001)، 2006، ص8-9

حمادة حميدو

- تل ليلان (شخنا- آبوم- شوبات إنليل)- دراسات تاريخية- /3- 4 / 37- 38 – 1990م. ص87

الحموي ياقوت

- معجم البلدان ،المجلد الثاني، دار صادر، دار بيروت/ بيروت 1957م. 134 ص - ص 334
- معجم البلدان ،المجلد الرابع، دار صادر، دار بيروت / بيروت1957م. ص242

الخوري ديب موسى

- قصة الأرقام عبر حضارات الشرق القديم، دمشق 2002 م. ص37 ص37- 38

رشيد فوزي

- قواعد اللغة السومرية - بغداد ص 23

روليج، ولفجانج ، كونه. هارتمورت

- مسح التلال الأثرية على جانبي الخابور، الحوليات الأثرية العربية السورية، المجلـد 33- ج2- 1983م. ص 273- ص (273-276)

زيادة نقولا

- الجزيرة وسيط لنقل الحضارة، وثائق الآثار السورية 1، الجزيرة الـسورية التـراث الحـضاري والصلات المتبادلة، دمشق 2002م.ص157

سليمان أنطوان، كينيه فيليب

- ثلاث حملات تنقيب سورية في تل أبو حجيرة (1988- 1990)، الجـزء الأول- وثـائق الآثـار السورية III - 2003م. ص(5- 20- 21- 23)

سليمان أنطوان ، لوبومارك

- تل بيدر، معرض الآثار السوري الأوروبي ، وزارة الثقافة، المديرية العامة للآثـار والمتـاحف، الإتحاد الأوروبي - دمشق- 1996- ص 84

سليمان أنطوان، بوتشلاتي جورجيو ومارلين

- أوركيش (تل موزان) - الموسوعة العربية -المجلد 4 ط1، دمشق 2001، ص224

شترومنغر إيفا

- حبوبة الكبيرة مدينة عمرها خمسة آلاف عام ، دمشق 1984م- تعريب محمد ماجد الموصـلي- مراجعة عدنان الجندي.25- 26- 28- 30- 33- 35 ص41 ص57

العابد مفيد رائف

- دراسات في تاريخ الإغريق، جامعة دمشق، 1979- 1980م- ص6- 7

عبد السلام عادل

- الأقاليم الجغرافية السورية، جامعة دمشق، 1990م. ص13
- الجغرافية الطبيعية لسورية ، جامعة تشرين، م.2003 ص329- ص335
- جغرافية سورية الإقليمية، دمشق، 1981- 1982م . ص 149- 150
- البيئة الجغرافية للجزيرة السورية واستيطانها - وثائق الآثار السورية1، الجزيرة السورية التراث الحضاري والصلات المتبادلـة، 2002م. ص 14- ص 12-15- 17- 18- 19- 16- 17- 18- ص114.

عبد الله فيصل

- رسائل جديدة عن تاريخ حلب وشمال سورية (في القـرن 18ق.م) دراسـات تاريخيـة / 1-2/ العددان 45-46-حزيران 1993م. ص 109- 110- 111
- تاريخ الوطن العربي القديم- بلاد الشام سوريا ولبنان وفلسطين والأردن- جامعة دمشق- 2003-2004م ص27- 28

عبد الله فيصل ، مرعي عيد

- المدخل إلى تاريخ الحضارة – جامعة دمشق – 2007- 2008م. ص 70

عبد الله فيصل ، مرعي عيد، أحمد محمود عبد الحميد

- آثار الوطن العربي القديم- آثار الوطن العربي القديم-العراق – سورية- مصر-جامعـة دمـشق 1999- ص 45- -47- ص، 441-442

فان ليرر وج، لوفريه وج.

- التنقيبات الأثرية الجديدة في الجزيرة العليا السورية، الحوليـات الأثرية الـسورية 1955م. ص 149- 165

فابلو جباغ سيف الدين

- الفينيقيون، الموسوعة العربية - المجلد 15- 2006 م دمشق. ص84

كلينغل هورست

- التجارة في بلدان المشرق القديم والتفاعل مع جزيرة كريت في الألف الثالث قبل الميلاد الحوليات الأثرية العربية السورية- المجلد 36- 37/ 1986- 1987م. ص146
- التجارة ووسائل العيش في فجر العصور التاريخية للجزيرة . وثائق الآثار السورية 1، الجزيـرة السورية التراث الحضاري والصلات المتبادلة، دمشق 2002م. ص(221-223)

كوفان جاك

- المساهمة الفرنسية في دراسة الآثار السورية(1969- 1989م) المعهد الفرنسي لآثـار الـشرق الأدنى فرع دمشق، 1989. ص24- 27

لافون برتران

- الكتابة والثقافة والهوية في مجتمعات الشرق الأدنى العربي القديم، نبوم NABUM- نشرة خاصة للدراسات المسمارية 1- 2007 م. ص 55

لوبو مارك

- طرق الاتصال في بلاد الرافدين العليا في الألف الثالث ق.م، الحوليات الأثرية العربية السورية، المجلد،43، 1999م. ص270

لوبو مارك، سليمان أنطوان

- تل بيدر/ نابادا، سلسلة وثائق الآثار السورية VI، دمشق – 2005م ص 7 - ص9- 10- 22- 23- 24- 25- 26- 27 ص 32– 33.

لوي هيو جان

- الجزيرة السورية وعلاقتها مع وادي الرافدين ، وثائق الآثار السورية1، الجزيرة السورية التراث الحضاري والصلات المتبادلة، دمشق 2002م. ص 66

ليونيه بيرتي

- الاتجاهات العامة للاستيطان في حوض الخابور الغربي الأعلى من العصر الحجري النحاسي حتى العصر الإسلامي"النتائج الأولية للمسح"، وثائق الآثار الـسورية1، الجزيـرة الـسورية التـراث الحضاري والصلات المتبادلة، دمشق 2002م. ص161- 166 ص 162.

مارجوران جان كلود

- الفرات الأوسط في عصر البرونز، وثائق الآثار السورية 1، الجزيرة السورية التراث الحضاري والصلات المتبادلة، دمشق 2002م. ص 230.

محيسن سلطان

- عصور ماقبل التاريخ- جامعة دمشق- 2006- 2007م. ص 259 ص 171- 182

مرعي عيد

- إبلا تاريخ وحضارة أقدم مملكة في سورية، دمشق 1996 م. ص 38 ص45 ص43- 44
- "الكتابة والتعليم" دراسات تاريخية، 1- 41/2- 1992/42م. ص8

ممفورد لويس

- المدينة على مر العصور وتطورها ومستقبلها، ج 1، أشرف على ترجمته وقدم له وعلق عليه د. إبراهيم نصحي1964 م. ص 65

مونشامبير ج،ي

- الخابور الأوسط، الحوليات الأثرية السورية، المجلد 33،ج 2- 1983م. ص 219-220
- الخابور الأوسط، وتل مشنقة- المساهمة الفرنسية في دراسة الآثار السورية 1989م. ص69-70

نيسن هانس

- أصل الكتابة واستخدامها في الشرق القديم، وثائق الآثار السورية 1، الجزيرة الـسورية التـراث الحضاري والصلات المتبادلة، دمشق 2002م. ص203

نيشياكي، يوشي هيرو

- آثار العصر الحجري القديم في حوض الخابور في سورية، وثائق الآثـار الـسورية1، الجزيـرة السورية التراث الحضاري والصلات المتبادلة. دمشق 2002م. ص 169

الهاشمي رضا

- الملاحة النهرية في بلاد وادي الرافدين، سومر ج 1- 2- المجلد 37-1981م. ص 45

هول، فرانك

- الاستيطان المتقطع في منطقة جبل عبد العزيز، وثائق الآثار السورية1، الجزيرة السورية التراث الحضاري والصلات المتبادلة، دمشق، 2002م. ص217- 220

ويلكنسون طوني

- مسوحات أثرية حديثة في سورية الشمالية، الحوليات الأثرية العربية السورية، المجلدان 45- 46/ 2002- 2003م. ص127
- حدود الزراعة البعلية في شمالي سورية، نظرة أولية، وثائق الآثار السورية 1، الجزيرة السورية التراث الحضاري والصلات المتبادلة، دمشق 2002م. ص181- 182. ص184

الكتب والموسوعات العربية

- **إنقاذ آثار منطقة غمر سد الفرات.** الجمهورية العربية السورية .
- **دليل متحف دير الزور، الأنهار والبوادي التراث الحضاري للجزيرة السورية وما حولهـا،** وزارة الثقافة المديرية العامة للآثار والمتاحف، دمشق 1999، ص 78 - ص 53 ص49 ص87- 88
- **رواد علم الآثار السورية 1860- 1960 من أرنست رونان إلى سليم عادل عبد الحق-** وثـائق الآثار السورية - وزارة الثقافة المديرية العامة للآثار والمتاحف – دمـشق2008- ص27- 28- 169- 170
- **قاموس المورد الحديث**(إنكليزي - عربي) 2008– ص 1081
- **كنوز سورية القديمة، اكتشاف مملكة قطنا،** معرض الولايـة الكبيـر بـادن- فـورتمبرغ مـن 2009/10/17- 2010/3/14 م،متحف الولاية فورتمبرغ - ص(3- 4) ص 44- ص 80- 84
- **المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري** - المجلد الأول القسم العام - مركز الدراسات العـسكرية ط 1- 1990
- **الموسوعة العربية- دمشق**

الدوريات العربية

- الحوليات الأثرية السورية. تصدر عن المديرية العامة للآثار والمتاحف. دمشق.
- سومر. تصدر عن المؤسسة العامة للآثار والتراث. بغداد
- سلسلة وثائق الآثار السورية. تصدر عن المديرية العامة للآثار والمتاحف. دمشق
- دراسات تاريخية. جامعة دمشق. دمشق.
- نبوم **NABUM**- نشرة خاصة للدراسات المسمارية (1) – دمشق

المراجع الأجنبية

AKKERMAN PETER M.M.G- SCHWARTZ GLENN M.

- THE ARCHAEOLOGY OF SYRIA (FROM COMPLEX HUNTER-GATHERES TO EARRLYURBAN SOCIETIES)(C.16,000 300 BC) 2003-CAMBRIDGE UNIVERSITY PRESS P.194- 193 194-196205--222-P. 223--218-219 p.217-218- 206-190- 202-203-204

ASTOUR, MICHAEL

- Overland Trade Routes in Ancient Western Asia, THE OXFORD ENCYCLOPEDIA,VOL III, **1997**, p. 1401- p. 1403 P.1404, p. 1405 p. 1406

Augusta McMahon

- Excavation at Chagar Bazar, north-east Syria
http://www.arch.cam.ac.uk/chagar-bazar

BASS, GEORGE F.

- Sea and River Craft in the Ancient Near East, Civilizations of the Ancient Near East, 1995,VOL III, p. 1421

BARD. A Kathryn

- Encyclopedia of Arceology of Ancient Egypt-1999- P 182

Bounni, Adnan

- L´histoire des Fouilles Archéologiques en Syrie, Aux Origines de L´ Écriture En Syrie. , - p.111-112 p.217-

Buccellati.G & Kelly. M

- TELL MOZAN, Les Dossiers D´Archeologie, 155/Decembre 90/40 France. p. (20-22)
- The Seventh Season of Excavation at Tell Mozan,1992, -1997 - Chronique Archéologique en Syrie, vol 1,1992. P.80-81 -82

CHADWICK Robert

- Introduction To Cuneiform Writing, - BULLETIN 31,May 1996. P.7 p.10- 11

Childe, V. Gordon

- "The Urban Revolution." *Town Planning Review* 21, 1950- p. 9-16

EIDEM, Jesper
- Les Archives Paléo- Babyloniennes de Tell Leilan, Les Dossier D´Archeologie, 155/Decembre 90/40 France- p. 50

EIDEM,J.WARBURTON,D.
- In The Land of Nagar, A Survey around Tell Brak. Iraq,LVIII , 1996. P.51-57-,p.55

Ellison. Rosemary
- Diet in Mesopotamia: The Evidence of The Parley Ration Texts(c.3000-1400 B.C.)-IRAQ-VOL XLIII.part 1-1981. -P 35-40-41-43

Fortin. M, Cooper. L
- Atij (Syria) 1992-1993 Excavation at Tell Canadian BULLETIN - 27- May - 1994. -p.34-44

Fortin M, Schwartz G
- The Middle Habur in the Third Millennium B. C Subartu IX, 2003, p 223

GELB. I.J
- A STUDY OF WRITING.1962. THE UNIVERSITY OF CHICAGO PRESS,p.62-63- 65-61-67
- Chronology and the writing system- Syro- Mesopotamian Studies vol 1/Issue1 May, 1977 p.6-8- P 6-7

George, Modelski
- CITIES OF ANCIENT WORLD: AN INVENTORY(3500 TO – 1200) p. 1-P.5

GIBSON McGuire
- First Season of Syrian-American Investigations at Hamoukar,Hasekeh Province, Iraq LXIV,2002. ,p.45,p.50- p.57-58- . P49 - 45-51- P53

GIBSON McGuire
- Tell Hamoukar, LES ANNALES ARCHEOGIQUES ARABES SYRIENNES 2002-2003 P 90- 91 -

GIBSON McGuire
- Annual Report1999-2000
- http://oi.uchicago.edu/research/pubs/ar/99-00/hamoukar.html

Guillermo Algaze , Ray Breuning, Chris Lightfoot, and Michael Rosenberg
- ARCHAEOLOGICAL RECONNAISSANCE PROJECT: A Preliminary Report of the 1989-1990 Seasons, THE TIGRIS-EUPHRATES, ANATOLICA XVII,1991-p.202

Hammadé Hamido
- L´ écriture Dans La Djézireh Syrienne- Aux Origines de L´ Écriture En Syrie. Catalogue, Aux Origines de L´ Écriture En, Syrie. p.(194-197)

HOLE, Frank
- KHABUR BASIN PROJECT- 1986-2001- LES ANNALES ARCHÉOLOGIQUES ARABES SYRIENNES-2002-2003 P.13-14-18 -16 -

Jans Greta & Bretschneider Joachim
- Wagon and Chariot Representation in The Early Dyanastic Glyptic Subartu IV, 2- 1998. 156

MARFOE. L ET AL
- The Chicago Euphrates project archaeological-1980-1984: an interim report. L. Marfoe et al- ANATOLICA- XIII-p.90-91

Mark, Samuel
- FROM EGYPT TO MESOPOTAMIA,. Texas A&M University Press College Station.LONDON. 1997- P.27 -122.30-124

MCINTOSH. JANE R .
- Ancient Mesopotamia New Perspectives, 2005- ,p .123

MUHLY, JAMES D
- Mining and Metalwork in Ancient Western Asia, . Civilizations of the Ancient Near East, 1995, VOL III, p. 1501 p 1502-1503-1504-1506-1507-1509

MURPHY, Susana B.
- FRONTIER AS AN INTREPRETATIVE KEY OF RELATIONSHIP BETWEEN NOMADS AND SEDENTARIES IN ANCIENT MESOPOTAMIA, Amurru 3- 2004. ,p.75-76 p. 1501

Oates,David and Joan,McDonald
- Excavations at Tell Brak ,vol.2-2001. -p. xxvii.- p. 394- 19 -- p.222-394-p394-395
- Tell Brak: AStratigraphic Summary, 1976-1993- Iraq-LVI,1994. p.171-172–

ÖZBAL. H , ADRIAENS. A and EARL.B
- HACINEBI METAL PRODUCION AND EXCHANGE Paléorient, vol. 25/1, 2000 - p.60

PARAYRE Dominique et WEISS Harvey
- TELL LEILAN Les Dossiers D´Archeologie, 155/Decembre 90/40 France , p.39 -40

Peter pfälzner
- The Late Bronze Age Ceramic Traditions of the Syrian Jazirah CÉRAMIQUE DE L´ÂGE DU BRONZE EN SYRIE, II, LÉuphrate et la région de Jézireh ,p. 241-242

PORTER. Anne
- THE URBAN NOMAD: THE OLD CLICHÉS COUNTERING, AMURRU 2004-p.71- p.723

POWELL, MARVEN A.
- LABOR IN THE ANCIENT NEAR EAST -1987. P.(50-53 -

QUENET, Philippe
- UN POINT DE VUE SUR LES ECHANGES DANS L´ASIE ANTERIEURE DU BRONZE ANCIEN: LES RELATIONS DU NORD DE LA MESOPOTAMIE
- AVIC SES VOISINS PROCHE-ORIENTAUX DE LA FIN DE L´URUK AU DEBUT D´AGADE. 2000. p.105
-Thèse de Doctorat Préparée sous La direction de M.Le Professeur Jean-Louis HOUT PARIS 2000

Redman Charles L.
- THE RISE OF CIVILIZATION, 1987-P. (221- 223) p.221- 222 - p. 11-12 p.11-13 , p.216-218

Reckitt, Albert
- Tell Brak - Ancient Nagar,
http://www.mcdonald.cam.ac.uk/projects/brak/history.htm

Schwartz. Glenn M
- Pastoral Nomadism in Ancient Western Asia, Civilizations of the Ancient Near East, 1995,VOL I-p.249-250-251-252-253-254
-Rural Economic Specialization and Early Urbanization, ARCHAEOLOGICAL VIEWS FROM THE COUNTRYSIDE 1994- P.19 . P. 20-21- P.24

Schwartz and Curvers
- Excavation at Tell al-Raqā´i: ASmall Rural Site of Early Urban Northern Mesopotamia , AMERCAN JOURNAL OF ARCHAEOLOGY-VOL 94.No 1,1990 -p.7

Schmandt- Besserat- Denise
- The Envelopes That Bear The First Writing. 1980 -VOL .21, NO.3,JULY- P(357-385) P.360-361 . P(377-380).
- An Archaic Recording System And The Origin of Writing Syro Mesopotamian Studies V0L 1- Issue 2 -July 1977. .p32 – 54 - 22- 27
-THE EARLIEST USES OF CLAY IN SYRIA - Expedition, The magazine Archaeology Anthropology,vol 19-number 3-spring 1977 P.(29-35)

Simpson, Kay Christine
-SETTLEMENT PATERNS ON THE MARGINS OF MESOPOTAMIA: STABILITY AND CHANGE ALONG THE MIDDLE EUPHRATES, SYRIA. PH.D.1983- P. 438- 439

STEIN G.J.
- Material Culture and Social Identity : The Evidence For A 4TH Millennium BC Mesopotamian URUK Colony At HACINBİ, TURKEY, Paléorient, vol. 25/1,2000,p.11-22-P.20

STONE, ELIZABETH G
- The Development of Cities in Ancient Mesopotamia, Civilizations of the Ancient Near East, 1995, vol. I,p.236 -237,

VAN, DRIEL& C. MURRAY, VAN DRIEL
- Jebel Aruda 1977-1978,3 plans, AKKADICA-12-1979-Mars- April, 1979 - P.(2-5)

WATTENMAKER. P
KURBAN HöYÜK - Paléorient-vol. 13/2, 1987. - p.114

Weiss, Harvey
- THE ORIGINS OF TELL LEILAN, Paléorient vol 912/1983- p. 42- p.44-40
- THE ORIGINS OF TELL LEILAN Paléorient ,Dec 9/1984 p. 1-2
-THE ORIGINS OF CITIES IN DRY- FARMING,1986. P. 21-22-25-26-28-30- p.9-10

Zeder,Melinda A
- The Archaeobiology of the Khabour Basin- BULETIN, MAI.29.1995.P. 28

الموسوعات الأجنبية

-Cambridge Ancient History
Early history of the middle east
Cambridge UNEVERSITY press- 1971

- THE OXFORD ENCYCLOPEDIA of ARCHEOLOGY IN THE NEAR EAST- 1997
NEW YORK - OXFORD

-JACK M. SASSON- Civilizations of the Ancient Near East, 1995

الدوريات الأجنبية

- **Akkadica**.

Revue semestrielle de La Fondation Assyriologique. Georges Dossin.

- American journal of Archaeology.

The Journal of THE ANCIENT NEAR EASTERN SOCIETY OF COLUMBIA UNIVERSITY

- AMURRU

-ANATOLICA.

ANNUAIRE INTERNATIONAL POUR LES CIVILISATION DE L´ASIE ANTEÉRIEURE, PUBLIÉ SOUS LES AUSPICES DE INSTTITUT HISTORIQUE ET ARCHÉOLOGIQUE NÉERLANDAIS Á ISTANBUL.

- BULLETIN.

The Canadian Society for Mesopotamian Studies

- Les Dossiers D´Archeologie, France

- Expedition.

The magazine Archaeology Anthropology

- Iraq.

Published by the British school of Archaeology in Iraq

Paléorient

Revue pluridisciplinaier de préhistoire et protohistoire de l´Asie du Sud-Ouest

- LES ANNALES ARCHÉOLOGIQUES ARABES SYRIENNE

- Subartu.

European centre for Upper Mesopotamian

- Syro-Mesopotamian asatudies

Monographi**c** Journals of the Near East

المواقع الالكترونية على شبكة الانترنت (الشابكة)

-http://www.sumer_akkad.ugent.be/index.php?id=23&type=content

-http://oi.uchicago.edu/research/pubs/ar/99-00/hamoukar.html

-http://www.mcdonald.cam.ac.uk/projects/brak/history.htm

-http://www.arch.cam.ac.uk/chagar-bazar

The Summary of the theme in English

The agricultural settlement centers in the North of Syria "In the late of fourth millennium"

The near east region witnessed the emergence the dawn of human civilization, whose features are developing of agricultural settlement centers.

The Syrian Djezireh form part of an arc of marginal dry land steppe extending from the Euphrates River in the west through to the mountains of iran on east.

Upper Mesopotamia is not alluvium land and the environment is very different from Lower Mesopotamia. There artificial irrigation is a basic need for agriculture. on the other side- Upper Mesopotamia has a rate of annual rainfall is high enough to allow for a rain-fed agriculture, which is practiced on a large scale in the plains extending from the Euphrates to the Tigris.

Most of the Archeology activities in the Djezireh reports confirming that the civilian centers in Syria and Iraq region have created as a result of the accumulation of grain production rain-fed and marketed through the organization of administration and financial. represented by the stages of civilization that passed through the region since activating the role of Homo Sapiens and his career, until it had blown the agricultural revolution, and its interaction with southern civilization in Iraq, and becoming a component of the present in all its manifestations.

The sites in this region have not the huge dimensions of the large cities of the south, like Uruk , Ur, Larsa,….The main sites in the north are Tell Brak, the ancient Nagar, Tell Hamoukar, Tell Chagar Bazar, Tell Leilan, the ancient Shehna, and Tell Mozan, the ancient Urkesh, Tell Beydar, the ancient Nbada.These sites do not exceed 100 ha in surface. However, the density of the villages and the urban settlements is considerable in the North. These urban centers control medium and small size cities, as well as whole net of villages and agglomerations.

After all these clues, we wondering about the southern preceding, in emergence of cites, although, the logical evolution based on the developing agricultural settlement which depend on dry farming as they do not need a lot of techniques compared to irrigated farming organization.

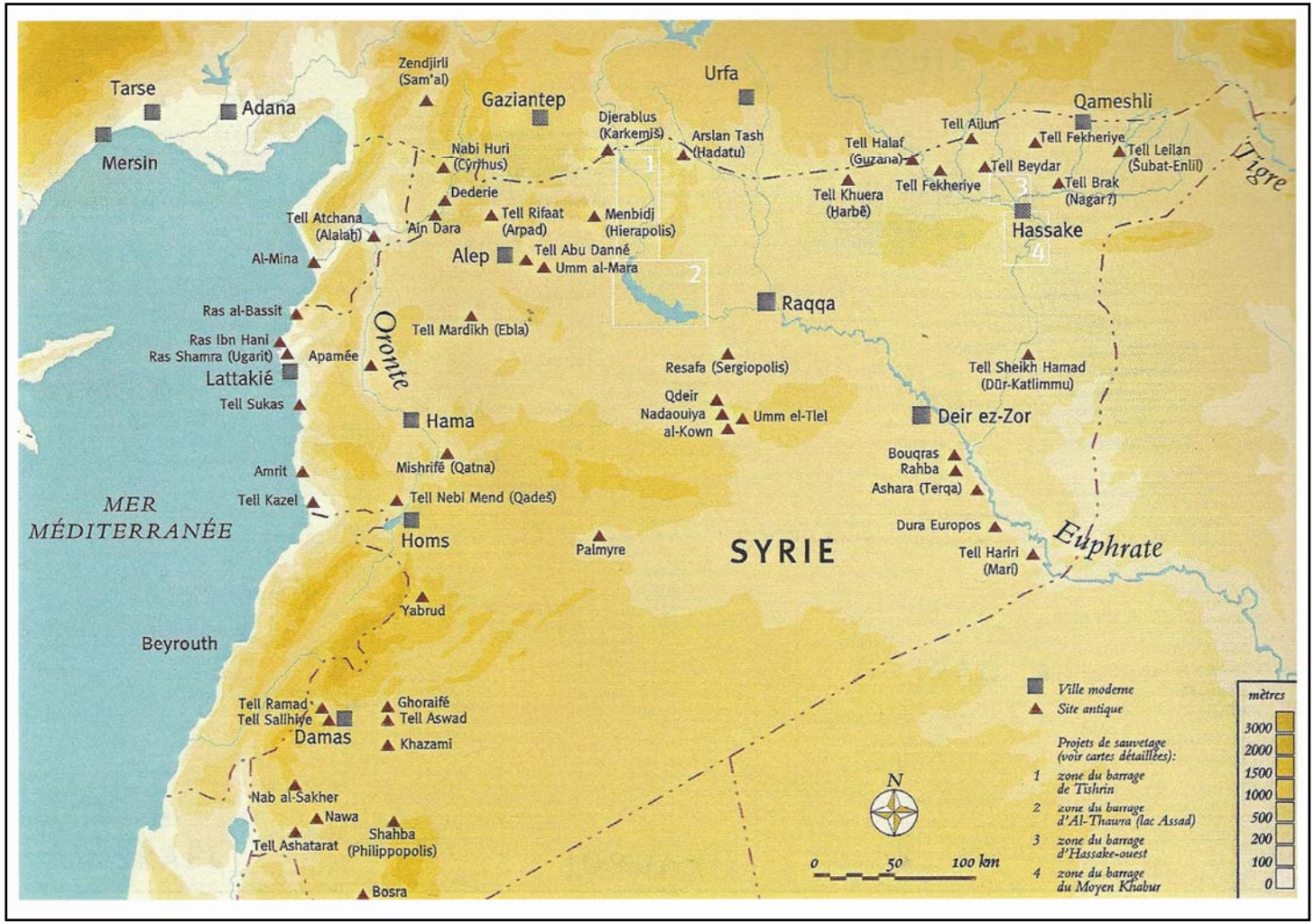
So we try in this research to clarify the role of Syrian centers in the cultural region map.

جدول المصطلحات

Ašnakkum	أشناكوم
Amorites	العموريون
Apum	بلاد آبوم
Balikh	نهر البليخ
Bevel-rimmed bowls	الطاسات المائلة الشفة
Bullae	الكـرات الطينية المجوفة
BURANUN	الفرات بالسومرية
Cella	السيلا قدس الأقداس
Ceramic	الفخار
Chaff- faced ware	الفخار المعجون بالقش
Cilender Seal	الأختام الاسطوانية
Clay Tablets	الألواح الطينية
Clay wall cones	المخاريط الطينية
Conical Cups	الكؤوس المخروطية
Cooper	النحاس
Coracle	القرقل نوع من الزوارق المستديرة
Crown city	المدن الإكليلية
Cuneiform Writing	الكتابة المسمارية
Dolmen	تلال الدفن الـ دولمن
The Early Jazirah IIIa	فترة الجزيرة القديمة IIIa
EUPHRATES	نهر الفـرات
Eufrates	الفرات عند الإغريق
Eye Idols	تماثيل العيون
Eye Temple	معبد العيون
E2.KIšIB	غرفة التختيم

Flower Pots	الأواني الفخارية الخشنة
Glyptic	المادة التي تحمل نقوشاً مميزة
Gilgamesh	جلجامش
Ibbi-Sin	ايبي - سين
Idiogram/ Logograms	المرحلة الرمزية
Ishkhi-Dagan	إشخي داجان
Jaghjagh	نهر الجغجغ
Kaneš karum	المحطّة التجارية الآشورية كانيش
KHABUR	نهر الخابور
Khabur Ware	فخار الخابور
KranzhÜge	العمارة ذات النمط الدائري
Kunuk Kārim	الخاتم الرسمي بالسومرية.
Kuyaya	كوياليا
Lapis-lazul	اللازورد
MAR.TU	مارتو: العموريون بالسومرية.
Middle Uruk	فترة أوروك المتوسطة
Mittesaal (middl hall)	قاعة مركزية كبيرة في الوسط
Mozaics	الفسيفساء
Muddy Envelops	الأغلفة الطينية
Mudbrick	الطوب الفج
Naram-Sin	نارام سن
Naqada	فترة نقادة
Numerical Tablets	ألواح العد
Obsidian	السبج /الأوبسيدان
Paleolithic	العصر الحجري القديم

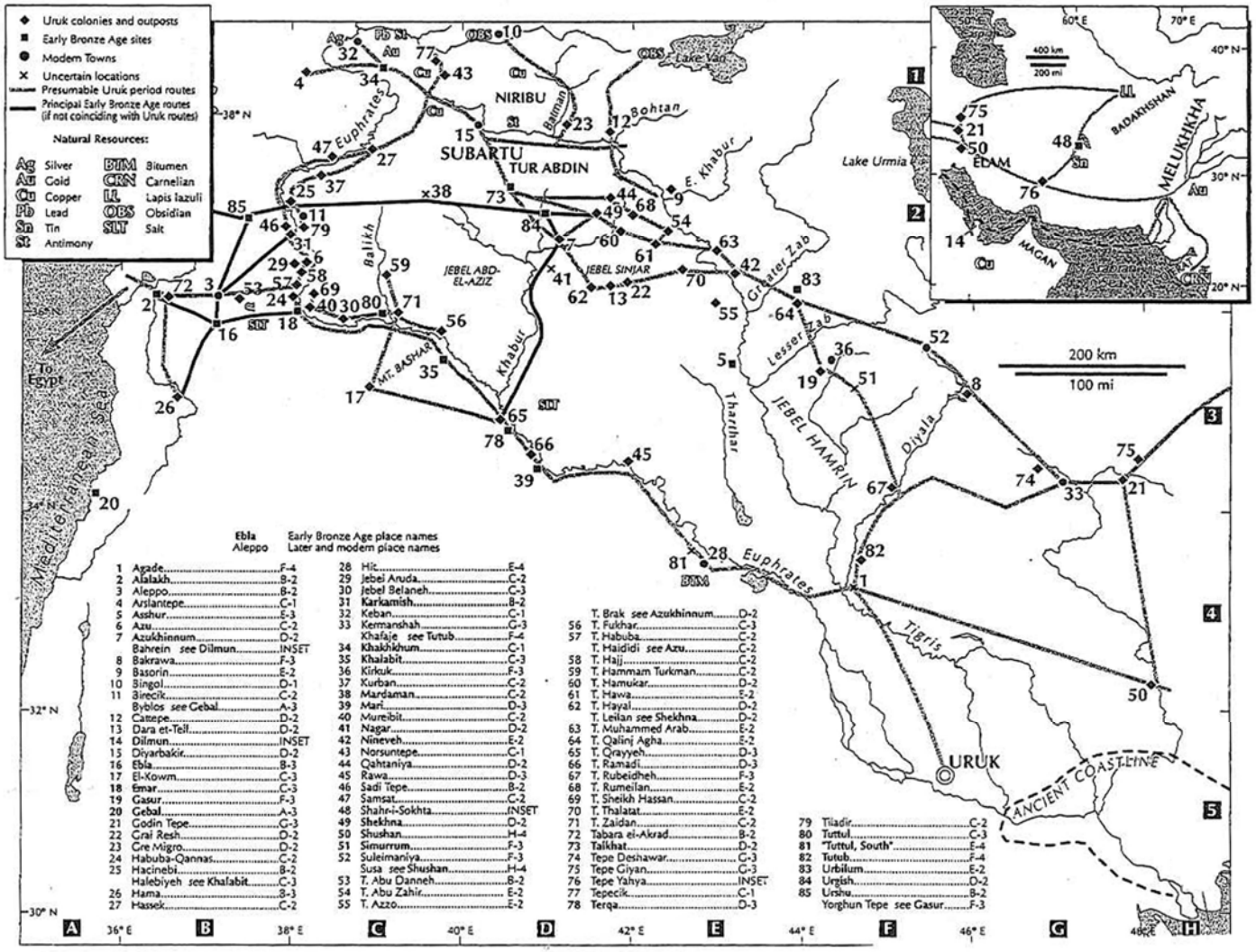
Pictography	الكتابة التصويرية
Pre-Sharrukin	ماقبل الشاروكيني
Pre-Pottery Neolithic B(PPNB)	العصر الحجري الحديث ماقبل الفخاري ب
Proto Writing	الطور الممهد للكتاب
PottersٞWheel	دولاب الخزاف السريع
Post-Uruk	جمدة نصر
Purattu	الفرات بالآشورية- البابلية
Quppu	سلة مستديرة وتعرف بالأكادية القفة
Revolution Neolithic	ثورة العصر الحجري الحديث
Riemchen	الريمشن
Razzaias	رازياس(الغزوة)
SAJJUR	نهر الساجور
SILO	السلوة عنابر لخزن الحبوب
Shekhna	شخنا
Stamp seal	الختم المسطّح
Syllabograms	المرحلة المقطعية
Šakkan	شاغان الإله الراعي لحيوانات السهوب
Terra- Cotta	تيراكوتا- الفخار غير مشوي
Theodosioupolis	تيودوسيو بوليس تل الفخيرية
Tokens	كتل طينية للعد
TIGRIS	نهر دجلة
Tripartite	العمارة ثلاثية العناصر
Turquoise	الفيروز
UBAID	فترة العبيد
Uruk expansion	الانتشار الأوروكي



Carte de Syrie (cartographie: Martin Sauvage)

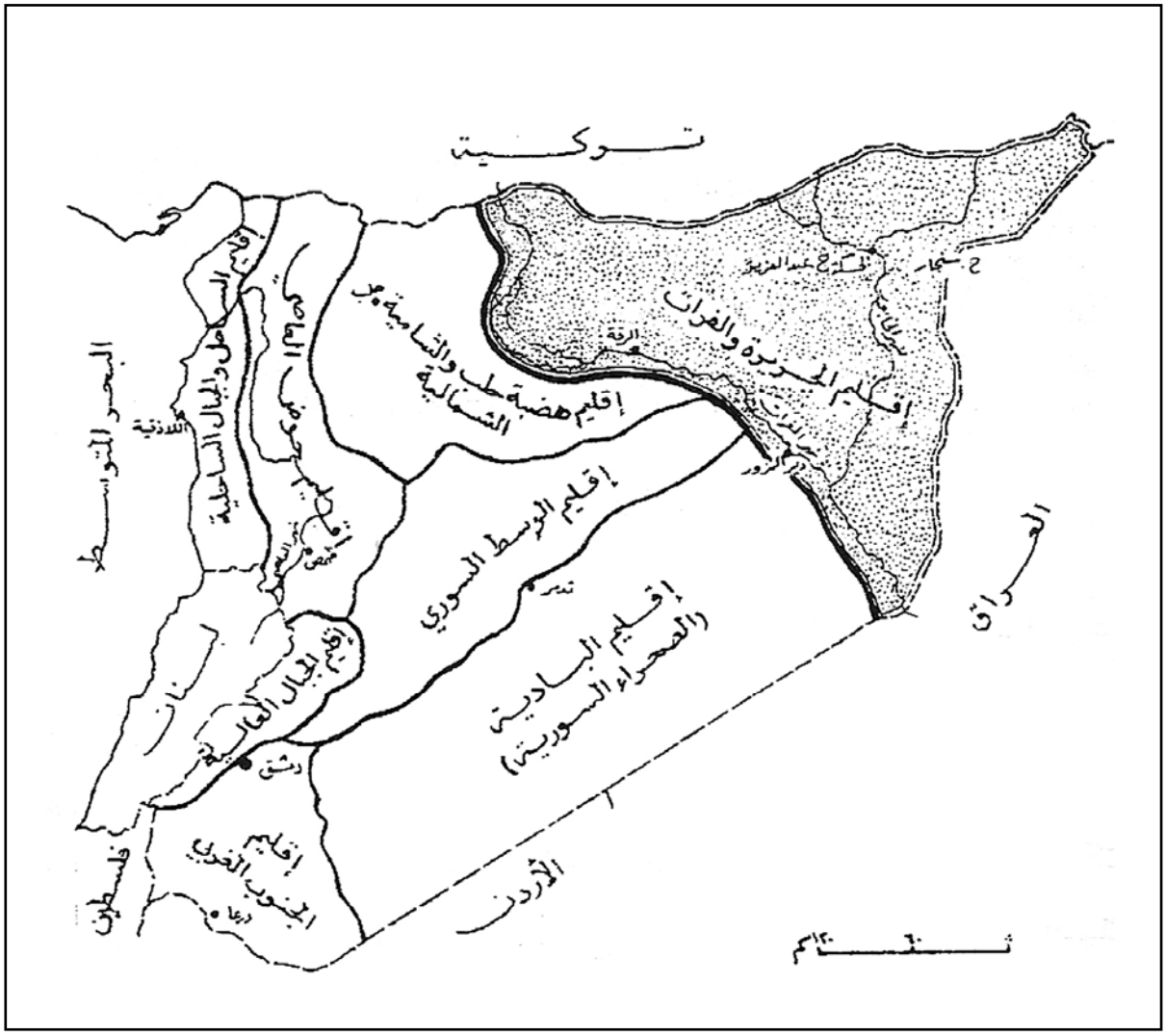
(المصور 8) مناطق غمر السدود على الفرات والخابور[1]

1 - نقلاً عن كتاب Aux Origines de L´ Écriture En Syrie, p.110.



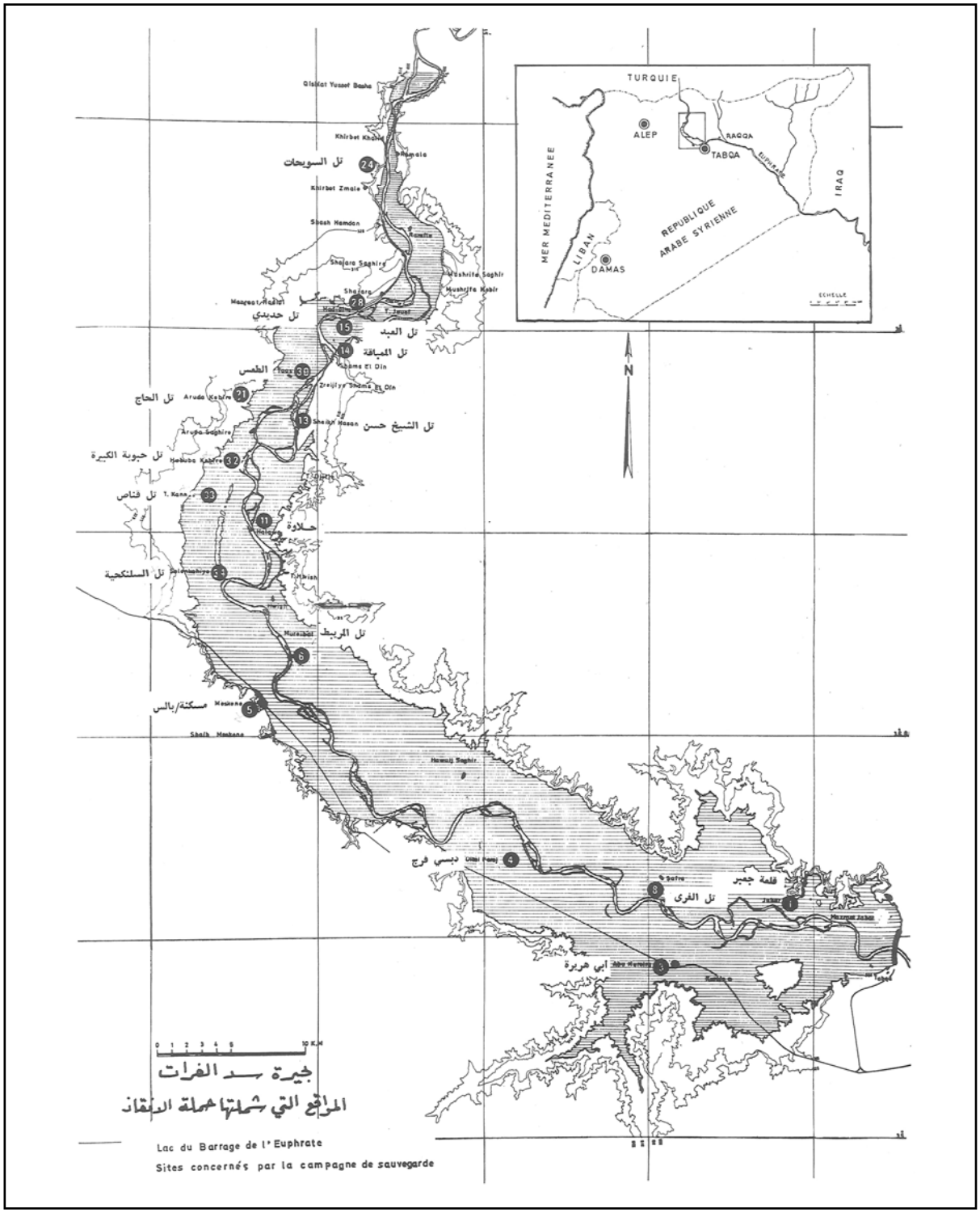
(المصور 9) يبين طرق التجارة في فترة أوروك والعصر البرونزي الباكر[1]

1 - THE OXFORD ENCYCLOPEDIA .



(المصور 6) موقع إقليم الجزيرة والفرات في سورية[1]

1 - الأقاليم الجغرافية السورية حسب تقسيم عادل عبد السلام عام 1968 وتعديلات عام 1990.



(المصور 7) بحيرة الأسد خلف سد الثورة على الفرات[1]

1 - نقلاً عن كتاب إنقاذ آثار منطقة غمر سد الفرات.